بسم الله الرحمن الرحيم

عونك اللهم

قال أبو عبد الله الحارث بن أسد بن عبد الله المحاسبي البصري

رحمة الله عليه

باب مائية العقل وحقيقة معناه

سألتَ[1] عن العقل ما هو ؟

واني أرجع اليك في اللغة ، والمعقول من الكتاب والسنة ، وتراجع العلماء (فيما) بينهم بالتسمية ، ثلاثة (معاني) :[2]

أحدها : هو معناه ، لا معنى له غيره في الحقيقة .

والآخران اسمان جَوَّزَتْهُما العربُ إذ كانا عنه فِعْلاً ، لا يكونان إلَّا به ومنه ، وقد سَمّاها اللهُ تعالى في كتابه وسَمَّتْها العُلَماءُ عَقْلاً .

فأمَّا ما هو في المعنى في الحقيقة لا غيره : فهو غريزةٌ وضَعَهَا

---

(١) أشرنا الى أن الجنيد روى عن الحارث أنه كان يطلب منه الخروج معه الى الصحراء حتى اذا ما وصلا الى مكان ناء ، طلب الحارث من الجنيد أن يسأله ، فيسأله الجنيد والحارث يجيب فيصنع الحارث من ذلك كتباً . وهذا جانب من جوانب اسلوب الحارث في بعض كتبه .

(٢) حاولنا من جهتنا ترتيب المقاطع بشكل يسهل ادراك المعنى .

اللهُ سبحانَهُ في أكثرِ خَلْقِهِ لم يَطَّلِع عليها العبادُ بعضُهم من بعض، ولا اطَّلعوا عليها من أنفسِهم برؤْيةٍ ، ولا بحسٍّ ، ولا ذوقٍ ، ولا طَعْمٍ . وإنما عرَّفهم الله (اياها) بالعقل منه .

فبذلك العقل عرفوهُ ، وشهدوا عليه بالعقل الذي عرفوه به من أنفسهم بمعرفة ما ينفعُهُمْ ومعرفةِ ما يَضُرُّهُمْ .

فَمَنْ عرف ما ينفعه مما يضره في أمر دنيـــاه ، عرف أن الله تعالى قد منَّ عليه بالعقل الذي سلبَ أهل الجنون وأهل التيه ، وسلب أكْثَرَهُ الحمقى ، الذين قَلَّتْ عقُولُهُمْ .

وكذلك معرفةُ بعضِهم من بعض بظاهرِ فِعْلِ الجوارح .

فيُستدل أنه عاقل له عقل اذا رأَوْا من أفعالِهِ ما يَدُلُّهُمْ أنه قد عَرَف ما ينفعُهُ من دنياهُ وما يَضُرُّهُ ؛ اذا رَأَوْهُ طالباً عاملاً ما ينفعُهُ من دُنياهُ مُجانباً لما يَضُرُّهُ من دنياه . فسموا من كان كذلك عاقـلاً وشهدوا أنَّ له عقلاً وأنه لا مجنون ، ولا تايه ولا أحمق .

فإنْ رأَوْهُ بخلافِ ذلك شَهِدُوا أنه مجنونٌ قد (تغشّا) عَقْلَهُ من الآفةِ ما أذْهَلَهُ ، وأزالَ معرفتَهُ بمنافعه ومَضارِّهِ .

فإن رَأَوهُ يتبعُ منافِعَهُ ، ويُجانبُ مضارَّهُ ، وفي كثيرٍ من أفعالـــه

يعملُ بخلافِ ذلك سَمَّوْهُ على قَدْرِ ٱلْكَثْرة بخلافِ ما (١٠٥)[1] يفعلُ ٱلْعاقِلونَ أو لقلته أحمقَ أو مائقاً[2] .

فإنْ كان له وقتٌ تَزُولُ أفعال ٱلْعقل عنه بصَعْقٍ ، أو تقلُّبٍ للأُمور في القول والفعل سَمَّوهُ مجنوناً في ذلك الوقت ، فإذا إذا أفاق ، وتجلى ذلك عنه ، وعاد لهيئتِهِ الأُولى ، من أن تَظْهَرَ منه أفعالُ ٱلْعقل واللبِّ بأسباب ذلك .

إذا سئل أجاب بما يُعقل . ويطلب منافِعَهُ ويجتنبُ مَضَارَّهُ .

وربما تعرض لما يضره في العواقب ، وذلك نافِعٌ له في العاجل ، ضارٌّ له في الآخرة ، فَيُسَمّى عاقلاً . يعنون أن له الغريزة التي هي ضد الحمق والجنون ، وأنه قد نقص عقله للعاقبة بقدر ما تعرض لما ينفعه في العاجل بما يضره في العاقبة .

فالعقل غريزة جعلها الله عز وجل في الممتَحَنين من عباده ، أقام به على البالغين للحلم الحُجَّةَ . وأتاهم خاطب من قبل عقولهم ، ووعد وتوعَّد ، وأمر ونهى وحضَّ وندب .

---

(١) هذه الأرقام وما يتبعها هي أرقام صفحات المخطوط كما رقمها « المصور » .

(٢) المائق : الهالك حمقاً وغباوة : لسان العرب : ١٢/ ٢٢٧

فهو غريزةٌ لا يُعْرَفُ إلّا بفعاله في القلب والجوارح. لا يَقْدِرُ أَحَدٌ أن يَصِفَهُ في نفسه ولا في غيره بغير أفعاله .

لا يقدر أن يصفه بجسمية ، ولا بطول ، ولا بعرض ، ولا طعم ، ولا شم ، ولا مجسة ، ولا لون ، ولا يُعْرَفُ إلّا بأفعاله.

وقال قومٌ من المتكلمين : هو صفوةُ الروح ، أي خالص الروح .

واحتجوا باللغة فقالوا : لُبُّ كل شيء خالصُه . فمن أجل ذلك سُمِّيَ العقل لُبّاً . وقال الله عز وجل « إنما يتذكر اولوا الألباب »[1] يعني اولي العقول .

ولا نقول ذلك إذا لم نجد فيه كتاباً مسطوراً ، ولا حديثاً مأثوراً .

وقال قوم : هو نورٌ وضعه الله طَبعاً وغريزةً ، يُبْصَرُ به ، ويُعبَّرُ به .

نورٌ في القلب كالنور في العين ، وهو البصر .

فالعقل نور في القلب ، والبصر نور في العين .

---

(١) سورة الزمر : آية ٩ .

فالعقل غريزة يولد العبد بها ثم يزيد فيه معنى بعد معنى بالمعرفة بالأَسباب الدَّالَّةِ على المعقول .

وقد زعم قومٌ أن العقل معرفةٌ نظمها الله ووضعها في عبـــاده يزيدُ ويَتَّسِع بالعلم المكتَسَبِ (١٠٦) الدَّالِّ على النافعِ والمَضَارِّ .

والذي هو عندنا أنه غريزة ، والمعرفة عنه تكون .

وكذلك الجنون والحمق لا يُسَمَّى نكرة لأَنه لو كان المعرفة هو العقل ، سُمِّيَ الجنون نكرة ، والحمق نكرة ، لأَن النكرة ضد المعرفة والجهل ضد العلم .

فلما امتنع أَهل العلم أَن يسموا المجنون منكراً جاهلاً ، ولا يسمون المنكر ، مجنوناً ، والجاهـــل مجنوناً وقالوا بأنه مجنون صَحَّ ما قُلْناهُ .

ومِمَّا يدل على أَن العقل هو الغريزة التي (بها) عَرَفَ فأَقَرَّ ، وعَرَفَ فأَنكر ، أَو ظَنَّ فأَنكر ، لأَن الإِنكار فعل ، فكذلك ضـــد المعرفة فعل .

فمنه فعل عن طبع يوجبه الطبع (كالضرة) [1] ؛ كمعرفـــة

---

(١) يقصد الضرورة . يعني ان هذه المعرفة تأتي نتيجة ضرورية لكونُ العقل غريزة .

الرجل نفسَهُ ، وأباه ، وأُمَّه ، والسماءَ ، والأَرضَ ، وجميعَ الأَشياء التي تُشَاهَدُ .

ولولا الاستدلال بالعلم الذي سمعه من أَسماءِ الأَشياء ثم رأَى الأَشياء ، لعرفها برؤْيا ولم يعرفها باسم ولا تفصيل بين معانيها .

أَوَلم تستمِعْ إلى ما وصف الله تعالى ملائكته ؛ إذ سأَلَهُمْ أَن يُخْبِرُوهُ بأَسماءِ الأَشياءِ فقالوا : لا علم لنا . فأَمر آدمَ عليه السلامُ فأخبرهم[1] بها لأنه عَلَّمَهُ الأَشياءَ .

فلم يعرف عاقل أَسماء الأَشياء إلا بالتعليم منذ هو طفل لما يسمع ويرى . عرف بعقله الأَشياء ، وفَصَلَ بين معانيها .

فكُلُّ بالغٍ من الجِنِّ والأنس من الذكورِ والاناثِ ممن أمره اللهُ تعالى ونهاهُ ووعده وتوَعَّدَهُ بإرسال النُذُر ، وإنزالِ الكُتُب ، وآثارِ آياتِ التدبير فَحُجَّةُ العقل لازمةٌ له ، إذ أَنعم الله سبحانه بالعقل عليه ، ومعرفة البيان (ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حَيَّ عن بينة[2] ، وإن الله لسميع عليم) . (وما كان الله لِيُضِلَّ قوماً بعد إذ

---

(١) يريد الاشارة الى الآية ٣٣ من سورة البقرة .
(٢) سورة الأنفال: آية: ٤٢ .

هَدَاهُمْ حتى يُبَيِّنَ لهم ما يتقون)[1] .

أَوَ لا تراهُ يقولُ عَزَّ وَجَلَّ . (وأَمَّا ثمودُ فهديناهم)[2] يعني بيَّنا لهم ما (يعقلوه) بعقولهم إن تدبَّرُوا ذلك . فقال عز وجل : (فاستحبُّوا العمى على الهدى) .

فإنما خاطب الله العباد مِنْ قِبَلِ أَلْبَابِهِمْ ، واحتَجَّ عليهم بما رَكَّبَ فيهم من عقولهم ؛ وما اللهُ بِظَلَّامٍ للعبيد .

ومع هذا فإنه قد يخص بالتنبيه والتوفيق مَنْ يشاءُ من عباده ، ويختصُّ بجواره مَنْ أَحبَّ مِنْ خَلْقِهِ .

إِلَّا أَنَّ أَبْيَنَ الأَشياءِ هذه قبل الجهر باللسان . فإنه قال عز وجل : (ومن الناس مَنْ يُعْجِبُكَ قولُهُ في الحياة الدنيا)[3] .

وهذا قبل أَن يَخْبُرَهُ .

وقال خالد بن صفوان[4] : لولا التبيان لكان المرء بهيمة مهمَلة أَوصورةً ممثَّلة.

وقال الشاعر :

---

(١) سورة التوبة: آية ١١٥ . (٢) سورة فصلت :اية ١٧ .

(٣) سورة البقرة :اية : ٣٠٤ .

(٤) أحد خطباء العرب وبلغائهم المعروفين . له أخبار مع هشام بن عبد الملك وأبي العباس السفاح .

وفي الصمت ستر العيِّ يوماً وإنما صحيفة لُبِّ المرءِ أَنْ يتكلَّما

وأَما الاثنتان اللتان جَوَّزَتْهُما اللُّغَةُ في الكتاب ، والسنةِ ، وتَراجُعِ أَهْلِ المَعْرِفَةِ فيما بينهم بالتسمية فجَوَّزَتْهُما اللُّغَةُ على حقيقةِ المعنى بأَنْ سَمَّتْهُما عقلاً ، إِذ كانا عن العقل لا عَنْ غيرِهِ .

فإِحْداهُما الفهمُ لإِصابةِ المعنى ؛ وهو البيان لكل ما سَمِعَ من الدنيا والدين أَو مَسَّ أَو ذاق ، أَو شَمَّ ؛ فسمَّاهُ الخَلْقُ عقلاً ، وسمَّوا فاعِلَهُ عاقلاً .

وقد رُوي في التفسير لما قال الله تعالى لموسى عليه السلام : « فاستمع لما يوحى »[1] قيل : اعقِلْ ما أَقول لك .

وهذه خصلةٌ يشتركُ فيها أَهلُ غريزةِ العقل التي خلقها الله فيهم ، من أَهل الهدى ، وأَهل الضلالة ، من بعض أَهل الكتاب لِما تقدَّمَ عندهم من أَهل الدين .

ويجتمعُ عليها أَهْلُ كُلِّ إِيمانٍ وضلالٍ في أُمور الدنيا خاصةً ، والمطيع والعاصي ، وهو فَهْمُ البيان .

وقال الله عز وجل في ما يَعِيبُ به أَهْلَ الكتاب ، فقال :

---

(١) سورة طه : اية ١٣ . الأصل « استمع » .

« يَسْمَعُونَ كَلامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونه مِنْ بَعْدِ مـــا عَقَلُوهُ وهُم يَعْلَمُونَ »[1] .

وقال عز وجل : « يَعْرِفونَهُ كما يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ »[2] .

وقال : « يعلمون أنه الحق من ربِّهم »[3] .

وقال : « يعلمون أنه منزل من ربك بالحق »[4]

فالفهم والبيان يسمى عقلاً لأنه عن العقل كان.

فيقول الرجل للرجل :

أَعقَلْتَ ما رأَيتَ أو سمعت ؟

فيقول نعم . يَعني اني قد فهمْتُ وتبَيَّنْتُ .

والعرب إنما سَمَّتِ الفَهْمَ عقلاً لأَنَّ ما فهِمْتَهُ فقـــد قَيَّدْتَـــهُ بعَقْلِكَ وضبَطْتَهُ كما البَعيرُ قد عُقِلَ. (أي)[5] أنك قد قيَّدت ساقه إلى فَخذَيهِ .

وقالوا . اعتقل لسان فلان ، أَي استمسك .

---

(١) البقرة : ٧٥ . (٢) البقرة : ١٤٦ .
(٣) البقرة : ٢٦ و ١٤٤ والاصل (من ربك) .
(٤) الانعام : ١١٤ . (٥) زدناها لاقامة المعنى ، واستواء الجملة .

ويقال اعقل شاتك إذا (حبستَها)[1] . وهو أن يضع (رجلَه) بين (نوفها) وفخذ (ها)[2] ، (ويقال) : اعتقل رجل فلانٍ إذا (صارعه) .

والمعنى الثالث : هو البصيرة ، والمعرفة . بتعظيم قَدْرِ الأَشياءِ النافعةِ والضارة (١٠٧) في الدنيا والآخرة . ومنه العَقْلُ عن اللّٰه تعالى .

فمن ذلك أَن تَعْظُمَ معرفتُهُ وبصيرتُهُ بعظيمِ قَدْرِ اللّٰه تعالى وبقَدْرِ نِعَمِهِ وإِحسانِهِ ، وبِعَظيمِ قَدْرِ ثوابِهِ وعِقَابِهِ ليَنَالَ بـه النَّجَاةَ من العِقَابِ ، وَالظَفَرَ بالثَوابِ .

فإِذا كان للّٰهِ مُعَظِّماً ، كان للّٰهِ مُجِلّاً هايباً .

وإِذا كان للّٰهِ مُجِلّاً هايباً ، كان منه مُسْتَحِياً ، وإِلى طاعتِهِ مُسَارِعاً ، ولِمساخطِهِ مُجانِباً .

وإِذا كان مُعَظِّماً لما يَنَالُ به النَّجاةَ من العِقَابِ والظَفَرَ بالثَوابِ عُنِيَ بطَلَبِ العِلْمِ ، ورغِبَ في الفَهْمِ . وَالْعَقْلُ عن اللّٰهِ عزَّ وجلَّ أَكْثَرُ همَّتِهِ .

---

(١) في الأصل (حبتها) .

(٢) في الأصل : رجلها ، ونافيته ، وفخذ . والتصحيح استناداً إلى لسان العرب ٢٥٨/١٢ وتاج العروس ٢٦٣/٦ ، إذ ورد فيها : النوف : أسفل الذنب لزيادته وطوله عن كراع .

وإذَا عُنِيَ بطلب العلم بِذلك استَدَلَّ به على عِظَمِ قَدْرِ المولى، وقَدْرِ ثَوَابِهِ وعِقَابِهِ .

وإذَا استَدَلَّ على ذلك أَبْصَرَ ، وفَهِمَ حقَائِقَ معاني البيان .

فإذا فَهِمَ عَقَلَ عظيمَ قَدْرِ اللهِ تعالى — وعرضه على الله سبحانه — وعقابَهُ وثَوَابَهُ .

وإذا عَظَّمَ قَدْرَ ذلك هابَ اللهَ ، وفَرِقَ ورَجَا ، ورغب واشتاقَ فكأَنَّمَا يُعاينُ ذَلك كرأْيِ العَيْنِ ، فكان عن الله تعالى عاقلاً ، وسُمِّيَ ذلك منه عقلاً ؛ إذ كان بالعقل طَلَبَ ذلك وبالعقلِ فَهِمَ ذلك، وبالعقل لَزِمَ ذَلِك ، وبالعقلِ جَانَبَ ما يُزِيلُهُ عن ذلك .

فهذا الذي عَقَلَ عن رَبِّهِ .

أَلَم تسمعه[1] عَزَّ وجَلَّ يقولُ (وَتَعِيَهَا أُذُنٌ واعية)[2] .

قال : أُذُنٌ عَقَلَتْ عن اللهِ تعالى . يعني عَقَلَ عن اللهِ ما سَمِعَتْ أُذُنَاهُ ، مما قال وأَخبر .

---

(١) المتحدث هنا هو المحاسبي نفسه ، لأن جل كتبه – كما ذكر الجنيد – كانت بصيغة « قال وقلت » على أساس أسئلة تطرح ويجيب عنها الحارث ، ثم يصيغها بعد ذلك كتباً ، وقد ورد ذكر ذلك في المقدمة .

(٢) الحاقة : ١٢ .

فهذا هُوَ العَقْلُ .

ومَنْ زال عن ذلك ومعه غريزةُ العقل التي فَرقَ الله تعالى بها بين العقلاء والمجانين فهو غيرُ عاقِلٍ عن الله عَزَّ وجَلَّ . وهو عاقِلٌ للبيانِ الذي لَزِمَتْهُ من أَجلِهِ الحُجَّةُ .

وقد وصف الله عزَّ وجل هذا في كتابه عن رجال (وسما) لهم عقلاً . فقال تعالى :

« لهم قلوب لا يعقِلون بها »[1] يعني عنه .

وقال عز وجل : « وجعلنا لهم سَمْعاً وأَبصاراً وأَفئدةً » . يعني عقولاً ، « فما أَغنى عنهم سمعهم ولا أَبصارهم ولا أَفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله »[2] . ثم سَمَّى بعضَ الكُفَّارِ مِنْ أَهلِ الكتاب عاقلاً للبيان الذي لَزِمَتْهُمْ به الحُجَّةُ « يحرِّفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون »[3] .

فأَخبر انهم لا يعقلون ، يعني عنه (وعن) ما قال من عظيم قدره المبيّن عنه .

---

(١) الحج : ٤٦ .
(٢) الاحقاف : ٢٦ .
(٣) البقرة : ٧٥ .

ثم قال : « يُحَرِّفُونَهُ من بعد ما عَقَلُوه » يعني : عَقْلَ البيان .

وآخرون لهم عقولُ الغرايز لا يعقلون البيان ولا المبين عنه بالفهم له إلّا أنهم يسمعون بِلُغَةٍ يعرفونها كلاماً لا يعقلون معانيه بالفهم له كمشركي العرب فقال :

« إنْ هم إلّا كالأنعامِ بل هم أَضَلُّ سبيلا » [1] .

فلم يَعْقِلُوا ما قال عَزَّ وجَلَّ لإعجابِهِمْ برأْيِهِمْ ، ولتقليدِهِمْ آباءَهُمْ ، وكُبَرَاءَهُمْ ، وقد كانت لهم عقولُ غرايز ، يعقلون بها أَمر دنياهم .

ولو تركوا الإعجابَ بالرأْيِ ، وتقليدَ الكُبَرَاءِ ثُمَّ تَدبَّروا لَعَقَلُوا ما قال اللهُ . ولكن أُعجبوا بآرائِهِمْ ، وَقَلَّدُوا كُبَرَاءَهُمْ .

فقال عزَّ وجلَّ : « ويحسبون أَنَّهم يُحْسِنون صُنْعا » [2] .

وقال جلَّ ثناؤُه : « أَفمن زُيِّنَ له سُوءُ عمله فرآه حسناً » [3] .

وقال : « ويحسبون أَنهم على شيءٍ ، أَلَا إِنَّهم هُمُ الكاذِبون » [4] .

فلم يعقلوا ما قيل لهم كما عَقَلَهُ المُحَرِّفُونَ للسان بعدما عقلوه .

---

(١) الفرقان : ٤٤ .
(٢) الكهف : ١٠٤ .
(٣) فاطر : ٨ .
(٤) المجادلة : ١٨ .

فهم يعلمونَ أَمْرَ دنياهم ؛

ودقايقُ معايشِهِمْ أَدَقُّ في الغموضِ من أَعلامِ الدين . فقال الله جل وعز : « يعلمون ظاهِراً من الحياةِ الدُّنْيا ، وهم عن الآخرة هُمْ غافلون »[1] .

قال : حدثني عفان[2] . قال : حدثنا صخر بن جويرية[3] عن الحسن[4] في قوله تعالى : « يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا » قال :

لا جَرَمَ واللهِ لقد بَلَغَ من علم أَحَدِهِمْ بِدُنْيَاهُ أَنه يَقْلِبُ الدرهَمَ على ظفْرِهِ ويُخْبِرُكَ بِوَزْنِهِ ، وما يُحْسِنُ يُصَلِّي .

قال : حدَّثني عَفَّان قال : حَدَّثَنَا شُعْبَةُ[5] عن شَرْقِيٍّ[6] في

---

(١) الروم : ٧ .

(٢) ترجمته أثناء الحديث عن شيوخ المحاسبي .

(٣) أبو نافع صخر بن جويرية ، مولى بني تميم ، روى عن أبي رجاء العطاردي ، ونافع ، وهشام بن عروة ، وعبد الرحمن بن القاسم وغيرهم . وعنه : أيوب السختياني ، وأبو عمرو بن العلاء وحماد بن زيد والقطان وابن مهدي وابن المبارك وعفان . قال أحمد : شيخ ثقة ثقة . ووثقه عفان ، إلا أن بعضهم تكلم فيه لضياع كتابه . تهذيب التهذيب ٤ / ٤١٠ - ٤١١ .

(٤) هو الحسن البصري المشهور (٢١ - ١١٠ هـ).

(٥) شعبة بن الحجاج (٨٢ - ١٦٠ هـ) الأزدي البصري . قال الحاكم : شعبة إمام الأئمة في معرفة الحديث بالبصرة . رأى أنس بن مالك وعمرو بن مالك الصحابيين وسمع من أربعمائة من التابعين . تهذيب التهذيب جـ ٤ / ٣٣٨ - ٣٤٦ .

(٦) شرقي بن قطامي : أخباري ، له نحو عشرة أحاديث فيها مناكير . ذكره ابن عدي في الضعفاء . واسمه الوليد بن الحصين ، والشرقي لقب له . لسان الميزان ٣/١٤٢ .

قوله : « يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا » فذكرَ الخرّازَ والخيَّاطَ ونحوَهما ، فأخبر الله تعالى انهم يعقلون أمر دنياهم . ولو تدبَّروا ، وتركوا التقليدَ والإعجابَ بالآراءِ لعقلوا أَمرَ آخِرَتِهِمْ ، كما عقلوا أَمر دنياهم ، حين عُنُوا بطلبِ مَنافِعِها في العواقِبِ ودفع ضارِّها في العواقِبِ .

فهذه أَربعُ فِرَقٍ :

فرقةٌ عقلت عن الله تعالى عِظَمَ قَدرِهِ وقدرتِهِ وما وعد وتَوَعَّد، فأَطاعت ، وخَشَعَتْ .

وفرقةٌ عَقَلَتْ البيانَ ثم جَحَدَت كِبْراً وعِناداً لطلب الدنيا كما وصف عن إبليس أَنه تَكَبَّر وعاندَ كِبْراً ، وهو مع ذلك يقول : « فبعزتك لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجمعين »[1] . ووصف اليهود (١٠٨) فقال : « ليكتمون الحق وهم يعلمون »[2] .

وقال : « وجحدوا بها واستيقنتها أَنفسهم ظلماً وعلوا »[3] .

وقال : « يعلمون انه منزل من ربك بالحق »[4] .

---

(١) ص : ٨٢ .
(٢) البقرة : ٤١٦ .
(٣) النمل : ١٤ . .
(٤) الانعام : ١١٤ .

وقال : « اشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون »[1] .

وفرقةٌ طغت ، وأُعجبت ، وقلّدت ، فعميت عن الحق أَنْ تَتَبَيَّنَهُ ثمَّ تقر به ، ثم تجحده كِبْراً وطَلَبَ دُنْيا بعد عقلها للبيان فظنَّتْ أنَّها على حَقٍّ ودينٍ وهي على باطلٍ وشرٍّ وضَلالٍ .

وفرقةٌ رابعةٌ عَقَلَتْ قَدْرَ اللهِ عَزَّ وجَلَّ في تدبيرِهِ وتفرُّده بالصنع ، وعرفت قَدْرَ الإيمانِ في النجاة بالتمسك به ، وقَدْرَ العقاب في ضَرَرِهِ في مُجانبةِ الإيمانِ ، فلم يجحدوا كِبْراً ولا أَنفةً ولا طَلَبَ دنيا لعقلها أَنَّ عاجِلَ الدنيا يفنى ، وعذاب الآخرة لا يفنى . فَأَقَرَّتْ وآمَنَتْ ، ولم تعقل عظيم قدر الله في هيبتِهِ ، وجلالِهِ ، وعظيم قدر ثوابه وعقابه في إتيان معاصيه ، والقيام بفرايضه ، فعصَتْ ، وضيَّعَتْ ، وغفلَتْ ، ونسيَتْ ، إلَّا أَنَّها عَلِمَتْ عظيمَ قَدْرِ الإيمان في النجاة ، وعظيمَ ضررِ الكُفْر ؛ قد عقلتْهُ عن الله تعالى فهي قائمةٌ به ، دائمةٌ عليه .

ثم بعد عقلِهِ قَدْرَ الإيمانِ يزدادُ معرفةً بقدْرِ الغَضَبِ والوعيد والوعد .

---

(١) ال عمران : ١٨٧ .

فإن ازدادَ طائفةً قام بطـــائفةٍ من الفروض ، وترك بعضَ المعاصي ، وإلَّا ضيَّعَ بعض الفروض ، وركب بعضَ المعاصي من أَجل الهوى ، ومعه عقل البيان والإقرار ، فعقل انه مُسيءٌ ، ولم يرجع عن إساءته لِغَلَبَةِ الهوى .

ولو ازداد عقلاً بعظيم قـدر الغضب ، والرضى ، والثواب ، والعقاب ، لاستعمل ما عقل من البيان ، وأَقرَّ به بأَنَّه حقٌّ فتاب وأَناب .

وجميعُ الممتحَنين المأمورينَ من العُقَلاءِ البالِغينَ كُلُّهم لهم عُقولٌ يُمَيِّزونَ بها أُمورَ الدنيا كُلَّها ، الجليـل ، والدقيق ، وأَكثرُهم للآخِرَةِ لا يعقلون .

أَلَمْ تسمعْهُ عَزَّ وجلَّ يقول : « وتراهم ينظُرُونَ إِليكَ وهم لا يبصرون »[1] .

وقال جَلَّ ثَنَاؤُهُ : « لهم قُلوبٌ لا (يفقهون)[2] بها ، ولهم أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بها ، ولهم آذانٌ لا يَسْمَعُونَ بها »[3] .

وهم بالدنيا أَهلُ بصرٍ وسمْعٍ وعَقْلٍ ، ولم يَعْنِ انهم صُمٌّ ، خُرْسٌ ، مجانين ، وإِنَّما عَذَّبَهُمْ لأَنهم يعقلون لو تدبَّروا ما يَرَوْنَ

---

(١) الاعراف : ١٩٨ .
(٢) في المخطوطة (لا يعقلون) .
(٣) ال عمران : ١٧٩ .

ويسمعون من الدلائل عليه من آياتِ الكتاب ، وآثارِ الصَنْعَةِ ، واتصالِ التدبير ، الذي يَدُلُّ عليهِ أَنَّهُ واحدٌ لا شريك له .

وحكى تعالى قولَ أَهلِ النارِ فقال : « وقالوا لو كُنَّا نسمعُ أَو نَعْقِلُ ما كُنَّا في أَصحابِ السعير »[1] .

وقد كانت لهم عقولٌ وأسماعٌ لَزِمَتْهُم بها الحُجَّةُ لله عز وجل . وإِنَّما عنى عَزَّ وجَلَّ أَنَّها لم تَعْقِلْ عن الله فهماً لِمَا قال من عَظِيمِ قَدْرِ عذابه ، فندِمَتْ ، ونَادَتْ بالوَيْلِ والنَّدَمِ لا أَنَّها لم تَكُنْ تَسْمَعُ ولا تَعْقِلُ ، ولا كانوا بمجانِينَ ، ولكن يعقلون أَمْرَ الدُّنيا ، ولا يَعْقِلونَ عَنِ الله ما أَخبر عنه ووَعدَ وتَوَعَّدَ .

قلت :[2] فمتى يُسَمَّى الرُجلُ عاقِلاً عن الله تعالى ؟

قال : إِذا كان مؤْمناً خائفاً من الله عز وجل .

والدليلُ على ذلك أَنْ يكونَ قائماً بأَمْر الله الذي أَوجبَ عليه قيامَ به مُجانباً لما كَرِهَ ونَهاهُ عنهُ . فإِذا كان كذلك استحقَّ أَن سَمَّى عاقلاً عن الله .

بل لأَنه لا يُسَمَّى عاقلاً عن الله مَنْ يعزم على القيـــام بِسُخْطِه

---

(١) الملك : ١٠ .

(٢) نرجح أن السؤال للجنيد .

فأقامَ على ذلك مُصِرّاً غيرَ تايب .

قلتُ : فمتى يُسَمَّى العاقلُ عن الله كامِلَ العَقْلِ عن الله تعالى؟

قال : إنَّ العَقْلَ عن الله تعالى لا غايَةَ له . لأنه لا غايةَ لله عز وجل عند العاقل بالتحديد ، بالإحاطة بالعلم بحقائقِ صفـــاتِه ، ولا بِعَظيمِ قَدْرِ ثوابِهِ ولا عِقابِهِ إذْ لم يعاينْها .

ولو عاين الله جَلَّ ثناؤُه وتقدَّسَتْ أسماؤُهُ بِصِفاتِهِ لما أحاطَ به علماً .

ولكن ، وقـــد يَقَعُ اسمُ الكمالِ على الأَغْلَبِ في الأسماء في العقل عن الله تعالى لا العقل بالكمال الذي لا يَحْتَمِلُ الزيادَةَ .

أَلَا تَراهُ عَزَّ وجَلَّ يقولُ لرسولِهِ ﷺ « وقـــل ربِّ زِدْني عِلْماً »[1] . وقال : « ولا يُحيطُونَ به عِلْماً »[2] .

ورُوي عن الملائكة انها تقول يوم القيامة « ربِّ ما عبدْناكَ حَقَّ عِبادتِكَ » .

فلا أَحد يساوي الله عَزَّ وجَـــلَّ في العِلْمِ بنفْسِهِ فيعرفَ عن عَظَمَتِهِ تعالى كَمالَ صِفاتِهِ كما يعلمُ الله عَزَّ وجَلَّ عن نَفْسِهِ .

---

(١) طه : ١١٤ .

(٢) طه : ١١٠ .

فأَعظمُ العاقِلِينَ عنده العارفين عقـــلاً عنه ومعرفة به ، الذين أَقرُّوا بالعجز انهم لا يَبْلُغُونَ في العقلِ والمعرفةِ كُنْهَ مَعْرِفَتِهِ .

ولكن قد يُسَمَّى كاملاً في العقل عن الله (١٠٩) في ما غَلَبَ عليه من الأَفعال التي كانت عن العاقِلِ كاملاً مَنْ كانت فيـــه ثلاثُ خلال :

الخوفُ منه والقيامُ بأَمْرِهِ ، وقوةُ اليقين به ، وبما قال ووعد وتوَّعَدَ .

وحُسْنُ البَصَر بدينهِ بالفقه عنه فيما أَحبَّ وكَرِهَ مِنْ عِلْم ما أَمَرَ به ونَدَبَ إليه ، والوقوفِ عند الشُبُهـــاتِ التي سَمَّى اللهُ الوُقوفَ عنها رُسوخاً في العلم به .

فإذا اجتمع الخوفُ منه ، وقوةُ اليقين به وبمـــا قال ووعد وتوَّعد ، وحُسْنُ البَصَر بِدِينِ الله ، والفقه في الدين فقـــد كَمَّلَ قوةَ عقله .

وإن كانَ الخَوْفُ مِنَ اللهِ هو مِنْ قُوَّةِ اليقين بالوعيد ، فإنه قد يكونُ خائفاً ، ولا يكونُ معه اليقينُ القويُّ الذي ينالُ بـــه الرضى والتوكُّل والمحبة والزهد .

فمن ثَمَّ قُلْنا : الخوفُ من الله وقوةُ اليقين والبصرُ بالدين ، لأَنه قد يكونُ قويَّ اليقين وليس يُحْسِنُ البَصَرَ بالدين . ويكونُ بَصيراً بالدين لا خائفاً ولا قويَّ اليقين .

وجِماعُ هذه الثلاثِ الخصال قوةُ اليقين، وحُسْنُ البَصَر بالدين.

وإنما زِدْنا ذِكْرَ الخَوْفِ ، وإن كان من اليقينِ لأَنه قد يكونُ خائفاً ، وليس بالقويِّ اليقين في كمالِ ما قال اللهُ عزَّ وجلَّ مما وَصفَ به نَفْسَهُ من قَدْره وجلالِهِ وعَظَمَتِهِ ، وما وعد وتَوَعَّدَ ، وحَذَّرَ ، ورَجا ، وأَنعَم ، وابْتَلَى به .

ثم هذه الثلاثُ الخلالُ حقائقُ من الفعل بالقلب والجوارح ، لأَنه إذا تَمَّ عَقْلُ المؤمنِ عن ربِّه أَفْرَدَهُ عزَّ وجَلَّ بالتوحيدِ له في كُلِّ المعاني ؛ فعلم انه مالكٌ له لا غيره ، وأَنه عَتيقٌ ممن سِواهُ ؛ فَتَواضَعَ لعَظَمَتِهِ ، واستَعْبَدَ ، وخَضَعَ لِجَلالِهِ ، ولم يَذِلَّ لِمَنْ سواه ؛ وعَقَلَ عنه أَنه الكاملُ بأَحسنِ الصِّفات ، المتنزهُ ، من كُلِّ الآفاتِ ، المُنْعِمُ بِكُلِّ الأَيادي والإِحْسان . فاشتدَّ حُبُّهُ له ، لما يَسْتَأْهِلُ لِعَظيم قَدْرِهِ ، وكريم فَعَالِهِ ، وحُسْنِ أَياديه .

وعقل عنه أَنه لا يملِكُ نفعَهُ وضرَّهُ في دنياه وآخرَتِهِ إِلَّا هو ،

فأَفْرَدَهُ بالخوفِ ، والرجاءِ وحدَهُ وآمَنَ به ، وأَيِسَ مِنْ جَميعِ خَلْقِهِ . فهو المُوحِّدُ له إذا عقل وحدانِيَّتَهُ وتفرُّدَهُ بكلِّ معنًى كريمٍ ، ووصْفٍ جميلٍ ، وجلالَ عَظَمَتِهِ ، ونفاذَ قدْرَتِهِ ، ومُضيَّ إرادتِهِ ، وإحاطَةَ علمِهِ ، وقديمَ أَزَليَّتِهِ وأَوَّليتِهِ .

فإذا كان كذلك زايَلَ الكِبْرَ على (العبادِ) [1] لخضوعِهِ لجلالِ اللهِ مولاهُ فتواضَعَ للحقِّ ولم يَحْقِرْ مسلِماً لشدةِ معرفتِهِ بِصِغَرِ قَدْرِ نفسِهِ ولِما جنى من الذنوبِ على نفسِه ولعلمِه بأَنَّ خواتِمَ الأَجَلِ بسوءِ العواقِبِ وحسنَ الخاتمةِ من الشقاءِ والسعادةِ قـــد سبقَ بها العلْمُ ونَفَذَتْ فيها المشيئةُ .

فقد أَمِنَ مَنْ عرفَه كِبْرَهُ وبَغْيَهُ وقد عَقَلَ عنِ اللهِ جَلَّ وعَزَّ حُجَجَهُ على خَلْقِهِ واعتذارَهُ إلى خَلْقِه بأَنه ليس لهم بظـــالم ، وانه قد بدأَهم بالرحمةِ قبل العُقوبةِ وقد سبقت (منه) [2] الأَيادي قبل الشكر . طويلُ الحلم ، دائمُ التأَنِّي ، جميـــلُ الستر ، مُقيلُ العَثَراتِ ، مُحْسِنٌ إلى مَنْ تَبَغَّضَ إليه ، متقرِّبٌ إلى مَنْ تباعَدَ منه ، وعقل عنه أَمْره وآدابَهُ وأَحكامَهُ وعقل داءَ النفوسِ ودواءَها .

---

(١) في المخطوط (العبادة) .

(٢) في المخطوط (من) .

فمن عرفه أَمَّلَ الرشدَ منه ، وأَن يَحْيا بمنطِقِهِ ، ويعْقِل عن اللهِ جَلَّ ذِكْرُهُ بتأْديبِهِ له .

وعَقَلَ عن اللهِ عَزَّ وجَلَّ ما عَظَّمَ مِنْ قَدْرِ ثوابه في جَنَّته بدوامِهِ ، وطيبِ العيشِ فيه ، وزوال الآفات والتكابر ، والتنغيص عنه ، وانه فوق ما تُحِبُّ النُّفوسُ ، لا يُحْسِنُ أَحدٌ أَن يخطُرَ ببالِهِ ذِكْرُ كثيرٍ مما أُعِدَّ فيها .

وقد قال الرسول ﷺ : « أَعَدَّ اللهُ عَزَّ وجَلَّ في جنته ما لا عينٌ رأَتْ ، ولا أُذنٌ سمعت ، ولا خطر على قلب بشر » .

وكفاكَ بالله تعالى واصِفاً عما أَعَدَّ لأَوليائِهِ إذ يقول عز من قائل : « فلا تعلمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لهم مِن قُرَّةِ أَعْيُن »[1] .

فقد أَخبرنا انه جاز في الكمال ، والنعيم ، (وقُرَّةِ) العيونِ وصفَ الواصفين ، ومعرفة العارفين ، وذِكْرَ الذاكرين لجميع النعيم . فَعَظُمَ في قلبه جوار مولاه ، (و) ما أَعدَّ فيه لمن أَناب إليه وأَطاعَهُ ، فشخَصَ إليه بعقْلِهِ ، فاتَّصل ما استودع قلبه من العلم بذلك لمشاهدته بعقله حتى كأَنه رأْيُ عينه كما قال حارثة : « فكأَني أَنْظُرُ إلى عرش

---

(١) السجدة : ١٧ .

ربِّي بارزاً ، وإلى أهل الجنة يتزاورون » .

وكما قال الحَسَنُ وذكر أَولياءَ الله في الدنيا فقال : « صَدَّقوا به فكأَنما يَرَوْن ما وُعِدُوا رأْيَ العين » .

فلما اتَّصل عَقْلُهُ بمشاهدةِ ذلك حَنَّ واشتاقَ ، فلمَّا حَنَّ واشتاقَ تعلَّقَ قَلْبُهُ واشتغل ، فلمَّا اشتغَلَ بالشَّوْقِ إلى جِوارِ ربه سلا عن الدنيا فلها عنها (١١٠) فَمَنْ تَفَكَّرَ في دارِ الدُّنيا — أَين هي من جوار ربه إذ يقولُ عَزَّ وجَلَّ « لعلَّكم تفكرون »[1] في الدنيا والآخرة . قيل في التفسير : تفكَّروا فيها فعلموا أَنَّ الدنيا دارُ فناء ، وأَنَّ الآخِرةَ دارُ جزاءٍ وبقاء — فعقل نَعْتَ ربهِ لزوال الدنيا وفنائها ، وأَنَّ كل ما أَخَذَ منها لغيرِ القُربةِ إلى ربِّه في جِوارِهِ ناقِصٌ مِنْ دَرَجاتِ القُرْبِ ، وكمالِ النعيمِ في جِوارِ ربه ، وأَنَّ فيه الحسابَ والسؤَالَ عن نعيمِها بالحبسِ عن السَّبْقِ في أَوائِلِ الزُّمَرِ إلى جِوارِ رَبِّه ومولاهُ ، وانها مَشْغَلَةٌ له عن الاشتغالِ بربِّه ما دامَ فيها حتَّى ما يعدِلُهُ من الأُنْسِ بربِّه وحلاوةِ مُناجاةِ سيِّده .

---

(١) وردت في ايات كثيرة من القران .

فارتفع قلبُهُ عنها وتمنَّى أَنْ لو استغْنى أَنْ يتناولَ منها شيئاً ، فلم يَجِدْ بُدّاً من الأَخْذِ منها ما يُقَوِّيهِ على طاعةِ ربه خوفاً أَنْ يُمسِكَ عن القُوتِ فينقطعَ عن عبادةِ ربِّه .

فكان نصيبُهُ منها القوتَ من الغذاء ، ولم يتكلَّفْ ما جاز بُلْغة القوت من غذائه وستر عورته ، وان تكلف طلبه لم يتكلف إلَّا للقُرْبةِ إلى ربِّه ، فإن ابتُلِيَ منها بما فوق غذائِهِ ، وسَتْرِ عورتِه مِنْ مِثْلِ ميراث أَو غيره فمبذولٌ كُلُّهُ لربِّهِ يفرحُ بإخراجِهِ ، ويغتمُّ أَن يَمكُثَ عنده أَقلَّ من طَرْفَةِ عَيْنٍ .

وعقَلَ عن اللهِ تعالى آياتِهِ في تدبيرِهِ ، وحكمتِهِ ، في آثار صنعتِهِ ، ودلائِلِ حسن وتقديره ؛ (فَ) عَلِمَ أَنَّه بِقُدْرَةٍ نافذةٍ قَدَّرَها ، وبحكمةٍ كاملَةٍ أَتْقَنَها ، وبعِلْمٍ مُحيطٍ اخترَعَها ، وبِسَمْعٍ نافذٍ سَمِعَ حَركاتِها ، وببَصَرٍ مُدْرِكٍ لها دَبَّرَ لَطَائِفَ خَلْقِها ، وغوامِضَ كوامِنِها ، وما وارَتْهُ حُجُبُها وسَوَاتِرُها .

فاستدَلَّ بذلك أَنَّه الإِلهُ العظيمُ الذي لا إله غيرُهُ ، ولا رَبَّ سِواهُ . فكأَنَّ جميعَ الأَشياءِ عينٌ يَعْتَبِرُ بها ، ويُجِلُّ ويُعَظِّمُ لِما يَرَى ويَسْمَعُ (من) مولاه وسيده ، فدام ذِكْرُهُ وزالتْ عن اللهعزَّ وجلَّ غَفْلَتُهُ ، وعقَلَ عن الله تعالى انه ما يبلغُه غاية العلم به ، ولا بلطائفِ

مَحابِّهِ ، والقربِ إليه والفَهْمِ لِما كَلَّمه به ، فكان مع سيِّده اجتهادُهُ ، ودوامُ اشتغالِهِ بربِّه ، غير تاركٍ ولا منقطعٍ عَن طلب الازديادِ من العلم بربه. والتَّزيُّدُ في الفقه عنه أَعلى في قلبه ، وأَعظم عنده قدراً من الازدياد من كثير أَعمال النوافل ، إذ عقل عن ربه أَنَّ أَقلَّ قليل المعرفةِ يُورِثُ التعظيمَ والهيبةَ ، ويبعثُ على الاجتهاد ، ويورِثُ الطاعاتِ ، والشغلَ عن جميع العباد .

وعقَلَ عن الله تعالى أَنَّه ابتدأَ عِبادَهُ بالرحمةِ والتفضُّلِ والإِحسانِ بعد تقديمِ العِلْمِ منه لهم انهم سيَعْصُونَهُ ويخالِفُونَ أَمْرَهُ فلم يمنعْهُ ذلك عن ابتدائِهِمْ بالنِّعَمِ والتَّحَنُّنِ والرحمةِ والإِحْسانِ . وجعلَ أَفضلَ أَوليائِهِ عنده ، الرحماءَ بخلْقِهِ ، المتحنِّنين على عبادِهِ ، الناصحينَ لبريَّتِهِ ، وهم رسلُهُ الداعون العبادَ إلى نجاتِهِم ، والمحذِّرونَ لهم من هلكتهم ، المتحمِّلونَ منهم الأَذى ، والمتحنِّنونَ عليهم بالرحمةِ والنُّصْحِ ، والإِشْفاقِ مع أَذاهُم لهم ، وتكذيبِهِم إيّاهم واستهزائهم بهم ؛ لا يكافئونهم بمثل ما نالوا منهم ، ولا ينصرفون عن الإِشْفاقِ عليهم إذ سَمِعُوا الله جل ثناؤُه يَصِفُهُم إذ قالوا لنوح : « إنا لنراك في ضلال مبين »[1] .

---

(١) الاعراف : ٦٠ .

وقالوا لهود : « إنا لنراك في سفاهة »[1] .

ثم وَصَفَ جوابَهُا فقال نوح : « ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين »[2] إلى قوله : « ولعلكم ترحمون » .

ووصف ردَّ هودٍ عليهم فقال : « يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسولٌ من ربِّ العالمين ؛ أُبلِّغُكم رسالاتِ ربي ، وأنا لكم ناصحٌ أمين »[3] . إلى قوله : « لعلكم تفلحون » . أي تظفرون بثواب الله إن قبلتم مني ، فأخبرهم بعد تسفيههم له انه لم يَنْصَرِفْ من أجل ذلك عن النصيحة لهم لعلهم يفلحون .

وقال إبراهيم عليه السلام : « فمن تبعني فإنه مني ، ومَنْ عصاني فإنك غفور رحيم »[4] .

وقال النبيُّ ﷺ ، ووصف نَبياً من الأنبياءِ شَجَّهُ قَومُهُ فهو يمسحُ الدَّمَ عن وجهِهِ وهو يقول : « ربِّ اغفِرْ لقومي فإنهم لا يعلمون » .

ورُوي أنَّ نوحاً عليه السلام كان يَخْنُقُهُ قَوْمُهُ حتى يُغْشى عليه فإذا أفاق قال : « ربِّ اغفِرْ لقومي إنَّهم لا يعلمون » .

---

(١) الاعراف : ٦٦ .
(٢) الاعراف : ٦١ .
(٣) الاعراف : ٦٧ .
(٤) إبراهيم : ٣٦ .

وفضَّلَ النبيُّ ﷺ صدِّيقَ هذه الأمة عليها بالرحمة لها ، فقال : « أرحمُ أُمَّتي بها أبو بكر » .

فلمَّا عقل عن الله عز وجل (١١١) ما ابتدأ العبادَ به من الرحمة ، وأنه خصَّ أعظمَ خَلْقِهِ عنده قدراً ، وفضَّلَهُ بها على جميعِ العباد .

ألزم قلبَهُ رحمةَ الأُمَّةِ فأَحبَّ مُحْسِنَهُمْ ، وأشفق على مسيئِهم ، ودعا إلى الله سبحانه - إذا أمكنه - مُدْبِرَهُمْ ، ولم يدَّخِرْ مالاً عن فقيرهمْ فَفَضْلُ ماله عليهم مبذول ، والمواساةُ في قُوتِهِ منهم المجهودُ . مَنْ سأَلَهُ منهم ما يَقْدِرُ عليه لم يتبرَّمْ بطلبِهِ ، ولم يَضْجَرْ بإعطائه للرحمةِ التي لَهُمْ في قلبه ، ومن آذاهُ وأساءَ إليه لم يَجِدْ في نفسِهِ كراهيةً للعَفْوِ والصَّفْحِ عنه . يَعُدُّهم جميعاً كاقربِ الخَلْقِ منه . كبيرُهم مثلُ أبيه ، وصغيرُهم كولدِهِ ، وقِرنُهُ كأَخيه ، فكُلُّ هؤُلاء يُحِبُّ الإحسانَ إليهم ، وأَن لا يفارقَ قَلْبَهُ الشفقةُ عليهم .

وعقلَ عن اللهِ تعالى عظيمَ قَدْره وقدر ما يطلُبُ من ثوابِهِ ، وما يخافُ من عقابه ، وعظيمَ الأَيادي وكثرةَ النعيم عنده ، وأَنَّ جميعَ خلقِهِ من أَهل سمواته وأَرضه لو دأَبوا جميعاً واجتهدوا عُمرَ الدنيا كلها وأَبداً ما أَدَّوا شُكْرَ نِعَمِهِ ولا أَدَّوا ما يَحِقُّ في عظمته . فكيف بالحلول في جواره ، والنجاة من عذابه ؟

فقد عقل أيَّ ربٍّ يعبد ، وأيَّ ثواب يطلب، ومن أيِّ عقاب وعذاب يَهْرُبُ ، وأيَّ نعيمٍ يَشْكُرُ . والشكر أيضاً ممن هو ومَنْ مَنَّ به ؟

فلما عقل ذلك كُلَّه عن ربه استقلَّ واستصْغَرَ جميع دؤوبه واجتهادِهِ لِعَظيمِ ما عَقَلَ من جميعِ ذلك .

وعقلَ عن اللهِ تعالى ما وَصَفَ به نَفْسَهُ أنها بالسوءِ أمَّارة ، وللذنوب مسوِّلة ، وانها هي التي جَنَتْ عليه ما قد أحصاه ربُّه عليه، ولم يأْمَنْ أن يكون قد حَلَّ به غَضَبُهُ ، وانه لا يكادُ يَعْدِلُ في بعضِ أحوالِهِ أن يتعرَّضَ لبعضِ مَسَاخِطِهِ ، وأنه قد لَزِمَتْهُ عظيمُ حُجَّةِ ما خُصَّ به من العلم ، وما مَنَّ عليه به من المعرفة دون أكثرِ العَوامِّ . فاستكثر قليلَ طاعتِهِمْ واستعظَمَها مع استصْغارِ كثيرِ الطاعاتِ من نفسه لأنه أعلمُ بنفسِهِ وبِذُنوبِهِ من ذنوبِهِمْ ، وأنَّ الحُجَّةَ عليه أعظمُ منها عليهم .

وعقلَ قَدْرَ مَنْ عصاه وخالفه فيما أمره به ؛ فعقل قَدْرَ عظمةِ مَنْ عصاه ، وشدَّةَ غَضَبِهِ ، وشِدَّةَ عذابه ، وهَوْلَ المُكْثِ في عقابه إن لَمْ يَعْفُ عنه .

فعقل كَثْرَةَ ذنوبهِ و (سوءَ رغبةِ) نفسِهِ ، ودناءَةَ همتـــهِ ، وعجيبَ جهله ؛ إذ كان قد آثَرَ على رِضَاهُ من العبيد ما لا معنى لهم في دُنْيا ولا آخرة بِمِلْكٍ ، ولا نَفْعٍ ولا ضرٍّ ، وإيثارَهُ من الدنيا المكدِّرَ المنغِّصَ الفانيَ منه ، والفاني هو عنه ، والباقي عليه بعد فنائِهِ شدة الحساب ، وعظيم السؤال عنـــه ثم لا يَأْمَنُ من سخط الله في الآخرة على ذلك أن يَحِلَّ به .

فلمَّا عَقَلَ عن اللهِ عَزَّ وجَلَّ جميعَ ذلك من نفسِهِ ، وتستَّر عنه عامة ذنوب الخلق ، وحقَّتْ عليهم الحجَّةُ بدون ما وَجَبَتْ من الله عز وجل من أَجل العلم الذي استودعه ، والستر عليه لذنوبه وما حَبَّبهُ إلى عبادِهِ ؛ لم يأْمَنْ أَنْ يكونَ استدراجاً له ، وأَنَّه وُكِّلَ بالخوفِ على نفسِهِ قبل غيره ، وانه لا يأْمَنُ لِسالِفِ ذنوبه ، وتضييعِ شُكْرِ نِعَمِ ربِّه ، وعظيم ما لَزِمَهُ من الحُجَّةِ ، وان يُخْتَمَ له بغيرِ دينِ الإسلام ، أَو بعظيمِ الذنوب مع الإيمان ؛ فلم تقع عينُهُ على أَحدٍ ، ولم يستمع به من المسلمين إِلَّا خاف أَن (ينجوا) ويهلك هو دونه . (يكسر) قَلْبَهُ مَنْ يرى مِنْ أَهلِ الطاعاتِ ، ويقطعُ عليه أنه خيرٌ منه ، ويتمنَّى أَنْ يكونَ مثله ، ويهيجُ عليه الخوف من قلبه مَنْ رآه دونه في الدين يخافُ أَن يهلكَ هو دونه ، أَو يُختم له

بأشرِّ الأعمال لعظيمِ حُجَّةِ العلم ، وجميلِ السَّتْرِ عليه ، ولِما أَمرَ به من خوفِ سُوءِ الخواتم التي مات عليها الأشقياءِ . فهو مُتَواضِعٌ للعباد كلِّهم لشدَّةِ ذِلَّةِ الخوف على نفسه .

وعَقَلَ عن اللهِ عزَّ وجلَّ ما بَيَّنَ من قَدْرِ الدنيا والآخرة فعقلَ صِفَةَ الآخِرَةِ بنعيمِها ومُلكِها وشرفِها وعِزِّها ، وعظيم قَـــدْر سكانها أنها في جوار المولى ، وما وُصِف به سوءُ عيش الدنيا وضَعةُ رفعتها عنده يوم يحاسِبُ عباده ، وذُلُّ العزيز بها عنده في يوم يبعث خَلْقَهُ ، وحقارَةَ المتكبِّرين في عينه ، وصنعه بهم يوم النشور حتى انهم ليُحشرون في صُوَرِ الذَّرِّ دون جميعِ العِباد .

وعقلَ عن اللهِ تعالى ما أمره به ، وأخبر أَنَّ الفقير مَنِ استغنى بالدنيا عنها ، ومن (يجازي) بما (١١٢) حرمه من خفةِ الحساب والتصاعُدِ في معالي درجاته .

فلمَّا عقلَ ذلك كُلَّهُ عن ربه كان الفقرُ في الدنيا أَحبَّ إليه من الغِنَى بها ، وكان التواضُعُ أَحبَّ إليه من الشرف فيها ، وكان الذُّلُّ أَحبَّ إليه من العِزِّ بها .

مسألة في العقل

الحُجَّةُ حجتان :

عَيَانٌ ظاهرٌ ، أَو خَبَرٌ قاهرٌ .

والعقلُ مُضَمَّنٌ بالدليل ، والدليلُ مضمَّنٌ بالعقل .

والعقلُ هو المستدلُّ .

والعَيانُ والخَبَرُ هما عِلَّةُ الاستِدْلالِ وأَصْلُهُ .

ومُحالٌ كَوْنُ الفَرْعِ مع عدمِ الأَصْلِ ، وكَونُ الاستدلالِ مع عَدَمِ الدَّليل .

فالعَيَانُ شاهدٌ يَدُلُّ على غيبٍ .

والخَبَرُ يَدُلُّ على صِدْقٍ ؛ فَمَنْ تنـــاولَ الفَرْعَ قبل إحكامِ الأَصْلِ سُفِّه .

وَرُبَّ حَقٍّ أَحقَّ مِنْ حَقٍّ ، كَمَنْ عفا ومن اقتصَّ، وكاقْتضاءِ

الدَّيْنِ ساعَةَ مَحلِّهِ ، أَو تَرْكِهِ قليلاً إحساناً إليه ، فَقَدْ أَحسنَ في الطَّلَبِ .

فكم مِنْ حَسَنٍ أَحْسَنَ مِنْ حَسَنٍ غيره ، وقبيحٍ أَقبح من قبيحٍ ، وفرضٍ أَوجبَ من آخرَ ، وفَضْلٍ أَفْضَلَ مِنْ فَضْلٍ آخرَ .

والحُبُّ والبُغْضُ إذا أَفرطـــا أَنقصا الاعتدال ، وأَفسدا العقل ، وصوَّرا الباطِلَ في صُورةِ الحَقِّ .

فأَهْلُ الشَّرِّ لا يُفَرِّقُونَ بين (أَئِمَّتِهِمْ) كما لا يُفَرِّقُونَ (بين) إمامِهِمْ .

وإنَّ الحَقَّ في كُلِّ أَمرٍ بَيِّنٌ ، والباطِلَ في كُلِّ حالٍ داحضٌ ، إلَّا أَنَّ كثيراً من الناسِ لا يَعْرِفُ وَجْهَ مَطْلَبِهِ ، وبعضُهُم يَعْرِفُ بَعْضَهُ ويجهلُ بعضَهُ ، ومنهم مَنْ عرفَ ثم نَسِيَ ومنهم من يَعْرِفُ أَكْثَرَهُ ولا يعرفُ أَسْهَلَ طُرُقِهِ ، وأَقربَ وَجْهِهِ .

فجميعُ الحَقِّ في فُنونِ الطاعاتِ ، وتحذير الباطل في مذاهبه إذا جمع وأَلف ، وكانَ أَنْشطَ لِحِفْظِـــهِ ، ويفهمُهُ مَنْ كان لا يَنْشَطُ لأَن يطلُبَ عملَهُ حَتَّى يجمعَهُ .

والعالِمُ به يُريدُ جَمْعَهُ في بَصيرَتِهِ ، وجَمْعَ كُلِّ مذهَبٍ إلَّا

خبرَ الواحِدِ لِمَنْ كان لا يعرفُ إلَّا بعضَهُ .

ويذكِّرُ الناسَ بما قد عَلِمَهُ فَنَسِيَهُ ، وينبِّهُ المُتهاوِنَ لِما كان قد اشتغَلَ عن العِنايةِ بالقيام به ، ويُبيِّنُ للزَّائغ عن طَرِيقِ الرُّشْدِ أَنه قَدْ تَرَكَهُ . ولعلَّ مَنْ نَظَرَ فيه بالإعْجابِ برأْيِهِ أَن يَنْقُضَ مذاهِبَهُ ، إذا فَهِمَ حُسْنَ العبارةِ عنه ، وإيضاحَ حُجَجِهِ ، ونُورَ بيانه ؛ يتنبَّهُ مِنْ رَقْدَتِهِ ، ويُفيقُ من سَكْرَتِهِ ، لأَنَّ الحَقَّ عزيزٌ أَينَ كانَ ، والباطل ذَلِيلٌ في كُلِّ أَوانٍ .

والحُجَّةُ ظاهرةٌ بنورِها على الشُّبْهَةِ .

وليسَ مَنْ تفرَّدَ بكتابٍ يقرؤُه وحده مُتَثَبِّتاً فيه ؛ لا يَشْغَلُهُ عنه سببٌ يقطعُهُ كَمَنْ نازَعَ غيره لأَنه يعترضُ في المُناظرةِ آفاتٌ كثيرةٌ من العُجْبِ بالرأْي .

والذي يَمنَعُ مِنَ الفَهْمِ الأَنَفَةُ التي تَمنَعُ من الخُضُوعِ للحقِّ ، وحُبُّ الغَلَبة الذي يَبْعَثُ على الجَدَلِ ، والجَزَعُ من التَّخْطِئَةِ التي تَمنَعُ من الإذْعانِ بالإقْرارِ بالصَّواب .

فَلمَّا كَثُرَتْ آفاتُ المُناظَرَةِ ، وكان التفرُّدُ بقراءةِ الكتابِ المجموعِ فيه ، والمؤَلَّف فيه حدود الحق ، رأَيتُ أَنْ أُصَنِّفَهُ مبيناً ،

وأَستشهدَ عليه الكتابَ والسنةَ وإجماعَ الأُمَّةِ أَو استنباطاً بيِّناً ، أَو قياساً إذا عدم البيانُ بالنصِّ فيما يجوزُ فيه القياسُ وإلَّا فالتسليم .

(والأَصونُ)[1] الكفُّ عن تَكَلُّفِ ما نُهِيَ عنه مما يَسَعُ جَهْلُهُ ، ولا يؤَدِّي عِلْمُهُ إلى القُرْبى . بل تَرْكُ البحْثِ عنه هو القُرْبى والوسيلةُ إلى رِضى الله عز وجل .

ولا غَناءَ بالعَبْدِ عن التَّفْكيرِ والنَّظَرِ والذِّكْرِ لِيَكْثُرَ اعتبارُهُ ، ويزيدَ في علمه ، ويَعْلُوَ في الفضل .

فَمَنْ قَلَّ تفكُّرُهُ قَلَّ اعتبارُهُ ، ومَنْ قَلَّ اعتبارُهُ قَلَّ علمُهُ ، ومن قَلَّ علمُهُ كَثُرَ جَهْلُهُ ، وبانَ نَقْصُهُ ولم يَجِدْ طَعْمَ البِرِّ ، ولا بَرْدَ اليقين ، ولا روحَ الحكمة .

وما بلغ عِلْمُ مَنْ دَرَسَ العِلْمَ بلسانِهِ ، وحفِظَ حروفَهُ بقَلْبِهِ ، وأَضرَبَ عن النَّظَرِ والتَّذكُّرِ والتَّدبُّرِ لمعانيه وطلب بيان حدوده ؟

ما أَقربَهُ في حياتِهِ من حياةِ البهائمِ التي لا تعرفُ إلَّا ما باشَرَتْهُ بِجَوارِحِها ، لكنَّ المتذكِّرَ النَّاظِرَ فيما يَسْمَعُ ، المتدبِّرَ لِما

---

(١) في المخطوطة : (والأصول والكف) .

عَلِمَ ، المتفهِّمَ لما به أُمِرَ ، الطالبَ لنهايةِ حُدود العلمِ ، الغائصَ على غَامِضِ الإصابة ، المُحكِم للأُصول ، الرَّادَّ عليها الفُروعَ ، هو المُفَرِّق بين ما لَهُ وما عليه ، والمُبْصِر لما يُصْلِحُهُ ومـا يُفْسِدُهُ ، القوي على عصيان طبائِعِهِ المنازِعةِ إلى مـا يُهْلِكُهُ ، والمخالِف لِشَهواتِهِ التي تُرْديه .

عارفٌ بعواقبِ الأُمور وبما يَحْدُثُ في غابِرِ الدهور (١١٣) مما حدثَ منه ، وهـابَ ربَّه ، المؤْثرُ لذَّةَ عقلِهِ على لَذَّةِ هَواهُ .. لَذَّةُ الحكماءِ العلماءِ في عقولِهم ولذةُ الجُهَّالِ والبهائِمِ في شَهَواتهم .

وأيُّ سُرورٍ يَعْدِلُ سُرورَ العِلْمِ ، وروحَ اليقينِ ، وعظيمَ المعرفةِ ، وكثرةَ الصوابِ ، والظفرَ الذي لا يَثْبُتُ ولا يُنالُ إلَّا بحُسْنِ النَّظَرِ ، وطولِ التَّذكُّرِ ، وتكْرارِ الفِكْرِ ، والتقديمِ في التَّكْبير .

فبذَلِكَ ظَفِرَ بالعِلْمِ باللهِ ، والتعرُّضِ لِوِلايتِهِ ، وطلبِ الجاهِ عنده ، والتسليمِ لأَمْره ، والتوكُّلِ على كِفايَتِهِ ، وبَذْلِ القليلِ من الدنيا للثوابِ الجَزيل ؛ لأَنه الربُّ الكريمُ .

مَنْ طلبَهُ وجدَهُ ، ومن استكْفاهُ كَفاهُ ، ومن اتَّقاهُ وَقاهُ ،

ومن تَقَرَّبَ إليه أسرع إليه بالإجابة .

يدعوكَ إن أَدْبَرْتَ ويَقْبَلُكَ إنْ رَجَعْتَ ، ويحمَـدُكَ على حَظِّكَ ، ويُثني عليكَ بما وهَبَ لكَ ، ويحضُّكَ على النَّظَرِ لنَفْسِكَ.

إنما يُمرِضُك لِيُصِحَّكَ — إن عقلْتَ — ويفقرُكَ لِيُغْنِيَكَ ، ويمنعُك ليُعْطِيَكَ ، يمنعُكَ القليلَ الفانيَ لترضى ؛ فيعطيَكَ الجزيلَ الباقيَ ، ويميتُكَ ليُحْيِيكَ ، ويفنيكَ ليُبْقِيَكَ ، ويُداويكَ بالأَمْراضِ لتبْرَأَ مِنْ سَقَمِ الذُّنوبِ ، ويَغُمَّكَ بالأَوجاعِ لِيَغْسِلَكَ مِنْ دَرَنِ الخطايا ، ويعركَكَ بالبَلاءِ ليُلينَ قَلْبَكَ لطَلَبِ الفَوْز .

ابتدأَكَ بالنِّعَم قبل إن تسأَله ، وثنَّاها بعدما ضَيَّعْتَ شُكْرَهُ ، وأَدامها بإحسانِهِ مع دوام الإعراض مِنْكَ عنه ، فكيف تعرفُ إحسانَهُ ، وتتبيَّنُ إساءَتَكَ ، وتُبْصرُ نَجاتَكَ ، وتتَّضِح لكَ أَسبابَ عَيْشِكَ إلَّا بالنَّظَر بعقلكَ فيما قال ؟ والتذكُّر والمجاهدة لنفسِكَ إلَّا لتَعرِفَ ما يُرضيه وتُجانبَ ما يُسْخِطُهُ ، ويباعِدُ منه ؛ لأَنه قد جَعَلَ فيكَ غَريزةَ العقل ، ومَنَّ عليكَ بالمعرفةِ ، وابْتَلاكَ بما في طِباعِكَ مما يهيجُ الغَضَبَ والرضى والبخلَ بالسُّكوتِ لأَنَّ الصَّمْتَ أَعجميٌّ، وفاعلُهُ كالأَخرسِ لا يعرفُ معناه إلَّا صاحبُهُ .

والقولُ فصيحٌ مبيَّن يَعْرِفُهُ سامِعُهُ ، ومَنْ بَلَغَهُ إلى يوم القيامة لم يَعْرِف القولَ الحَقَّ بالصَّمْتِ ، ولا جميعَ الأَعمـــالِ بالحَقِّ إلَّا بالقَوْلِ ، بل لم يعرف الصمتَ عن الباطِلِ إلَّا بالقول لِما عَرَفَهُ من الكتاب .

وإنَّما أَمر النبيُّ ﷺ بالصَّمْتِ لتاركِ القَوْلِ بالخَيْرِ فقـــال : « مَنْ كان يؤْمِنُ بالله واليوم الآخِرِ فليقُلْ خيراً أو ليصمت » .

ولم يُعرف الأُداءُ [1] والبيانُ عن جميعِ الإِحْسان إلَّا بالقول .

آخرُ كتاب مائيّة العَقْلِ ومعناهُ للحارث بن أسدٍ المحاسبيِّ ، والحمد لله حق حمده وصلواتُهُ على سيِّدِنا محمَّدٍ وآله وسَلامه .

---

(١) في الأصل : الأداب .

كتاب
فهم القرآن ومعانيه

تأليف

ابي عبد الله الحارث
رحمه الله

كتاب

فهم القرآن وحقيقة معناه

تمهيـــد :

يعتبر كتاب «فهم القرآن» من أهم الكتب في تاريخ التصوف الإسلامي على الإطلاق ، ليس لأنه تضمن كثيراً من الآراء الأصيلة فحسب ، ولكن لأنـــه يشكل برهاناً أكيداً على أن التصوف الإسلامي إنما هو إسلامي المصدر يعتمد الكتاب والسنة أصلاً له .

ولقد اعتمد كثير من الباحثين القدامى والمحدثين ، على كتاب « فهم القرآن » للمحاسبي فيما يتعلق بالتفسير ، وفيما يتعلق بالتصوف ، وفيما يتعلق بالفكر الإسلامي بوجه عام. ومن الطريف أن يعتقد البعض بأن كتاب « فهم القرآن » قد فُقد ، ولم يبق منه إلا شذرات منثورة هنا وهناك ، وهذا ما ذهب إليه بالفعل الدكتور عبد الحليم محمود [1] ، الذي استطاع ، بالرغم من اعتقاده هذا ، أن يلم بكثير من جوانب هذا الكتاب القيم ، معتمداً في ذلك على دراسة للاستاذ ماسينيون تناولت مقالة المحاسبي المعروفة باسم «تنبيه التنبيه» وعلى إشارات المحاسبي نفسه في بعض ما كتب ككتاب «العظمة» الذي ذكر فيه أن الدليل على وحدانية الله موجود في كتاب « فهم القرآن » [2] .

---

(١) د. عبد الحليم محمود : المحاسبي ٤٨ - ٤٩ . باريس ١٩٤٠ .

(٢) المصدر نفسه ٦٥ - ٦٦ .

ونحن نذهب مع الدكتور عبد الحليم إلى أن محاولة ترتيب كتب المحاسبي ترتيباً زمنياً هي من الصعوبة بمكان نظراً لأن هذه الكتب قد خلت من تواريخها، غير أن الكتاب عندما يتوفر نصه بكامله بين أيدينا من يكون السهل إلى حد ما البحث عن بعض الأحداث المشهورة ، فنربط بينها وبين تاريخ الكتاب إذا كان وضعه قد رافق هذه الأحداث بالذات .

وهذا ما فعلناه بالنسبة لكتاب « فهم القرآن » للمحاسبي ، ففي حين يحاول الدكتور عبد الحيم محمود أن يرتب ، منطقياً كتاب « فهم القرآن » في في المرحله الأولى من حياة المحاسبي أي قبل الثامنة والثلاثين من عمره ، على اعتبار أن الكتاب قد تميز بأسلوب هذا العصر الذي يشير إليه ، وبالموضوع الذي كان شغل المفكرين آنذاك ، وهو موضوع « فهم القرآن » والحديث في ذات الله وصفاته [1] ، فلقد حاولنا من جهتنا أن نرد هذا الكتاب ، تاريخياً إلى الزمن الذي نعتقد أنه وُضع فيه ، أي إلى الوقت الذي كان فيه المحاسبي قد بلغ فيه سن الخمسين على وجه التقريب . ذلك لأن هذا الكتاب قد وُضع في العقد الثاني من القرن الثالث الهجري على وجه التقريب . لأن المحاسبي يذكر فيه ولاية ابن طاهر على خراسان ، وقد وليها هذا على اثر استقرار الأمور في بغداد أيام المأمون .

والمحاسبي يذكر أن تولية عبد الله بن طاهر (١٨٠ ـ ٢٣٠ هـ) على خراسان كانت أمراً مشهوراً بحيث يستطيع الإجابة عليه كل أحد، وهذه الشهرة لن تكون إلا بعد ولايته بمدة . وقد وليها هو بعد وفاة أخيه طلحة واليهاسنة ٢١٤ هـ.

ولقد كان ابن طاهر ، وقت تأليف المحاسبي لكتابه هذا في قمة شهرته ، اذ يقول القائل : من بخراسان ؟ فيقال: ابن طاهر . فيكون تأليف هذا الكتاب في النصف الثاني من العقد الثاني من القرن الثالث للهجرة كما قلنا .

---

(١) المصدر السابق ٦١ ـ ٦٥ .

ثم ان هناك سبباً آخر لجعل هذه الفترة وقتاً لتأليف كتاب الحارث هذا، إذ تمكنت في ذلك الوقت سيطرة المعتزلة على الفكر في الدولة ، بعد أن انتصر المأمون لمذهبهم ، وحاول حمل الناس عليه . وفي الكتاب حملة على المعتزلة والرافضة معاً وهما الفرقتان اللتان ناصرهما المأمون في حماس وقوة .

وكتاب « فهم القرآن » هو أهم ما وصلنا من كتب الحارث وفي الرد على المبتدعة . فهو في مقدمته يتحدث عن نهج العقل المؤمن ويرى أن العقل الذي يزيغ ليس بعقل حق .

ثم يتحدث عن الفرق الزائغة فيركز على الرافضة الذين يهاجمهم في قولهم بنسخ الأخبار . ثم يعرج على بعض المغفلين من أهل السنة الذين يؤدي قولهم إلى مثل ما أدى إليه قول الشيعة ممن يقولون بالبدوات وحدوث الإرادات، ولا شك أنهم حشوية المحدثين ، ولا بد أنهم كانوا ذوي قوة ملحوظة في ذلك الوقت حتى اهتم الحارث بالرد عليهم .

ثم يبدأ بنقده الأشد والأطول لبعض أهل البدع من المعتزلة ـ كما يسميهم ـ فيمسك بخناقهم في زهاء (١٠ صفحات) من المخطوطة ويبدأ معهم في مسألة النسخ التي يقول انهم خلطوا فيها بين رأي أهل السنة السلفيين ،ورأي الحشوية ، وجعل ذلك مدعاةً لمهاجمتهم جميعاً . ومن هنا نفهم سر حملة المحاسبي على الحشوية إذ بغبائهم أفسحوا المجال أمام المعتزلة لضرب أهل السنة في علوم القرآن .

يبدأ معهم إذن في مسألة النسخ ثم يرد عليهم في بقية أجزاء مذهبهم ، فتتضح من خلال ذلك آراؤه الكلامية فهو يقول بقدم الذات والصفات ، ويثبت العرش والاستواء ، ثم يرد عليهم في العدل والوعد والوعيد ، وينعى عليهم تحجرهم العقلي ، ويسخر منهم في القول في المنزلة بين المنزلتين ، كما يحمل عليهم في نفي الرؤية والشفاعة ، ثم يعلل خطأهم في كل هذا واحتجاجهم على

ذلك كله بالقرآن بأنهم لا يعرفون الناسخ من المنسوخ ، كما لا يحسنون التأويل كما يريد الله ورسوله ، فيجعلون العام خاصاً والخاص عاماً .

ثم يعود في الجزء الأخير من الكتاب إلى تقرير الوضع الصحيح في فهم القرآن : ناسخه ومنسوخه ، وخاصه وعامه. وربما سقطت صفحة أوصفحتان من آخر المخطوط ، لأن الكلام مبتور . وقد يكون الساقط أكثر ، لأن الحارث يذكر في كتاب « العظمة » أن في « فهم القرآن » الدليل على وجود الله . وما تحدث عنه الحارث في كتاب العظمة غير موجود فيما بين أيدينا من « فهم القرآن » .

شرح وتلخيص

المقدمـــة :

أ – في تنزيه الله :

تتضمن الرد على الجهمية والمعتزلة والمشبهة والحشوية فهو يقول : « الحمد لله الذي ما سبقه شيء فيكون محدثاً مخلوقاً ، ولا بقي إلى أجل فيكون فانياً موروثاً ... فات المقدار وعلا عن توهم الأذهان ، تاهت الألباب عن تكييفه ، وتحيرت العقول عن إدراكه » فلا تشبيه ولا تجسيم وإنما هو تنزيه مطلق يتفق وجلال الألوهية .

ويصل إلى خلق الإنسان فيذكر أنه سبحانه « خلقه لغير وحشة في انفراد أزليته ، ولا استعانة به على ما يريده من تدبيره » ؛ فلا قيمة لمـــا يرويه الحشوية ، وينسبونه إلى الرسول « كنت كنزاً مَخفِيّاً فأردت أن أُعرف فخلقْتُ الخلق فبي عرفوني » .

ويفضي به القول إلى آراء الجهمية في تنزيه الله والمعتزلة في الذات والصفات فيرد عليهم في سياق المقدمة فهو سبحانه « علم ما كان وما يكون ومـــا لا يكون لو كان كيف كان يكون » وذلك « لتفرده بعلم الغيوب فلا حاجـــة للقول بصفات حادثة ، ولا حاجـــة لنفي الصفات بحجة التنزيه ما دام العلم واحداً في كل حال والمتغير تعلقه أي المعلوم إذ أن العلم هو انكشاف المعلوم على ما هو عليه .

ب – في العقل :

ولقد استخص الله آدم وذريته « فأخذ منهم الميثاق بما فطرهم عليه من العقول الرضية والألباب والفهم ليدبروا بها شواهد التدبير ، وأحكام التقدير» ولن يستطيع الإنسان أن يقدر نعمة الله في هبته العقل له حق قدرها إلا إذا عرف أن « العقول معادن الحكمة ، ومقتبس الآراء ومستنبط الفهم ، ومعقل العلم ، ونور الأبصار ، إليها يأوي كل محصول » .

ولأنه تفرد بعلم الغيب سبحانه ، فإنه لا يعرف صفاته ومراضيه ومساخطه إلا هو ، لذا فقد أرسل الرسل « فكلمهم تكليماً لا بأداة أو آلة بل (بذاته)» فخاطبوا العقل البشري بأمر الله (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) ففضل العقل ، في أنه الأداة التي تتلقى عن الرسل شرع الله ، وهذه هي وظيفة العقل ، أن يعقل الشرع لا أن يشرع ويبتدع من عنده ، فلم يكن ممكناً أن نعبد الله حق العبادة بغير رسالة ، وباسم العقل لأن العقل متلق وليس صانعاً .

القسم الاول :

لما كان القرآن بهذه المثابة من الأهمية إذ أنه المهيمن على العقل ، فلا بدمن تعريف به وبحامله ، وهو ما فعله المحاسبي في هذا الفصل ، وقد قسمه إلى عدة فقرات :

أ – فضائل القرآن :

« فقد أمرهم بالمكارم ، ونهاهم عن الآثام والمحارم ، ووعدهم فيه جزيل الثواب ، وضرب لهم فيه الأمثال ، وفصّل لهم فيه المعاني الدالة على سبيل النجاة ، وأبان فيه المشكلات ، وأوضح لهم فيه الشواهد... فهو بركة لقوله

تعالى : (كتاب أنزلناه إليك مبارك) ليعلموا بذلك أنه يدلهم على النجاة ، وينالون باتباعه الزلفى والكرامة . وهو أحسن الحديث تصديقاً لقوله تعالى : (الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم) . فأخبرهم أنه لا حديث يشبهه في حسنه ، وأخبر أنه متشابه غير مختلف فيه . وسماه بأحسن الأسماء فقال : (كتاب عزيز) .

وقال أن ما قبله من الكتب مصدق له وشاهد ، وأخبر أنه محفوظ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. فهو نور الليل المظلم ، وضياء النهار ويجب العمل به على ما كان من جهد وفاقة » .

ب – فضائل القراء :

أما الذين يتلون القرآن ويتدبرونه فهم أولياء الله الذين نعتهم بقوله : (تقشعر جلودهم) وتبكي أعينهم وتطمئن قلوبهم إلى ذكر الله عز وجل وقد ضمن الله لهؤلاء : أن من اتبع منهم ما في كتابه من الهدى الإجارة من الضلالة في الدنيا والسعادة في الآخرة والنجاة من الشقاء. قال الله عز وجل: (فمن تبع هداي فلا يضل ولا يشقى) .

ثم روى أحاديث كثيرة في فضل حاملي القرآن وقراءته ، « فلو ذاب أهل السموات والأرض حين يسمعون كلام الله عز وجل أو ماتوا خموداً أجمعون لكان ذلك حق لهم ، ولما كان ذلك كثيراً إذ تكلم الله عز وجل به تكليماً من نفسه من فوق عرشه . من فوق سبع سماواته . وإذا كان كلام العالِم أولى بالاستماع من كلام الجاهل وكلام الوالدة الرؤوم أحق بالاستماع من كلام غيرها والله أعلم العلماء وأرحم الرحماء فكلامه أولى كلام بالاستماع والتدبر والفهم . فإذا اجتمع همّ القراء وحضر، زكت أذهانهم، وإذا زكت قويت على طلب الفهم واستبانت اليقين وصفت للذكر » .

القسم الثاني

في فقه القرآن

ينبغي لتالي القرآن أن يعرف ناسخه ومنسوخه ، محكمه ومتشابهه وعامه وخاصه، ومقدمه ومؤخره وموصوله ومفصوله ، وغريبه وما لا يعرف معناه إلا باللغة أو بالسنة أو بالإجماع ، « قال ابن عباس : أُنزل القرآن على أربعة أوجه : حلال ، وحرام ، ولا يسع جهله . وتفسير يعلمه العلماء . وعربية تعرفها العرب . وتأويل لا يعلمه إلا الله » .

القسم الثالث

ما يجوز فيه النسخ وما لا يجوز فيه ذلك :

بعد أن ذكر أنّ في القرآن ناسخاً ومنسوخاً، ورأى أن على قارىء القرآن المتدبر له معرفة ذلك قال إن في القرآن معنيين « لا يجوز فيهما النسخ ومن دان بأنه يجوز فيهما النسخ فقد كفر » :

١ ـ صفات الله وأسماؤه :

« فلا يحل لأحد أن يعتقد أن مدح الله جل شأنه ولا صفاته ولا أسماؤه يجوز أن ينسخ جل وعز ، وصف نفسه بصفاته الكاملة . فمن أجاز النسخ فيها أجاز أن يبدل أسماءه الحسنى فيبدلها قبيحة ، وصفاته العليا فتكون دنية ناقصة سفلى ، ومدحه الظاهر ، فتكون مذمومة دنية جل وتعالى عن ذلك علواً كبيراً » .

٢ ـ وأخباره تعالى عما كان ويكون :

« لأنه بذلك يكون منصرفاً من الصدق إلى الكذب ، ومن الحق إلى الهزل

واللعب . وإنما ينسخ أخباره الكذاب أو المخبر بالظن » والمحاسبي ينطلق من المقدمة السابقة ليهاجم طوائف من الشيعة والمعتزلة والحشوية .

وقد سبق أن أوضحنا أن القرن الأول من عصور الدولة العباسية ساده صراع عنيف بين المعتزلة والشيعة من جانب والمحدثين من جانب آخر ، وتطرف كل من الفريقين في موقفه ، فكان كتاب المحاسبي هذا لإعادة الأمر إلى نصابه ، بعيداً عن الغالين والمقصرين ، المفرطين والمفرّطين . وقد رأى المحاسبي أن القول بالنسخ في الأخبار ، والأخذ بالمتشابه في صفات الله ، يؤدي إلى نتائج ليست من الإسلام في شيء .

البدوات وحدوث الارادات :

« إن النسخ في الأخبار يوجب بالخبر الثاني الكذب في الخبر الأول ، كما يلزم منه البداء . والبداء من الجهل ، وذو البدوات جاهل بما يكون فيما يستقبل . والله سبحانه وتعالى يقول : لا تبديل لكلماته ، وقد أوّل بعض من يدّعي السنة ، وبعض أهل البدع ذلك على الحدوث . فأما من ادعى السنة فأراد إثبات القدر فقال : إرادة الله عز وجل أحدث من تقديره ، فتقديره سابق لإرادته .

وأما أهل البدع فزعموا أن إرادة الله عز وجل ، بها كوّن المخلوق ، فزعمت أن الخلق غير المخلوق ، وأن الخلق هو الإرادة » .

ويرد عليهم المحاسبي رداً هو رد الأشاعرة والغزالي فيما بعد . ان العلم هو انكشاف المعلوم على ما هو عليه ماضياً وحاضراً ومستقبلاً . والإرادة تخصيص لزمان وقوع الفعل ... «وأما قوله : (إذا أردناه أن نقول له كن فيكون) وقوله : (إذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها) . فإنه لم يزل يريد قبل أن يحدث الشيء أن يحدثه في وقت إحداثه . فلم يزل يريد إحداثه في الوقت المؤخر ، فإذا جاء الوقت فهو أيضاً يريد أن يحدثه فيه فبإرادته أحدثه في ذلك الوقت الذي فيه أحدثه ، فإرادته عز وجل دائمة لأنه مُريدٌ قبل

الوقت ... وفي الوقت الذي أحدثه فيه، فأراد بقوله عز وجل: (إذا أردناه): إذا جاء الوقت الذي هو فيه وهو له قبل في الوقت مريد، فأوقع إذا على الإرادة، وإنما أراد الوقت وهو مريد له أيضاً في الوقت. واذا أردنا أن نهلك قرية: يعني الوقت الذي أردناه من قبل إذا جاء الوقت أهلكناها فيه ... لا على البدء منه بإرادة أخرى».

السمع والبصر:

وكذا السمع والبصر، معناهما انكشاف المسموع والمبصر على ما هما عليه لا بآلة «والمراد من مثل قوله تعالى: إنا معكم مستمعون. أن المسموع والمبصر لم يخْفَ على أن أدركه سمعاً وبصراً لا بالحوادث في الله عز وجل. ومن ذهب إلى أنه يحدث له استماع مع حدوث المسموع وإبصار مع حدوث المبْصَر فقد ادعى على الله عز وجل ما لم يَقُلْ».

العلو:

والحارث سلفي في مسألة العلو والعرشية[1]، فهو يقول أنه تعالى على عرشه بائن عن خلقه، ويرد على أولئك الذين يقولون انه تعالى في كل مكان بذاته، وهم الجهمية وأهل الحلول من المتصوفة. وقد عاصر الحارث المنزّهة المخطئين، كما عاصر جماعة من الحلولية منهم أبو حمزة الصوفي، الذي كان له وقائع معه. أما ما ورد في القرآن من مثل قوله تعالى: معهم أينما كانوا. وهو الذي في السماء إله، وغيرها ... «فذلك موجود في اللغة إذ يقول

---

(١) ابن رشد: مناهج الادلة في عقائد الملة ١٧٦ «وأما هذه الصفة - الجهة - فلم يزل أهل الشريعة من أول الامر يثبتونها لله سبحانه حتى نفتها المعتزلة، ثم تبعهم على نفيها متأخرو الاشاعرة كأبي المعالي ومن اقتدى بقوله. وظواهر الشرع كلها تقتضي اثبات الجهة». والقول بأن الله فوق عرشه، يقول به: الاوزاعي، ومالك والثوري، وحماد بن سلمة، ومعمر بن كدام، وأكثر السلف. راجع الذهبي: العلو للعلي الغفار. مع ملاحظة أنه متطرف في ذلك الى حد التشبيه بل التجسيم.

القائل : من بخراسان ؟ فيقال ابن طاهر ، وإنما هو في موضع ، فجائز أن يقال أمير في خراسان فيكون أميراً في بلخ وسمرقند وكل مدنها . هذا وإنما هو في موضع واحد يخفى عليه ما وراء بيته ... ولو كان على ظاهر اللفظ ما جاز أن يقال أمير في البلد الذي هو فيه ولا في بيته كله وإنما هو في موضع منه ، لو كان معنى هذا الكون ، فكيف العالي فوق كل شيء ولا يخفى عليه شيء من الأشياء يدبره فهو إله أهل السماء وإله الأرض ؟ » .

الحشوية والنسخ في الاخبار :

وافق الحشوية بعض الروافض في القول بنسخ الأحبار دون أن يقصدوا إلى ذلك « فقال الكلبي أنه لما نزلت : إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم . نسخها بقوله : إن الذين سبقت لهم منا الحسنى . ومعنى ذلك أن لو لم يكن نسخها أن الله عز وجل قال انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنه أراد به أن يعذب عزيراً والملائكة والمسيح فأوجب عليهم العذاب، ثم نسخ ذلك بعد ما أوجبه كما أوجب قيام الليل ثم نسخه ... ومعاذ الله أن يكون الله عز وجل أراد وأحب تعذيب أوليائه من الملائكة ولا المسيح ولا عزير ، وقد تقدمت فيهم أخبار من الله عز وجل بالولاية قبل أن ينزل آية العذاب ... فلما نزلت آية العذاب لم يرد بها من تقدم منه القول بولايتهم وإنما أراد من عبدوا سوى أوليائه ، وكان خبراً خاصاً لا عاماً » .

ثم ذكر أمثلة أخرى من الأخبار التي ظاهرها العموم وهي خاصة في طائفة معينة أو واقعة معينة .

أين يجوز النسخ ؟

« فالناسخ والمنسوخ لا يجوز أن يكونا إلا في الأحكام في الأمر والنهي والحدود والعقوبات في أحكام الدنيا .... »

ولا يعني ذلك البداء ، أو التناقض « ولكنه أمَر بأمر ، وحكم بحكم وهو يريد أن يوجبه إلى وقت ويريد أن يأمر بتركه بعد ذلك الوقت فلم يزل مريداً للفعل الأول إلى الوقت الذي أراد نسخه وإيجاد بدله ... ولا ينسخ أمره ، ولكن ينسخ المأمور به بمأمور آخر . وذلك موجود بين العباد على تقدم الإرادة منهم ، فيما أُمِروا به أولاً ثم نهوا عنه وامروا بغيره من غير بدو ولا جهل . وذلك كأن يأمر الرجل غلامه ليعمل في أرضه وهو يريد أن يعمل فيها وقت الزراعة ثم يصرفه بعد ذلك إلى خدمته في منزله وكلاهما قد تقدمت به الإرادة منه » .

ثم ذكر أن المعتزلة رغم ضلالهم وافقوا أهل السنة في امتناع نسخ الأخبار وجواز نسخ الأحكام لكنهم أفضوا من هذه المقدمة السليمة إلى نتيجة فاسدة ، هي :

القول بخلق القرآن :

ولهم على ذلك حجتان :

أ ــ أن كلام الله مخلوق « لأنه ينسخ كلامه بكلامه ، فيما أمر به ونهى عنه ، ولو لم يكن مخلوقاً ما جاز عليه النسخ ولا التبديل » .

وقد رد عليهم الحارث بأن هذا التفسير منهم للنسخ تمحل وجهل بالمعنى الحقيقي ، إذ أن الله لم ينسخ كلامه ، وإنما « نسخ مأموراً به بمأمورٍ به . فأبدل أحدهما مكان الآخر وكلاهما كلامه . وإنما ينسخ كلامه الأول بكلامٍ منه ثانٍ الكاذبُ الراجعُ عما قال . فأما إذا كانا جميعاً منه حق وصدق فلا نسخ إلا في المأمور والله سبحانه يقول : (لا مبدل لكلماته) . ويقول : (يريدون أن يبدلوا كلام الله) . فدل الله عز وجل بذلك أن في تبدل كلام الله ايجابَ الكذب ، والله عز وجل لا يبدل كلامه ولا ينسخ قوله وإنما ينسخ فرضه بفرض آخر » .

ب — « (ما نسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها . فقالوا : ما جاز فيه أن يكون بعضه خيراً من بعض فهو مخلوق لأنه إذا كان شيء هو خير من شيء فقد فضله والآخر منقوص ، وقال : أو مثلها . وما كان له فهو مخلوق لأن المثل يشتبه بمثله ، وما جاز أن يأتي به الله عز وجل فيحدثه فهو مخلوق ، وكل مخلوق فمثله مخلوق ، لأن حكم المثل حكم مثله ... وجهلوا التأويل . إنما قوله جل وعز : نأت بخير منها ، بخير مأمور به خير منها لا يعني خيراً من التوحيد ، وإنما يعني له فيها خير ، كما يقال : الدراهم خير من المال ، لا يريد أفضل من المال ، وإنما يعني له فيها خير... أي يريد الدراهم من المال خير ... ومن زعم أن كلامه عز وجل في (وأقرأوا ما تيسر منه) خير من قوله (يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا) كان كافراً بالله عز وجل إذ ازدرى كلام الله وزعم أنه منقوص دني » .

القسم الرابع : مع المعتزلة ، دفاع والتزامات

دعوى المعتزلة :

« وقد ادعى علينا بعض أهل البدع من المعتزلة أنا نزعم أن الله عز وجل ينسخ أخباره وصفاته ، فقالوا ان الله عز وجل أخبر أنه يعذب القاتل والزاني وشارب الخمر وآكل مال اليتيم ظلماً ولم يستثن منهم أحداً فزعمتم أنه جائز أن يغفر الله لبعض أهل الكبائر ، وأنه لا يغفر لبعضهم ...»

ويصل الأمر إلى الصفات فيقول المعتزلة : « زعمتم أن الله جل وعز امتدح بأن الأبصار لا تدركه . ثم زعمتم أن هذه المدحة تبدل في الآخرة فتراه العيون وهذا نسخ المدح لأنه امتدح بأن الأبصار لا تدركه ولم يستثن.. فزعمتم أنها تدركه في الآخرة نظراً ... » .

«ولو جاز أن يغفر الله لأهل الكبائر لجاز أن يغفر للكفار لأنه كذلك قال إني أعذبهم » .

ويرد الإمام المحاسبي عليهم بأنهم أبعدوا في القياس ، وإنما أُتوا من قبل الجهل بخطاب الله وتأويله وغفلتهم عن علوم القرآن ، فأخبار الله ومدحه لا تنسخ لكن من الاخبار عاماً وخاصاً. « وان اتفق ظاهر تلاوتها في العموم، فهو مختلف في معاني العموم والخصوص » .

في الوعد والوعيد :

« فأما ما ادعوا علينا في الوعيد فهذه دعوى باطل » إذ أن الله جل وعز أوجب لاهل الكبائر العذاب ، وهو يريد أن ذلك عليهم وأنهم له مستحقون ولم يرد أن يعذبهم أجمعين « فإن أراد أن يعذب بعض من استوجب فيعذبه بعدله ، ويعفو عن بعض من وجب عليه بفضله » وقد قال الله تعالى : (إن الله لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) فأيسنا من عفوه عن المشركين ، ورجونا عفوه عن بعض أصحاب الكبائر دونما تعيين .

ورأى المحاسبي بعد هذا أن المعتزلة يمكن أن يلجأوا إلى ظواهر الآيات مع أنهم هم متطرفة المؤولة فتتبعهم في ذلك وسد عليهم الطريق بحجج من كلامهم نفسه وألزمهم عدة الزامات .

الزام المعتزلة :

يوجب المعتزلة على الله عقاب الكفار وأصحاب المعاصي ، كما يوجبون المغفرة لاصحاب الصغائر غير المصرين ، وهذا الإيجاب يرى فيه المحاسبي خروجاً على الكتاب والسنة وإجماع الامة ، ويرتب عليه عدة نتائج .

أ ـ امتناع الخوف والرجاء :

« إذ أن مرتكب الكبيرة مستيقن أنه في النار ، ومجتنبها مستيقن أنه

في الجنة ، إذا خاف أحدهما أو رجا يكون شاكّاً في وعد الله ووعيده ، فيكفر .. والموحدون لا يخلو أحد منهم من أن يكون مجتنباً للكبائر أو مصراً على بعض الكبائر أو دون ذلك أو كلاهما ، فحرام عليهم على قولكم الخوف والرجاء ، لأنه لا يخلو أحد منهم من أن يكون من إحدى المنزلتين ، وهذا الخروج من الكتاب والسنة وإجماع الأولين والآخرين » .

ب ـ امتناع العفو :

« وكذلك العفو في الآخرة لا يجوز أن يكون من الله جل ذكره على مذهبكم ، لأنه لا يلقى الله إلا صاحب كبيرة قد أوجب في الدنيا ألا يعفو عنه ، وذلك عندكم إن اعتقده لأن الله جل ذكره قد آيسه من ذلك . أو صاحب صغيرة غير مصر على كبيرة يعد مجتنباً للكبائر كلها فقد عفى الله عنه في الدنيا ، وقد مات يوم مات وهو مغفور له ، من أهل الجنة فلا يحتاج إلى العفو والصفح ... وهذا الخروج من الكتاب والسنة وإجماع القرون من الأولين والآخرين » .

جـ ـ امتناع شفاعة النبي ﷺ :

«لأن صاحب الكبيرة معذب لا محالة ، فلا يستطيع الرسول ﷺ ، أن يشفع له ولا تغني عنه شفاعته شيئاً ، والمجتنب للكبائر مثاب لا محالة .. فلا حاجة به إلى شفاعة وهذا رد للآراء المستفيضة عن النبي ﷺ والأمة كلها جاهلها وعالمها ، كلهم يرجون شفاعة النبي ﷺ » .

القسم الخامس

في ذكر الناسخ والمنسوخ من الاحكام :

بعدما خاض المحاسبي معركة مع المشبهة والمعتزلة والروافض ، حول

الناسخ والمنسوخ ، والعام والخاص في القرآن أراد أن يرسم الطريق الصحيح الذي ينبغي أن يتبع في فهم القرآن ومعرفة معانيه. فعقد هذا الباب للناسخ والمنسوخ ثم عرض بعد ذلك لدقائق ولطائف في التفسير .

بدأ المحاسبي هذا القسم بتقسيم القرآن إلى مكي ومدني . ليعرف المتقدم من المتأخر وهو الأمر القاطع في معرفة الناسخ من المنسوخ وبعد أن عدد آراء العلماء في عدد السور المكية والمدنية عرض لمميزات كل من المكي والمدني بإيجاز ، ثم تحدث في الناسخ والمنسوخ ، فقسمه إلى خمسة عشر باباً :

١ — ما رفع رسمه من الكتاب ولم يرفع حفظه من القلوب ، فأثبت حكمه بسنة النبي ﷺ كآية الرجم وغيرها .

٢ — ما رفع حكمه من الآية بآية أخرى وبقي رسمه ثابتاً في كتاب الله عز وجل منه : (إن يكن منكم عشرون صابرون) الآية .

٣ — أن يرفع رسمه من الكتاب ويرفع حفظه من القلوب وحكمه : « حدثنا القاسم بن سلام قال : حدثنا عبد الله بن صالح عن ليث عن عقيل عن ابن شهاب عن أبي امامه أن رجلاً كانت معه سورة فقام يقرأ من الليل فلم يقدر عليها ، وقام آخر يقرؤها فلم يقدر عليها ، فقال النبي عليه السلام : إنها نُسخت البارحة » .

٤ — أن يرفع رسمه من الكتاب ويبقى حفظه في القلوب ويرفع حكمه . من ذلك ما روت عائشة أنه كان فيما أنزل الله ألا يحرّم إلا عشر رضعات . والأمة مجمعة على أن حكم العشر رضعات غير لازم في الكتاب والسنة . وإنما اختلف العلماء في رضعة أو خمس رضعات ولم يقل أحد ما فوق الخمسة .

٥ — أن يرفع الرسم ويرفع الحكم لعلة فانقضت تلك العلة وذلك كقوله: (فإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتم فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا) .

٦ – أن يفعل النبي ﷺ أو يأمر أمته بفعل ليس بنص كتاب الله عز وجل فينسخه الله بحكم أنزله في كتابه فيثبت الحكم في الكتاب ... من ذلك نسخ الصلاة إلى بيت المقدس ، ونهيه عن الاستغفار لعمه .

٧ – أن يختلفوا في الآيتين ناسخة إحداها الأخرى أم غير ناسخة ، وإن أجمعوا أن يستعملوا التي اختلفوا فيها أمنسوخة أم لا؟ على التجوز والاحتياط لا لا على القطع ، من ذلك قوله (وأن تجمعوا بين الاختين) ثم قال جل ثناؤه (إلا ما ملكت ايمانكم) فقال علي وعثمان : أحلتهما آية وحرمتهما أخرى .

٨ – أن يختلفوا في الآيتين أناسخة إحداهما أم لا ، ويجمعوا على إثبات حكمها في معنيين مختلفين . من ذلك : (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) ، لا تخافت عن أصحابك فلا يستطيعون أن يأخذوا عنك . ولا تجهر حتى لا يسب المشركون القرآن وكان ذلك بمكة .

٩ – ان أصحاب محمد عليه السلام اختلفوا في آيتين هل نسخت إحداها الاخرى؟ وحكمها جميعاً ثابتان. ثم أجمعت العلماء بعد عصرهم من التابعين ومن بعدهم أخذا عن سنة النبي عليه السلام أن إحداهما نسخت الاخرى ، وأنها معدلة لبعض حكمها من ذلك قوله عز وجل : (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهم أربعة أشهر وعشراً) . وقوله : (واولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن) . فاختلف الصحابة : فقال ابن مسعود إن سورة النساء القصرى أُنزلت بعد . وقال غيره تربص آخر الأجلين ... والامة مجمعة اليوم أن الآية في الحامل قد ثبت حكمها وأنها لا تتربص آخر الاجلين ، وذلك أنه ثبت عن النبي (ص) أنه أمر سبيعة أن تتزوج بعد وفاة زوجها بأربعين يوماً .

١٠ – أن يجمع العلماء على نسخ آية ثم يختلفون في الناسخة ماذا أوجبت من الحكم ، فيجمعوا على حكم أنها أوجبته ونسخت ما قبله ، ويختلفون في غيره أثبت بالناسخة أم لا ؟

١١ – أن يختلف الصدر الاول من أصحاب النبي (ص) في الآيتين أنسخت إحداهما الاخرى أم لم تنسخها ، ثم يجمع العلماء على أن إحداهما هي المحكمة من ذلك الآيتان : (والزانية لا ينكحها إلا زان) ، (وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات) .

١٢ – أن تختلف الامة في الآية أولها وآخرها في آيتين ، هل نسخت إحداهما الاخرى ؟ ثم لا يجمعون على واحد من القولين ، من ذلك قوله عز من قائل في أهل الذمة (فإن جاؤك فاحكم بينهم أو أعرض) .

١٣ – الذي أجمعت عليه الامة أنه ناسخ فمنسوخ لا يختلفون في ذلك .

١٤ – أن يختلف العلماء في نسخ آية أو عدمه ، بناء على الاختلاف في تفسيرها ، من ذلك : (فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً). فأجمعوا أنه أسقط الفسق بالتوبة ، فقال بعضهم : نسخه . وقال بعضهم : لم يرده ، وإنما أراد من لم يتب . فقال بعضهم : لم يرد التائب في ترك قبول الشهادة . ثم اختلفوا في الشهادة ....

١٥ – ما اختلفوا أنه منسوخ ولا يجوز عند أهل النظر أن يكون في الكتاب والسنة . من ذلك قوله عز وجل : (انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم) . وقد سبق أن ذكرنا رأي الحارث فيما ذكره الكلبي حول نسخ هذه الآية .

ويلاحظ أن أكثر ما ذكره الحارث مما اختُلف فيه يمكن ارجاعه إلى نوع واحد . وتبقى أنواع ثلاثة : منسوخ حكماً وتلاوة ، ومنسوخ حكماً ثابت تلاوة ، ومنسوخ تلاوة ثابت حكماً [١] .

---

(١) الآمدي : الإحكام ٣/١٢٩ : اتفق العلماء على جواز نسخ التلاوة دون الحكم، وبالعكس ونسخهما معاً ، خلافاً لطائفة « شاذة » من المعتزلة ، ويدل على ذلك العقل والنقل اه .

القسم السادس

من أساليب القرآن :

وأفضى بالمحاسبي الحديث إلى تناول بعض جوانب التفسير مما يتصل بالنحو والبلاغة . ولا شك أن هذا أثر من آثار بيئته الثقافية ، سيما أن من أساتذته أبا عبيد القاسم بن سلام صاحب كتاب (غريب الحديث) الذي يعرض لموضوعات مشابهة . والمخطوط ناقص من آخره ، سطوراً أو صفحات والامور التي نبه إليها الحارث الناظرين في القرآن بعد حديثه المسهب في في الناسخ والمنسوخ ، هي :

التقديم والتأخير :

(لان العرب قد كانت تفعل ذلك في تراجعها بينها ومخاطبتها قبل أن ينزل الكتاب على نبيه عليه السلام) . من ذلك قوله : فكيف كان عذابي ونذر . ولا شك أن النذر مقدمة على العذاب في الواقع . وقوله : (من بعد وصية يوصي بها أو دين) ، فبدأ بالوصية ، وسنة النبي (ص) البدء بالدين . وقوله : (لهم غرف من فوقها غرف مبنية) مقدم ومؤخر ، وإنما معناه لهم غرف مبنية من فوقها غرف كذلك . وكذلك فسرها أهل التفسير .

الاضمار :

من ذلك قوله : (واشربوا في قلوبهم العجل). وإنما هو حب العجل. وقوله (واسأل القرية) أي أهل القرية. (واسأل العير): أي أصحاب العير . وقوله: (يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق). ومعناه: ونقول ذوقوا...

الحروف الزوائد :

من ذلك: (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) فلا زائدة. وقوله: (خلقكم

والذين من قبلكم) من، زائدة. وقوله: (ان الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما بعوضة) ما زائدة ، وهي توكيد وانما معناه أن يضرب مثلاً بعوضة فزاد قوله « ما » توكيداً .

الفصل والوصل :

« وفصل الكلمة عن الكلمة إذا انفردت كل واحدة منهـــا بمعنى هو المعنى الذي في الاخرى وكان لا يتم المعنى إلا بتواصلها جميعاً فهو موصـل ومفصل من هذه الجهة ، وهو مفصل من معنى آخر : ان الله جل ذكره بيّنه كله وهو قوله تعالى: (وفصّلناه تفصيلاً). وقال عز من قائل: (احكمت آياته ثم فصلت) » .

ومن الفصل فصل يكون كفراً ، كالوقوف عند لا إله ، من لا إله إلا الله . ومن الوصل وصل يكون خطأ . وعلى قارىء القرآن أن يراعـــي ذلك كله .

وواضح كما قلنا أثر كتاب المجاز لابي عبيدة معمر بن المثنى[1] وأثر شيخه أبي عبيد القاسم بن سلام .

---

(١) ينقل المحاسبي عن كتاب المجاز لأبي عبيدة في أثناء حديثه عن قوله تعالى : « وأخر متشابهات » وفي مواطن أخرى .

كتاب
فهم القرآن ومعانيه

فهم القرآن

لأبي عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي

في تنزيه الله [1] :

عونَكَ اللَّهُمَّ .

الحمدُ للهِ الذي ما سبقَهُ شيءٌ ، فيكونَ مُحْدَثاً مَخْلُوقاً ، ولا بقيَ إلى أَجَلٍ ، فيكونَ فانياً موروثاً .

الأَوَّلُ القديمُ ؛ الدايمُ الكريمُ ، فاتَ المقدارَ ، وعلاَ عن توهُّم الأَذْهان .

تاهَتِ الأَلْبابُ عن تكْييفِهِ ، وتحيَّرتِ العُقول عن إدراكِه . تفرَّدَ بعلمِ الغُيوبِ ، فَعَلِمَ ما كان ، وما يكونُ ، وما لا يكونُ لو كان كيف كان يكون .

---

(١) هذه الترويسات وضعناها من عندنا محاولة منا للتبسيط بتقسيم الكتاب وتبويبه .

خَلَقَ (الخَلْقَ) لغيرِ وَحْشةٍ في انفرادِ أَزَلِيَّتِهِ ، ولا استعانةٍ بهم على ما يُريدُ من تدبيرِه .

لكنْ أَرادَ أَن يَنْشُرَ رَحمتَهُ ، ويمنَّ بفضْلِهِ ، ويستخلصَ مَنْ يَشاءُ من بَرِيَّتِهِ ، فابْتدَأَ آثارَ ٱلْقُدْرَةِ ، وأَحكَمَ الصُّنْعَ ، وأَتْقَنَ التدبيرَ ، وابتدأَ بالطَّوْلِ ، وبَعُدَ بالمَنِّ ، فعمَّ به عبادَهُ عَدْلاً وأَوسعَهُمْ فَضْلاً ، فله الحمدُ والثناءُ شُكراً .

لم يَخْلُقْ خَلْقَهُ عَبَثاً : ولا تركَهُم سُدًى ، ولكنْ أَراد أَن يتعرَّفَ إلى عِبادِه بآياتِهِ البيِّنةِ ، ودلايلِهِ الواضحةِ ، ليؤَدُّوا واجبَ حقِّهِ ، ويجتنبوا مَساخِطَهُ ، لغير حاجةٍ إلى طاعتِهِمْ ، ولكنْ ليستحقَّ الثوابَ من أَنابَ وأَجابَ ، ويستحقَّ العِقابَ مَنْ جَحَدَ وارْتَابَ .

فاستَخَصَّ آدمَ وذريتَهُ ، فأَخذَ منهم الميثاقَ بما فَطَرهم عليه من العقولِ الرضيةِ ، والأَلبابِ والفَهْمِ ، ليدَّبروا بها شواهدَ التدبير ، واحكامَ التقديرِ ، فألزمهم بذلك حُجَّةً مِن عُقُولِهم ، بما شاهدوا من إنشائه ، وإتْقانِ صُنْعِهِ في أَنْفُسِهِم ، وفي جميعِ خَلْقِهِ ، ثُمَّ أَكَّدَ الحُجَّةَ عليهم ، بإرسال الرُّسُل إليهم ، فنبَّهَهُمْ على النَّظَرِ بما

شاهدوا من الآياتِ الظاهرةِ ، والدلايـــل البيِّنةِ ، ولم يَظْهَرْ لهم سبحانَهُ بنَفْسه ، فيُبْدي لهم عظمتَهُ ويخاطبهم (دون رسله ؟)

ولم تكنِ الرُّسُلُ لتعرفَ صفاته ، ولا مـــا يحبُّ ويكرهُ ، فيعلموا غَيْبَهُ كما عَلِمَ غُيوبَهُمْ ، فيكونوا أَربابا مثْلَهُ ، جَلَّ وعلا عن ذلك وتعالى ، ولم يكونوا ليعرفوا صفاته ولا ما في نفسِهِ مما يُحِبُّ ويكْرَهُ ، وما يُريدُ أَن يُكْرِمَ به مَنْ أَطاعَهُ ، ولا مـــا يهينُ به مَنْ عصاهُ أَبداً .

ثم تكلَّمَ بذلك تكليماً بذاتِهِ ، فأَكَّدَ عليهم الحُجَّةَ بكلامِهِ ، واختارَ إِرسالَ الأَنبياءِ مِنْ عِبادِهِ ، فأَرسلهم بكلامِهِ ، ووصَفَ لهم صفاته الكاملةَ ، وأَسماءَهُ الحُسْنى ، وما يرضى بـــه من المقالِ والفعالِ ، وما يُسْخِطُهُ من الأَعمالِ ، وما أَعَدَّ لمن أَطـــاعَهُ من الثَّوابِ الجَزيلِ ، والعَيْشِ السليمِ ، والنعيمِ المُقيم ، ومـــا أَعدَّ لأَعدائِهِ من أَليمِ العَذابِ ، وشديدِ العقابِ في اليوم الذي يَعْرِضُ فيه عِبادَه ، ويُحاسِبُ خَلْقَهُ بأَهوالِهِ وزلازله ، فأَرسل بذلـــك الأُمَناءَ من رُسُلِهِ ، فقطع بهم العذرَ وأَزاحَ بهم العِلَلَ ، وقال جَلَّ من قائلٍ : « لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل[1] » . وقال:

---

(١) النساء : ١٦٦ .

« ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير »[1] . ثم أَخبر عباده انه وجه إليهم النذر بكلامه وقوله ، فقال : « ومَنْ أَصدقُ من الله قيلا »[2] .

وقال : « لا مبدِّل لكلماته »[3] .

في العقل :

وأَنَّهُ خاطبَهُمْ به من قِبَلِ أَلْبابِهِمْ ، فقال : « إِنَّما يتذكَّر أولوا الأَلْباب »[4] .

وقال : « لقومٍ يعقلون »[5] ، و « لقومٍ يتفكَّرون »[6] ، لأَنه جعلَ العقولَ معادنَ الحكمةِ ، ومقْتَبَسَ الآراءِ ، ومُسْتَنْبَطَ الفهمِ ، ومَعْقِلَ العِلْمِ ، ونورَ الأَبْصارِ ، إليها يأْوي كُلُّ محصول ، وبها يُسْتَدَلُّ على ما أَخبر به من عِلْمِ الغُيوبِ ، فبها يقدِّرونَ الأَعمالَ قبل كونِها ، ويعرفون عواقِبَها قبل وجودِها ، وعنها تصدرُ الجوارِحُ بالفعال بأَمرها ، فتسارعَ إلى طاعتها ، أَو تزْجرها ،

---

(١) المائدة : ١٩ .
(٢) النساء ١٢٢ .
(٣) الكهف : ٢٧ .
(٤) الرعد : ١٩ .
(٥) البقرة : ١٦٤ ، الرعد : ٤ ، النمل : ١٢ ، ٦٧ ، العنكبوت : ٣٥ ، الروم : ٢٤ ، ٢٨ ، الجاثية : ٥ .
(٦) يونس : ٢٤ ، الرعد : ٣ ، النحل : ١١ ، ٦٩ ، الروم : ٢١ ، الزمر : ٤٢ ، الجاثية : ١٣ ، الانعام : ١٢٦ ، النحل ١٣ .

فتمسكَ عن مكروهِها .

فاستخْلَصَ من عِبادِهِ خـــالصةً من خَلْقِهِ ، فَهِمَتْ عنه قولَهُ بعقولِها ، فاتَّسع لها ما خفيَ عن الأَبصار .

فآمَنَتْ به ، وبمـــا غيَّبَتْهُ حُجُبُ غيوبِهِ من لَدُنْ عَرشِهِ إلى مُنْتهى علمِهِ ، ثُمَّ عارَضَها هَاجِسُ الشَّكِّ فأَبَتْهُ ، وذلـــك بِلُطْفِ البصيرِ ، وما وصفَهُ لها وبفضلِهِ عليها .

فكان عندها ما أَخبرَ به عَمَّا غابَ مما كان ، ومما هو كائِنٌ ، كرأْيِ العينِ ، فكانت بذلك مصدِّقةً غيرَ مكذِّبةٍ ولا مُرْتابةٍ .

ثمَّ استخَصَّ من الخالِصةِ الأُولى خاصـــةً ثانيةً ، من المقرِّينَ والمعترِفِينَ له برُبوبِيَّتِهِ ، المصدِّقينَ بقوله ، فعظَّمُوا قَـــدْرَهُ ، فأَجَلُّوه ، وهابُوهُ واسْتحْيَوْا منه ، وخـــافُوهُ ، وحَذِرُوا نَقْمَتَهُ وبأْسَهُ ، فتطهَّروا من كُلِّ دَنَسٍ ، وبَذَلُوا له المجهودَ من قلوبِهِم وأَبْدانِهِم ، ووصفُوهُ بِصِفاتِهِ الكامِلَة ، ونزَّهوهُ من كُلِّ مـــا لا يَلِيقُ ، وأَفْرَدُوهُ في كُلِّ مَعْنًى ، ولم يُساوُوهُ بشيءٍ مِنْ خَلْقِهِ .

فأَفْردوهُ بالمَخافةِ ، والرَّهْبةِ ، والآمالِ ، والرَّغْبةِ ، والثِّقةِ به ، وحُسْنِ التوكُّلِ عليه ، فأَعتقوا مِنْ خِدمةِ الدنيا أَبْدانَهُمْ ،

وأَفردوا مولاهم بالمعاملةِ بإخلاصِ النيةِ له ؛ بطلبِ مَرْضَاتِهِ ، واجْتنابِ مَساخِطِهِ ، وأَيقنوا بما وَعَدَ وتَوَعَّدَ به ، فكان عندهم كرأْيِ العيْنِ ، فخَشَعوا لذلك واستكانوا ، فـــدأَبوا واجتهدوا فاشتَغَلوا به ، وانْقَطَعوا عن العِبادِ إليه بِهُمُومِهِمْ ، ولم يكن فيهم فَضْلٌ لغيرِهِ ، ولا تزيُّنٌ لِسِواهُ ، فَسَلَكوا سبيلَ الرشادِ بالبصائرِ النافِذَةِ على منهاجِ الكتابِ والسُّنَّةِ ، وعلماً بما أَمر به ، ونهى عنه ، وندَبَ إليه ، وحَضَّ عليه من مكارمِ الأَخْلاقِ ، وحُسْنِ الآدابِ ، فَبانوا من عَوامِّ المسلمينَ بالفَضْلِ ، والطهارةِ فكانوا أَئمةَ الهُدى ، وأَعْلَامَ المتقينَ ، ومصابيحَ العلمِ ، ومَفْزَعَ كُلِّ مَلْهُوفٍ في الدين ، وطالبٍ لسبيلِ النَّجاةِ .

فأَحَلَّ عليهم عظيمَ رِضْوانِهِ ، وأَعدَّ لهم جَزِيلَ ثوابِهِ ، وأَجْرَ أَعمالِهِمْ ، وأَعمال المُقْتَدينَ بهم ، وكان لهم كأُجورِ أَعمالِ المُتَّبِعِينَ لهم مع أُجورِ أَعمالهم ، ولم يُعْطِهِمُ اللهُ عَزَّ وجلَّ اليقينَ به وبمـــا قال ، عن رؤْيةٍ منهم لربِّهِمْ ، ولا مُعَايَنةٍ منهم لما وعَدَ وتوعَّدَ ، ولكن عنِ الفَهْمِ بما قالَ جَلَّ وعَزَّ في كتابِهِ ، بالتَّذْكيرِ والتَّفْكيرِ والتثبيتِ والتَّدْبير .

فردَّدُوا النَّظَرَ ، وأَجـــالوا الفِكْرَ ، وكرروا الذِّكْرَ ،

وتدبَّروا العواقِبَ ، وطلبوا مَعانِيَ الدلائلِ ، فطالعوا الغُيُوبَ ، وشاهدوا بقلوبِهِم الآخرةَ ، فصاروا في الدنيـــا بِأَبْدانِهِمْ ، وفي الآخِرَةِ بأَرواحِهِم ، وأَجسامُهُم فيها كعُوَّاد ، وعقولُهُم معلَّقَـــةٌ بالمَلَكوتِ . وذلك بغيرِ ابتداءٍ منهم اجتبوهُ ولا نالُوهُ : لكن بتفضُّلِ اللهِ جَلَّ وعَزَّ عليهم ، وتعبُّدِهِ إِيَّاهُم .

فأَقامنا اللهُ وإِيَّاكَ مَقَامَهُمْ ، وأَسلَكَنا وإِيَّاكَ سبيلَهُمْ ، حتى يُلْحِقَنا بمنازِلِهِمْ ويرافقَ بيننـــا وبينهم في جِوارِهِ . فإِنهم أَعقلُ خَلْقِ الله جَلَّ وعَزَّ عنه ، لما فهموا من كلامِهِ ، وتدبَّروا معانيَ قوله ، وبذلك (أَمَّنَهُمْ) ورضيَ عنهم وأَثْنى عليهم ، ورفعَ به قَدْرَهم ، لأَنهم فَهِموا منه ما أَخبرهم عنه بكلامِـــهِ الذي أَنزلَهُ في كتابه ، إِذ يقول جل وعز : (يا أَيها الناس قد جاءتْكم موعِظةٌ من ربكم وشِفاءٌ لما في الصُّدور وهدًى ورحمةٌ للمؤْمنين)[1] .

فلمَّا عَقَلوا ذلك عن ربِّهم ، ابتغَوْا منه الشفاءَ والهُدى والرحمةَ ، فداوَوا به قساوةَ قلوبِهِمْ ، وغَسَلُوا بـــه دَرَنَ ذُنُوبِهم ، ووضعوا دواءَهُ على أَدْواءِ قلوبِهِم ، ونَفَوا به سُوءَ النِّيَّاتِ من ضمـــائِرِهم ، وأَزالوا به وحَرَ صُدُورِهِمْ ، ونَظَروا ببصائِرِهِم إِلى ما يُشْبِهُ الشُّبُهاتِ

---

(١) يونس : ٥٧ .

من سوءِ الدلايلِ ، ومكايدِ الشَّيْطـــانِ ، وزُخْرُفِ المُبْطِلينَ ، وكَشَفوا بمنارِ دلايلِهِ ما وارَتْهُ الظُّلُماتُ ، وغطَّتْهُ الشَّهَواتُ ، من خَفيَّاتِ الغُيوبِ ، ومعالمِ الطريقِ المضروبِ على المَحَاجِّ الواضحاتِ ، والبُرْهَانِ النَّيِّرِ . فنَظَرُوا بنورِ هِدايةِ كلامِ الربِّ ، جَلَّ ذِكْرُهُ ، وواضِحِ دلايلِهِ ، إلى ما خَفِيَ عن الغافِلينَ ، المُؤْثِرينَ لأَهْوائِهِم على استيضاح كتابِ ربِّهِم جَلَّ مولانا وتعالى ، فهَتَكوا بنورِهِ حِجابَ كُلِّ ظالمة ، وكشفوا بتبْيانِهِ غِطاءَ كُلِّ ضلالةٍ وبدعة ، لأَنَّه الدليلُ الواضِحُ ، والصِّراطُ المستقيم ، الذي جعلَهُ اللهُ للناسِ إمامـــاً ، ورضيَ به بينهم حاكماً ، فأَماتوا عنده كُلَّ شَهْوة ، وانبعثوا بتأَمُّلِهِ إلى كُلِّ رغبـــة ، وحنُّوا بتشويقِهِ إلى جِوارِ المولى الكريمِ ؛ وصَبَروا لأَحْكامِهِ في كُلِّ عُسْرٍ ويُسْرٍ ، وتأَدَّبوا بأَدَبِهِ في كُلِّ أَقْوالِهِمْ ، وتَزَيَّنوا بأَخْلاقِهِ في كُلِّ أُمورهم ، فصاروا للقيامِ بِهِ (و) للمتعبِّدين أَعلاماً ، يَرْجِعُ الحائرون عن الحقِّ إلى سبيلِهِم ، ويتأَدَّبون بمكارِمِ أَخلاقهم ، ويتزيَّنون بزينةِ هَدْيِهِمْ ، ويستضيئونَ بنورِ هِدايَتِهِمْ ، (٨٥) ويَدينونَ بما أُلزموا من بُرهانِ حُجَّتِهِ . فارغَبْ إلى اللهِ عَزَّ وجَلَّ في طَلَبِ آثارِهِم ، وسُلُوكِ طريقِهِمْ .

القسم الأول

فضائل القرآن

فإنَّ العاقِلَ عن الله عَزَّ وجلَّ ، بدلائِلِ الكتابِ ... بَصِرٌ ، وبحبلِهِ من كُلِّ هلْكَةٍ معتصمٌ ، ولربِّه بتلاوتِهِ في الخَلَوات مُناجٍ لأَنه بنجاةِ نفسِه مهتمٌّ ، ففزعَ إلى فهمِ كلامِ الربِّ جلَّ وعَزَّ ، لِيُحْيِيَ به قلبَهُ ، وينجو به من عقابِهِ ، في يومٍ يندمُ فيه الغافلون، وينحسِرُ فيه المُبْطِلون ، فكفى بكتابِ الله عَزَّ وجَلَّ عن غيبِ الآخِرةِ مُخَبِّراً ، وببصائِرِهِ للعوامِّ مُوَضِّحاً ، لأَنَّ مَنْ فَهِمَ عن اللهِ عَزَّ وجَلَّ ، ذاقَ طَعْمَ حلاوتِهِ ، وخالطَ فهمَهُ لَذَّةُ مناجاتِهِ ، إذ عرف من تَحاوُرِهِ ، فعقلَ عن اللهِ عَزَّ وجَلَّ ما به خاطَبَهُ ، فاتَّخذه مَعاذاً فسكن إلى الله جَلَّ وعَزَّ ، وأَنِسَ به من كُلِّ وَحْشَةٍ ، فلم يُوْثِرْ شيئاً عليه ، فكان للمتَّقينَ الماضين قبلَهُ في الدنيا خَلَفاً ، وللآخرين المريدينَ من بعده سَلَفاً ، فتدبَّرَ القُرآنَ أَيَّامَ حياتِهِ ، فصار اللهُ جَلَّ وعَزَّ به مُسْتَفيداً ، لأَنَّه الدليلُ الهادي للعباد قبل نزول المَحَلِّ ، وحادي المُشْتاقِينَ إلى جِوارِ الكريم .

فبه نطقَ الحُكماءُ ، وبه أَنِسَ المُنْفرِدونَ إلى إدْمانِ الفِكْرِ في معانيهِ .

لا يَضِلُّ السَّالِكَ باتِّباعِ دلايلِهِ ، لأَنَّهُ النورُ الذي استَضاءَ به المُوقِنونَ ، والغايةُ التي يَتَسابَقُ إليها المُتَسابِقونَ ، والمنهجُ الذي لا يَصِلُ السالِكُ إلَّا باتِّباع دلايلِهِ ، ولا يعلمُ له طريقَ النجاةِ إلَّا مع الاستِضاءةِ بِنُورِهِ ، ولا يُصابُ الحَقُّ إلَّا في مُحْكَمِ آياته .

شفيعٌ في القيامةِ لِمَنْ تَقَرَّبَ إلى الله جَلَّ وعَزَّ برعـايَتِهِ ، وحِفْظِ حُدوده ، وصَبَرَ للهِ جَلَّ وعَزَّ على أَحكامِهِ ، وهو الماحِلُ لِمَنْ لم يكُنْ في قَلْبِهِ منه إلَّا حِفْظُ حُروفِهِ ، وفي جَوارِحِهِ منه إلَّا تلاوتُهُ .

هو القولُ الذي فُصِّلَتْ آياتُهُ ، والفُرْقانُ الذي يَميزُ بين الحَقِّ والأَباطيل بشواهد بيِّناتِهِ .

حكمةٌ بالغةٌ منزَّلةٌ من حكيمِ الحُكماءِ ، وعليمِ العُلَماء ، أَنزله اللهُ تعالى دواءً للقلوبِ شافياً ، ولِمَنْ حَرَّمَ حرامَهُ وأَحلَّ حَلالَهُ عن النارِ عادلاً ، ولِمَنْ حَذِرَ مَخاوِفَهُ في مَقِيلِ الجِنانِ نازِلاً .

فأَهْلُ العلمِ بِكَلامِ ربِّهِمْ عَزَّ وجَلَّ هم أَهْـلُ الصَّفاءِ من

الأَدْناسِ ، وأَهْلُ الخاصَّةِ من الله جَلَّ وعَزَّ الذين أَشْعَرُوا فَهْمَهُ قُلوبَهُمْ ، وتدَبَّروا آياتِهِ عند تِلاوتِهِ بأَلبـــابِهِمْ ، فتزوَّدُوا لِبُعْدِ سَفَرِهِمْ إلى مَعادِهِمْ ، وفَهِموا منه شِدَّةَ إجْهادِهِمْ يومَ القيامة ، فَفَزِعُوا ، وذَكَروا به السؤالَ من اللهِ عزَّ وجـــلَّ ؛ فاستعدُّوا للجَوابِ عَمَّا عَمِلوا ، فتابوا إلى الله جَـــلَّ وعَزَّ عن كُلِّ ذَنبٍ ، وتَطَهَّروا له من كُلِّ دَنَسٍ ، وأَخْلَصوا له النياتِ في أَعمـــالِهم لِيُجيبوهُ عَمَّا سلف من ذُنوبِهِمْ بالتَّوْبَةِ . وعن إرادتهم في طاعتِهِ بِصِدْقِ النية . فاستعدُّوا بالقرآنِ للعَرْضِ والسؤالِ ؛ (منقادين) [1] له بِذِلَّتِهِمْ (وخاشعين) [2] له باسْتِكانَتِهِمْ . لأَنَّهُم وقَّروه لإجلال المُتَكَلِّمِ به . غيرَ مغيِّبينَ عن تِلاوتِهِ لِطَلَبِ حقائِقِ معانيهِ . ولا مُسْتَهينينَ بِحُرُماتِهِ . فانْتَعَشوا به من كُلِّ صَرْعَةٍ . وجَبَرَ اللهُ لهم به من كُلِّ مُصيبةٍ .

فما زال ذلك دَأْبَ العاقِلينَ عن ربِّهم عَزَّ وجَلَّ . لأَنه ربيعُ قُلوبِ المُوقِنين . وراحةُ الراجينَ . ومُستَراحُ المحزونـــينَ . لا ينقصُ نورُهُ لدوامِ تِلاوتِهِ . ولا يُدْرَكُ غَوْرُ فهمِهِ . ولا يبلُغُ له غايةَ نهايةٍ تاليه أَبداً . لأَنه كلامُ اللهِ جَلَّ ثنـــاؤُهُ . الذي تعلَّقَ

---

(١) في الأصل : منقادون .

(٢) في الأصل : خاشعون .

المُتَّقون بِعُرْوَتِهِ . والملجأُ الذي أوى الراهبونَ إلى كَنَفِ رَحْمَتِهِ .

قلتُ : كيف لي بِفَهْمِ ما قال اللهُ جَلَّ وعَزَّ في كتابِهِ ؟ لَعَلِّي أُدْرِكُ مَنازِلَهُمْ أو أُقارِبُ مَقامَهُمْ ؟

قال : بأَنْ يَعْظُمَ عندكَ قدرُ ما تنالُ بِفَهْمِهِ من النجاةِ وما في (الإعراض)[1] عن فهمه من الهلكة . لأَنَّ اللهَ جَلَّ وعَزَّ . أَنزلَ في كتابِهِ كلامَهُ مع الروحِ الأَمينِ . إلى محمدٍ المُصطفى برسالَتِهِ ، والمُنْتَخَبِ لإِنْذارِ عبادِهِ ﷺ . فوصف تعالى نفسَهُ بأَحسنِ الصِّفاتِ . ودَلَّ خَلْقَهُ ونَبَّهَهُمْ فيه لمعرفتِهِ . بما وَضَعَ في سماواتِهِ وأَرْضِهِ ، من آثارِ صَنْعَتِهِ . ونَفاذِ قُدْرَتِهِ . وذكَّرَهُمْ فيه أَيادِيَهُ عندَهُمْ ، وكثرةَ نِعَمِهِ ، وتعهُّدَهُ إياهم ، من ابتداءِ خَلْقِهِم ، وحسن تقديرِهم وإجراءَ أَرزاقِهِم . ودفاعَ البلايا عنهم ، والآفاتِ المهلكة لهم ، وحسنَ سَتْرِهِ عليهم ، وإقالتِهِمْ ، والعفْوَ عما (٨٦) استَوْجَبوا من تعجيلِ العقوباتِ ، ونُزُولِ النقَمِ بهم .

فأَمَرَهُم فيه بالمكارِمِ ، ونَهاهُم عن الآثامِ والمَحارِمِ ، ووعَدَهُم فيه جَزِيلَ الثَّوابِ ، وضرَبَ لهم فيه الأَمْثالَ ، وفصَّلَ لهم فيه المعانيَ الدَّالَّةَ على سبيلِ النجاةِ ، وأَبانَ فيه المُشْكِلاتِ ، وأَوضحَ

---

(١) في الأصل : الأعمال .

لهم فيه الشواهدَ على علمِ الغُيوبِ . وجعل فيه حياةَ قُلوبِهِمْ ، وعزَّهم وشرَفَهُمْ ، والغِنى به عن جميعِ العِبادِ .

ثم أخبرهُم أنه أنزل كِتابَهُ ليدَّبَّروا آياتِهِ بعقولِهِمْ ، ويتذكَّروا ما قال بألبابِهِمْ ، وقال : (كتابٌ أَنْزلناهُ إليكَ مباركٌ)[1] فسمَّاه بالبَرَكَة ، لِيَعْلَموا بذلك أنه يَدُلُّهمْ على النجاةِ ، وينالُونَ باتِّباعه الزُّلفى والكرامةَ . ثم قال : (ليدبَّروا آياتِهِ)[2] فأخبر أنه أَنْزَلَهُ للتذكُّرِ والتفكُّرِ فيه ، وخصَّ بالتفكُّرِ والتَّذكُّرِ أَهْلَ العُقولِ ، أُولي الأَلْباب .

قال : حَدَّثَنا سُنيد ابن داود[3] ، قال : حَدَّثَنا عبدُ الله بنُ المُبارَك[4] . قال : أَخبرني معمَّر بنُ يحيى بنُ المختار[5] عن الحسن[6]

---

(١) ص ٢٩ . (٢) ص ٢٩ .

(٣) ترجمنا له عند الحديث عن شيوخ الحارث .

(٤) عبد الله بن المبارك (١١٨ – ١٨١ هـ) ابن واضح الحنظلي التميمي مولاهم، أبو عبد الرحمن المروزي، إمام ، ثقة. روى عن الأعمش وهشام بن عروة والثوري وشعبة والأوزاعي وابن جريج ومالك والليث وخلق كثير . وعنه : الثوري وابن عيينة وفضيل بن عياض وابن مهدي والقطان وابن راهويه وابن معين وأبناء أبي شيبة . أجمع الأئمة على جلالته في العلم والورع والزهد ، قال الأسود بن سالم : إذا رأيت الرجل يغمز ابن المبارك فاتهمه على الاسلام . له ترجمة في : ابن سعد ١٠٥/٧ ، مشاهير علماء الامصار ١٩٤ ، العبر ٢٨٠/١ ، الحلية ١٦٢/٨ ، تهذيب التهذيب ٣٨٢/٥ .

(٥) ربما كان معمر بن يحيى بن سام الضبي الكوفي، روى عن محمد الباقر، وفاطمة بنت علي وعنه وكيع وأبو أسامة وأبو نعيم ، له حديث في البخاري . قال أبو زرعة : ثقة . تهذيب التهذيب ٢٤٩/١٠ .

(٦) الحسن البصري (٢١ – ١١٠ هـ) عالم الاسلام العظيم مشاهير علماء الأمصار ٨٨ .

أنه تلا هذه الآية : (كتابٌ أَنْزَلْناهُ إليك مباركٌ ليدَّبَّروا آياتِهِ وليتذكَّرَ أُولوا الأَلباب[1]) . فقال : وما تَدَبُّر آياتِهِ إلَّا اتِّباعُهُ بعقلِهِ ، أَمَا والله ما هذا بحفظِ حروفِهِ وإضاعةِ حدوده ، حتى أَنَّ أَحدَهُم ليقولُ : إني لأَقْرأُ القرآنَ ، فما أُسْقطُ منه حَرْفاً ، وقد واللهِ أَسْقَطَهُ كُلَّهُ ، فما يُرى له القُرآنُ في خُلُقٍ ولا عَمَلٍ .

ثم أَخبرهم أَنَّ اتِّباعَ ما فيه ، سُلوكٌ للصراطِ المستقيم ، والنورِ المُبينِ ، والعِصْمةُ لمن تَمَسَّكَ به من كُلِّ هُلْكةٍ وشِفاءٌ لما في الصدور .

قال الرب جَلَّ ثناؤُهُ : (قد جاءكم من الله نورٌ ، وكتابٌ مُبينٌ ، يهدي به اللهُ من اتَّبع رضوانَهُ سُبُلَ السَّلامِ ، ويُخْرِجُهُمْ من الظُّلُماتِ إلى النُّور بإذْنِه ، ويهديهِمْ إلى صِراطٍ مُستقيم)[2] . فَضَمِنَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ لمتَّبِعِهِ الهَدْيَ لطريقِ السلامةِ ، والسلوكَ للطريقِ المُسْتقيمِ ، ووصفَ المتَّبِعينَ له كيفَ قلوبُهُمْ ، وما ورَّثهمْ من خشيته ، فقال جَلَّ وعَزَّ : (اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحديثِ كتاباً مُتَشابهاً مثانيَ تقشعِرُّ منه جُلودُ الذين يَخْشَوْنَ ربَّهُمْ)[3] فأَخبرهم أنه لا حديثَ يُشْبِهُهُ في حُسْنِهِ ، وأَخبر أنه مُتَشابِهٌ غيرُ مُخْتَلَفٍ فيه ،

---

(١) ص ٢٩ .
(٢) المائدة ١٥ .
(٣) الزمر ٢٣ .

ثم أخبرَ أنَّ فيه التكرارَ عن معاني ما قال إن تَنَحَّتْ قُلُوبُهُمْ عند تلاوةِ ما في سُوَرِهِ عن فهمِ معانيه؛ تكرَّر في سُورةٍ أُخْرى فَفَهِموهُ فقال (مثاني) .

حَدَّثنا سُنَيدٌ ، قال : حدَّثنا سُفين[1] عن معمر ، عن قَتَادَة[2] في قولِ الله جَلَّ وعزَّ (الله نَزَّلَ أَحسنَ الحديثِ كتابا مُتَشابهاً) في حلالِهِ وحرامِهِ لا يختلِف شيءٌ منه . تُشبهُ الآيةُ الآية ، والحرفُ الحرفَ .

حدَّثنا إسماعيلُ[3] عن أَبي رجاء[4] ، عن الحَسَن ، (كتاباً

---

(١) سفين هنا سفيان الثوري ، الذي نترجم له فيما بعد . ولنا على ذلك دليلان :

١ — انه في تفسيره المطبوع في الهند ، والذي اطلعنا عليه يذكر اسمه في أول الاسناد دائماً بصيغة التصغير « سفين » .

٢ — أن الحديث هنا مروي بطريق سنيد بن داود عن سفين ، ولا نجد بين شيوخ سنيد من يسمى « سفيناً » بل نجد سفيان الثوري : تهذيب التهذيب ٤/ ٢٤٤ أما ما يرويه الحارث في الصفحات القادمة عن معمر بطريق أبي سفيان ، فالمقصود به : طريف بن شهاب البصري، الذي ضعفه العلماء : تهذيب التهذيب ٥/ ١١ .

(٢) قتادة بن دعامة السدوسي (٦١ — ١١٧ هـ) كان ثقة مأموناً حجة في الحديث، وكان يقول بشيء من القدر . ترجمته : ابن سعد ٢/٧ ، مشاهير علماء الأمصار ٩٦ ، العبر ١/ ١٤٦ ، الميزان ٤/ ٣٨٥ ، تهذيب التهذيب ٨/ ٣٥١ .

(٣) اسماعيل (— ٢٣٦ هـ) ابن ابراهيم البغدادي تتلمذ عليه أيضاً أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفي تلميذ المحاسبي. كان صاحب سنة وفضل وخير كثير . تهذيب التهذيب ١/ ٢٧١ أو هو إسماعيل بن عياش (— ١٨٢ هـ) الذي روى عنه الحارث فيما بعد بطريق خلف بن هشام البزار .

(٤) أبو رجاء (— ١٠٠ هـ) العطاردي ، عمران بن تيم التميمي . أسلم شاباً ، وروى عن الصحابة . ترجمته : ابن سعد ٧/ ١٠ .

مُتَشابِهاً ، مثاني) قال : ثَنَّى اللهُ فيه القضاءَ ، تَكون السُّورةُ فيها الآيةُ ، وفي السورةِ الأُخرى آيةٌ مِثْلُها .

قال أَبو رجاء : وسئل عنها عِكرمةُ [1] فقال : ثَنَّى اللهُ فيه القضاءَ .

قال : حدَّثنا حَجَّاجٌ [2] عن ابنُ جريج [3] ، عن مُجاهِد [4] في قوله (متشابهاً) قال : يُصَدِّقُ بعضُهُ بعضاً قال : القرآنُ كُلُّهُ مثاني ، أَبو سعيد [5] .

فَتُثْنِيَةُ القرآنِ تعودُ للشيءِ قد قالَهُ .

قال حدَّثنا سفين عن معمر عن قتادة : مثاني . قال : قد ثَنَّاهُ الله تعالى .

---

(١) عكرمة : مولى ابن عباس ، أحد أوعية العلم ، تكلم فيه لرأيه لا لحفظه ، فاتهم برأي الخوارج ، فاختلف العلماء في شأنه اختلافاً شديداً : ميزان الاعتدال ٣/٩٣ .

(٢) ابن حماد بن سلمة ، المحدث المشهور .

(٣) ابن جريج (٨٠ – ١٥٠ هـ) عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الرومي ، مولى بني أمية ، أخذ عن عطاء وطبقته ، وهو أول من صنف الكتب بالحجاز . قال أحمد : كان ابن جريج من أوعية العلم : العبر ١/٢١٣ .

(٤) مجاهد (٢٠ – ١٠٣ هـ) ابن جبر ، أبو الحجاج المكي ، أخذ عن ابن عمر وابن عباس ، كان أعلم أصحابه بالتفسير : العبر ١/١٢٥ .

(٥) أبو سعيد : الحسن البصري .

قال : حدَّثنا وكيعٌ [1] عن سُفيان [2] عن منصور [3] عن أبي مالك [4] قال : القرآنُ كُلُّهُ مثاني .

قال : حدثنا حجاج عن ابن جريج قال : (تقشعرُّ منه جُلودُ الذين يخشون ربهم) قال : إذا سمعوا ذكر النارِ والوعيدِ ، اقشعرُّوا ثم تَلينُ جلودُهم إذا سمعوا ذِكْرَ الجَنَّةِ .

قال : حَدَّثنا أبو سفيان عن معمر قال : تلا قَتادَةُ (تَقْشَعِرُّ منه جُلودُ الذين يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ) الآيــة . . . فقال : هذا نَعْتُ أَولياءِ اللهِ .

نَعَتَهُمْ بأَنْ تقشعِرَّ جُلودُهم ، وتبكيَ أَعْيُنُهُمْ ، وتطمئنَّ قُلُوبُهُمْ إلى ذِكْرِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ ، هذه صفةُ الذين آمنوا ، وكيف حزنهم ورجاؤُهم .

---

(١) وكيع بن الجراح (– ١٩٧ هـ) كان ثقة ، مأموناً ، رفيعاً ، كثير الحديث ، حجة ، ابن سعد ٦/٢٧٥ .

(٢) سفيان (٩٧ – ١٦١ هـ) ابن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي ، أمير المؤمنين في الحديث ، ومن أعاظم العلماء في كل العصور : ابن سعد ٦/٢٥٧ ، تهذيب التهذيب ٤/١١١ ، العبر ١/٢٣٥ ، مشاهير علماء الأمصار ١٦٩ ، الحلية ٦/٣٥٦ ، سفيان الثوري : د. عبد الحليم محمود .

(٣) منصور بن المعتمر (– ١٣٢ هـ) كان ثقة مأموناً كثير الحديث ، رفيعاً عالياً : ابن سعد ٦/٢٣٥ .

(٤) أبو مالك الأشجعي (– ١٤٠ هـ) سعد بن طارق ، روى عن أنس وصحابة آخرين ، وعنه يزيد بن هارون وشعبة والثوري وعباد بن العوام : مشاهير علماء الامصار ١٠٧ ، ميزان الاعتدال ٢/١٢٢ ، التهذيب ٣/٤٧٢ .

ووصفَ الذين أُوتوا العلْمَ ، عِلْمَ كتابِهِ من قبـــل أن ينزِلَ القرآنُ ، فقال جَلَّ وعَزَّ : (إنَّ الذين أُوتوا العلم من قبله إذا يُتْلَى عليهم يَخِرُّونَ للأَذقانِ سُجَّداً ، ويقولون سُبحانَ ربنا إنْ كان وعدُ ربِّنا لمفعولاً ، ويخرُّون للأَذقان يَبْكونَ ويزيدُهم خُشوعاً[1]) (٨٧) وقال عزَّ وجـــلَّ (خرُّوا سُجَّداً وبُكِيّاً)[2] .

يُخبرُ تباركَ وتعالى ، أَنَّ وَجَلَ الذين أُوتوا العِلْمَ من قبلنـا ومخافَتَهُمْ كانت عن فَهْمِ آياتِهِ في كتابه وتَدَبُّرِ قولِهِ ، وقـد ضَمِنَ جَلَّ وعَزَّ لأُمَّةِ محمَّدٍ ﷺ ، أَنَّ لِمَنْ اتَّبَعَ منهم مـا في كتابِهِ من الهدى ، الإِجارةَ من الضَّلالةِ في الدنيا ، والسعادةَ في الآخرة ، والنجاةَ من الشقاءِ ، وقال جلَّ وعزَّ : (فمن اتَّبعَ هُدايَ فـــلا يَضِلُّ ولا يَشْقَى) .

قال : حدَّثنـا أَبو النضر[3] قال : حدَّثنـا عيسى بن المسيِّب

---

(١) الاسراء : ١٠٧ . (٢) مريم : ٥٨ .

(٣) أبو النضر (١٣٤ – ٢٠٧ هـ) هاشم بن القاسم بن مسلم القعني البغدادي ، روى عن شعبة وسفيان وابن الماجشون وخلق . وعنه : اسحق ، وابن حنبـــل ، وابن المديني ، وابن معين ، وابن أبي شيبة ، وأبو خيثمة ، وكان ثقة ثبتاً . وكنا قد ترجمنا له بين شيوخ الحارث بحسبانه « أبا نصيرة » والصحيح ما أثبتناه هنا . استناداً إلى : تهذيب التهذيب ١١/١٨ .

البَجَلي [1] قاضي خالد ، قال : حدثنا خالدُ بنُ عبد الله [2] عن إبراهيمَ النَّخعي [3] قال : قال ابنُ عبَّاس [4] ، أُجـــيرَ صاحبُ القرآنِ من الضلالةِ في الدنيا ، والشقاءِ يومَ الحِسابِ ، ثمَّ تلا (فمن اتَّبعَ هُدايَ فلا يَضِلُّ ولا يَشْقَى) [5] .

وعظَّمَت العُلماءُ باللهِ عزَّ وجلَّ ما أنزل في كتابِهِ لتعظيمِهِ له ، إذ سمعوه يقولُ تباركَ وتعالى (ولو أنَّ قُرآناً سُيِّرَتْ به الجبالُ أو قُطِّعَتْ به الأَرْضُ أو كُلِّمَ به الموتى) [6] .

قال : حدَّثنا الحسنُ بنُ محمَّد [7] قال . حدَّثنا شَيْبانُ [8] عن

---

(١) عيسى بن المسيب البجلي الكوفي .. قال يحيى والنسائي والدارقطني : ضعيف . وتكلم فيه أبو حاتم وأبو زرعة وابن حبان . وقال أبو داود : هو قاضي الكوفة : ضعيف . ميزان الاعتدال ٣/٣٢٣ .

(٢) خالد بن عبد الله بن أسد القسري، والي العراق لهشام بن عبد الملك، من (١٠٦ — ١٢٠هـ) قتل سنة ١٢٠ هـ على يد يوسف بن عمر ، الذي خلفه على ولايته : البداية والنهاية ١٠/١٧ .

(٣) إبراهيم بن يزيد بن الاسود النخعي (٤٦ — ٩٦ هـ) قال الشعبي : والله ما ترك بعده مثله لا بالكوفة ولا بالبصرة ولا بالشام ولا بالحجاز . كان إماماً ، ثقة ، ثبتاً ، شديداً في دينه : طبقات ابن سعد ٦/١٨٨ .

(٤) عبد الله بن عباس (٣ ق. هـ — ٦٨ هـ) الاصابة ٤/٩٠ .

(٥) طه ١٢٣ .

(٦) الرعد ٣١ .

(٧) الحسن بن محمد بن عثمان الكوفي : منكر الحديث : روى عن الثوري وشريك وعافية القاضي ، وعنه إسماعيل بن بهرام، والنضر بن سعيد الحارثي: الميزان ١/٥٢١ ، التهذيب ٢/٣١٩.

(٨) شيبان بن عبد الرحمن (— ١٦٤ هـ) التميمي مولاهم ، النحوي ، أبو معاويـــة ، البصري ، المؤدب ، سكن الكوفة ، ثم انتقل إلى بغداد ، روى عن خلق منهم قتادة . رضيه الأئمة : طبقات ابن سعد ٦/٢٦٢ ، تاريخ بغداد ٩/٢٧١ ، ميزان الاعتدال ٢/٢٨٥ ، تهذيب التهذيب ٤/٣٧٣ .

قتادة في قوله : (ولو أن قرآناً سُيِّرَت به الجبالُ أو قُطِّعَتْ به الأَرض أو كُلِّم به الموتى) . الآية . . .

قال : ذُكِرَ لنا أنَّ قُرَيْشاً قالت للنبيِّ ﷺ ، إن سَرَّكَ أن نُتابِعَكَ ، فسيِّرْ لنا جِبالَ تِهامةَ ، ووسِّعْ لنا في حَرَمِنا نَتَّخِذْ قطايعَ وبساتينَ ، وأَحْيِ لنا فُلاناً وفُلاناً ، أُناساً ماتوا في الجاهلية ، فإن تابَعوكَ ، وآمَنوا بك تابعْناكَ وآمنَّا بِكَ ، فأَنزلَ الله عزَّ وجلَّ هذه الآية . فلو فعل هذا بقرآنٍ غيرِ قرآنكم لفعل بقرآنِكم هذا ، وكَلَّمَ به المَوْتى . وسَمَّاهُ بُرْهاناً ، ونوراً ، ورحمةً ، وموعِظةً ، وبياناً ، وحقاً ، ومجيداً ، وبصائرَ وهُدًى ، وفرقاناً ، وشِفاءً لِما في الصُّدُور .

فعظَّمَهُ عند المؤْمنينَ ، ليُعظِّموا قَدْرَهُ ويفهموهُ ، لينالوا به شفاءَ قلوبِهِمْ .

وقال جَلَّ وعَزَّ : (لو أَنزلْنا هذا القرآنَ على جَبَلٍ لرأَيتَهُ خاشِعاً متصدِّعاً من خَشْيَةِ الله ، وتلك الأَمْثالُ نَضْرِبُها للنَّاسِ لعلَّهم يتفكَّرون)[1] . وأخبر جَلَّ وعَزَّ ، بعظيمِ قَدْرِهِ ، وضربَ الجبلَ مَثَلاً لقلوبِ المستمعينَ له ، ليعْقلوا فيتدَبَّروا آياتِهِ ،

---

(١) الحشر : ٢١ .

ويتفكَّروا في عجائبِهِ . فَضَرَب هذا المَثَلَ فدلَّ به أَنَّ مَنْ لم يَفْهَمْ عنه ما أَنزَلَ في كتابِهِ ، أَنَّ قَلْبَهُ أَقْسى من الحَجَرِ الأَصمِّ ، وأَنَّ ما فيه تتصدَّعُ الجبال لو فَهِمَتْهُ ، خشيةً للمتكلِّمْ به ، يُعَظِّمُ بذلك قَدْرَهُ وقَدْرَنا فيه ، ويُبيِّنُ لنا أَنَّ القلوب تَخْشَعُ لفَهْمِهِ وتخافُ اللهَ جَلَّ وعَزَّ : لعَقْلِها ما أَخبر به وأَخبَرَنا ، أَنَّ الجبالَ الرواسيَ لو أُنزلَ عليها كلامُهُ لتصدَّعَتْ خاشعةً لتعظيمِهِ .

وأَخبَرَنا أَنه أَحْسنُ من كلِّ حديث ومن كل قَصَصٍ ، وقال : ﴿ نحن نَقُصُّ عليكَ أَحْسنَ القصَص ﴾ (١) .

ثُمَّ أَخبَرَنا جَلَّ وعَزَّ أَنه قد انتهى في الحكمةِ ، فقال : ﴿ حكمةٌ بالغةٌ فما تُغْني النُّذُرَ ﴾ (٢) .

وأَخبَرَ أَنَّه لا مُبَدِّلَ لكلماتِهِ ، وأَخْبَرَ أَنه لا يَفْنى ولا يَنْفَدُ، فقال جَلَّ وعَزَّ : ﴿ قُلْ لو كان البحرُ مِداداً لكلماتِ ربِّي لَنَفِدَ البَحْرُ قبل أَنْ تَنْفَدَ كلماتُ ربِّي ﴾ (٣) .

وسَمَّى اللهُ عَزَّ وجَلَّ نَفْسَهُ فقال : ﴿ عليٌّ حكيم ﴾ (٤) .

---

(١) يوسف : ٣ .
(٢) القمر : ٥ .
(٣) الكهف : ١٠٩ .
(٤) الشورى : ٥١ .

وسمَّى كلامَهُ فقال : (وإِنَّـــه في أُمِّ الكتابِ لدينا لَعَلِيٌّ حكيمٌ)[1] .

حدَّثنا سُنَيد ، قال : حدثنا سفيانُ عن معمر عن قَتادَة قال : فإن استخففتم به فانه في أَمِّ الكتابِ لدينا لعليٌّ حكيمٌ .

وسمَّاهُ بأَحْسَنِ الأَسماء وأَعلاها ، إِنما سَمَّى به نَفْسَهُ فقال : (كتابٌ[2] عزيزٌ) .

ثم أَخبر أَنَّ ما قبله من الكتب مصدِّقٌ له ، وشاهِدٌ له ، وأَنه لا يأْتي مِن عنده كتابٌ أَبداً يبدِّلُ حُكمهُ ، ولا يَنْسِخُ أَمْرَهُ ونَهْيَهُ ، فقال عَزَّ وجَلَّ من قائل : (لا يأْتيه الباطِلُ من بين يديهِ ولا مِنْ خَلْفِهِ تنزيلٌ من حكيمٍ حَميد)[3] فأَخبر أَنه مَنَعَهُ من الخلائِقِ أَن ينتقصوا منه أَو يزيـــدوا فيه ، أَو يُحَرِّفوه كما حُرِّفَتْ الكُتُبُ من قَبْلِهِ .

حدَّثنا سُنَيد قال : حدثنا سفين عن معمر عن قتادة في قوله : (إِنَّ الذين كفروا بالذِّكْرِ لمَّا جاءهم وإِنه لكتابٌ عَزيزٌ[4] ، لا

---

(١) الزخرف : ٤ .
(٢) فصلت : ٤١ .
(٣) فصلت : ٤٢ .
(٤) فصلت : ٤١ .

يأْتيهِ الباطِلُ من بينِ يَدَيْهِ ولا مِنْ خَلْفِهِ) قال : الشيطانُ لا يستطيعُ أَن يبدِّلَ منه حَقّاً ولا يُحِقَّ (به) باطِلاً .

قال حدَّثنا حَجَّاج ، عن ابن جُريج عن مُجاهد ، قال : الباطِلُ الشيطان .

قال ابن جُريج : (لا يأْتيه الباطل من بين يديه) ، قال : ليس (فيما) قَصَصْنا (٨٨) على محمَّدٍ ﷺ فيما كان قبلَهُ باطلٌ ، ولا مِنْ خَلْفِهِ : مما قَصَصْنا عليه مما هو كائنٌ بعده من الدُّنْيا والآخرةِ .

قال حدثنا حجَّاج عن حمزةَ الزيات [١] ، عن أَبي مختار الطائي [٢] عن ابن أَخي الحارث ، عن الحارث [٣] قال : دخلتُ المسجدَ ،

---

(١) حمزه بن حبيب (٨٠ – ١٥٦ هـ) أبو عمارة الكوفي الزيات ، شيخ القراء ، أحد السبعة الأئمة . إليه المنتهى في الصدق والورع والتقوى . وهو صدوق في الحديث لكنه يخطىء فيه : طبقات ابن سعد ٢٦٨/٦ ، مشاهير علماء الأمصار ١٦٨ ، ميزان الاعتدال ٦٠٥/١ ، تهذيب التهذيب ٢٧/٣ .

(٢) أبو مختار الطائي . قيل اسمه سعد الكوفي . روى عن ابن أخي الحارث الأعور ، وشريح القاضي ، وسعيد بن جبير ، وأبي البختري . وعنه حمزة الزيات ، وشريك القاضي . لم يعرفه ابن المديني ، وأبو زرعة والترمذي : تهذيب التهذيب ٢٢٦/٨ .

(٣) الحارث (– ٦٥ هـ) بن عبد الله الأعور : من كبار علماء التابعين على ضعف فيه . كان له قول سوء ، وهو واه في رواياته . قال الشعبي : حدثني الحارث الأعور ، وكان كذوباً . وقال حصين: ما كذب على أحد من هذه الأمة ما كذب علي . ورجح الذهبي انه كان يكذب على علي فقط ، لا على رسول الله : طبقات ابن سعد ١١٦/٦ ، ميزان الاعتدال ٤٣٥/١ . وابن أخي الحارث : عن الحارث عن علي . وعنه أبو المختار الطائي ، لم يسم هو ولا أبوه : تهذيب التهذيب ٣١٧/١٢ .

فإذا الناسُ قد وَقَعوا في الأَحاديثِ فأَتيتُ علياً [1] رضيَ اللهُ عنه فقُلْتُ : يا أَميرَ المؤْمنين إنَّ الناس قد وقَعُوا في الأَحاديثِ قال : وقد فعلوها ؟ قلتُ : نعم .

قال : إني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول (إنها ستكون فتنة) قلت : وما المَخْرَجُ يا رسولَ الله ؟ قال : (كتابُ الله عزَّ وجلَّ، فيه نبأُ ما كان قبلكم ، وخَبَرُ مـــا بعدَكم ، وحُكْمُ ما بينكم ، هو الفَصْلُ ليس بالهزل ، مَنْ تركه من جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللهُ ، ومَن ابتغى الهُدى في غيرِهِ أَضَلَّهُ اللهُ . هو حَبْلُ الله المتينُ ، وهو الذِّكْرُ الحكيمُ ، وهو الصِّراطُ المُستقيمُ . هو الذي لا تَزِيغُ به الأَهواء ، ولا تَلْتَبِسُ فيه الأَلْسُنُ ، ولا تَشْبَعُ منه العلماءُ ، ولا يُخْلِقُ عن رَدٍّ ، ولا تَنْقَضي عَجائِبُهُ . وهو الذي لم تَلْبَثِ الجنُّ إذْ سَمِعَتْهُ أَنْ قالوا : (إنَّا سمعنا قرآناً عَجَباً) [2] . مَنْ قال به صُدِّقَ ، ومن عمِلَ به أُجِرَ ، ومن حَكَم به عَدَل ، ومن دَعى (دعـــا) إليه هُدِيَ إلى صراطٍ مستقيم) . قال : خُذْهَا إليك يا أَعورُ .

قال : وإنما احتاجَ التالي له إلى الأَحاديثِ عن قولِ العلمـــاءِ

---

(١) علي بن أبي طالب ، أمير المؤمنين (٢٣ ق. هـ - ٤٠ هـ) : ابن سعد ٣/٦ .
(٢) الجن : ١ .

الحكماءِ بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ ، حين ضُيِّعَ منهم كتابُهُ وطَلَبُ معانيه ، ولولا ذلك لكان كأَحَدِ العلمـــاءِ الذين يقولونَ بالحكمةِ ، ويتعظون بالتَّقوى ، لأَن فيه معانيَ التعظيمِ ، وما ينالُ به اليقينُ ، ويُستَدَلُّ به على كُلِّ خُلُقٍ كريمٍ .

قال : حدثنا خَلَفُ بن هشام البزَّار[1] ، قال : إسماعيلُ بنُ عيَّاش عن حجاجٍ عن مَروانَ الكلاعي[2] ، وعقيل بن مُدرك[3] السُلَمي يرفعانِهِ إلى أَبي سعيدٍ الخُدْري[4] ، أَنَّ رَجُلاً أَتاه ، فقال : يا أَبا سعيد ، أَوْصني ، فقال : سأَلْتُ رسولَ الله ﷺ من قبلِكَ ، فقال : (أُوصيكَ بتَقْوى اللهِ عز وجل ، فإِنَّها رأْسُ كُلِّ شيءٍ ، وعليك بالجهادِ ، فإِنه رهبانيةُ الإِسلام ، وعليك بذِكْرِ الله ، وتِلاوةِ القُرآنِ ، فإِنَّه رُوحُكَ في السماء ، وذِكْرُكَ في الأَرض ، وعليكَ بالصَّمْتِ إِلَّا في حَقٍّ ، فإِنك تَغْلِبُ الشَّيْطان) .

---

(١) خلف بن هشام البزار (– ٢٢٩ هـ) روى عن جماعة من الثقات ، وروى عنه كثيرون ... قال عنه الامام أحمد ، هو عندنا الثقة المأمون : تهذيب التهذيب ٣/١٥٦ .

(٢) مروان الكلاعي الهمذاني ابن سالم المقفع ، روى عن ابن عمر وغيره من الصحابة . ذكره ابن حبان في الثقات : تهذيب التهذيب ١٠/٩٣ .

(٣) عقيل بن مدرك السلمي : روى عن لقمان بن عامر الوصابي ، وجماعة . وروى عنه صفوان بن عمر وإسماعيل بن عياش وبقية بن الوليد : تهذيب التهذيب ٧/٢٥٥ .

(٤) أبو سعيد الخدري ، الصحابي الجليل : سعد بن مالك بن سنان (١٠ق.هـ – ٦٥هـ): الاصابة ٣/٨٥ .

قال : وحدثنا يزيدُ بنُ هرون[1] ، قال : أخبرَنا حَمَّادُ بنُ سَلَمَة[2] عن عاصمِ بنِ بَهْدَلة[3] عن مُعَتِّب[4] عن كعب[5] قال : عليكم بالقرآنِ ، فإنه فَهْمُ العقلِ ، ونُورُ الحكمةِ ، وينابيعُ العِلْمِ ، وأَحدثُ الكتبِ بالرحمنِ عَزَّ وجَلَّ .

قال : وحدَّثنا يزيدُ بنُ هرون ، قال : أَخبرَنا زياد[6] ، قال: حَدَّثنا الحَسَنُ ، قال: لمَّا أَحسَّ جُنْدُب[7] بقُدومِ طلحةَ والزُّبير[8] وخافَ القتالَ فخرجَ يُريدُ الحجازَ ، فَتَبِعَهُ قومٌ ، أَو قال ناسٌ ، فجَعَلوا يقولونَ : أَوْصِنا ، فقال : إقرأُوا القرآنَ ، فإنَّه نورُ

---

(١) ترجمنا له عند الحديث عن شيوخ الحارث .

(٢) حماد بن سلمة (— ١٦٧ هـ) الإمام ، العلم . كان إماماً في العربية ، فقيهاً وفصيحاً ؛ مفوهاً مقرئاً شديداً على المبتدعة ، له تواليف : طبقات ابن سعد ٣٩/٧ ، مشاهير علماء الأمصار ١٥٧ ، الميزان ٥٩١/١ ، العبر ٢٤٨/١ ، التهذيب ١١/٣ ، البداية والنهاية ١٥٠/١٠ .

(٣) عاصم بن بهدلة (—١٢٨ هـ) هو ابن ابي النجود القرىء المشهور، كان ثقة إلا انه كثير الخطأ في الحديث : تهذيب التهذيب ٣٨/٥ .

(٤) معتب : قيل ان اسمه مغيث، وهو مولى جعفر الصادق، وكان كذاباً: الميزان ١٤٢/٤ .

(٥) كعب الأحبار (٧٢ ق. هـ — ٣٢ هـ) يهودي، أسلم في خلافة عمر ، وكان كثير النقل عن أهل الكتاب ، فاتهم بالكذب : ابن سعد ١٥٦/٧ ، التهذيب ٤٠/٨ .

(٦) زياد بن حسان بن قرة الباهلي البصري ، وهو زياد الأعلم . روى عن أنس والحسن البصري ، وثقة العلماء ، وهو من قدماء أصحاب الحسن : تهذيب التهذيب ٣٦٢/٣ .

(٧) جندب بن عبد الله (— ٦٥ هـ) بن سفيان البجلي ثم العلقي ، يكنى أبا عبد الله ، له صحبة ، روى عن حذيفة ، وعنه : الحسن وابن سيرين وغيرهما : تهذيب التهذيب ١١٧/٢ .

(٨) طلحة بن عبيد الله ، (٢٨ ق. هـ — ٣٦ هـ) الصحابي الجليل، أحد العشرة المبشرين بالجنة : الاصابة ٢٩٢/٣ ، والزبير بن العوام (١٢ ق. هـ — ٣٦ هـ) الصحابي الكبير ، قال فيه عمر : الزبير ركن من أركان الإسلام . الاصابة ٥/٣ .

الليلِ المظلم ، وضياءُ النهار ، فاعملوا به على ما كان من جُهْدٍ وفاقةٍ .

قال : وحدَّثنا إسحاقُ بنُ عيسى [1] ، قال : حدَّثنا محمَّدُ بنُ طلحةَ [2] عن معنِ بن عبدِ الرحمن [3] عن عبدِ الله بنِ مسعود [4] قال : قال رسول الله ﷺ ، إنَّ كُلَّ مؤدِّبٍ يَجِبُ أن يؤدِّيَ أدَبَهُ ، وإنَّ أدَبَ اللهِ القُرآنُ .

وحدَّثنا خَلَفُ بنُ هشام ، قال : حدَّثنا عبدُ الوهاب الخَفَّاف [5] عن سعيدٍ [6] عن قَتادَةَ في قولِهِ (ومن يؤتَ الحكمة) [7] قال : القرآن .

---

(١) اسحاق بن عيسى (١٤٠ – ٢١٥ هـ) البغدادي . روى عن مالك والحمادين وشريك وهشيم ، وعنه جماعة ، وثقة العلماء . ابن سعد ٧/٨٣ ، التهذيب ١/٢٤٥ .

(٢) محمد بن طلحة (– ١٦٧ هـ) بن مصرف ، روى عن ابيه وجماعة ، وقد ضعفه بعض العلماء . الميزان ٣/٥٨٨ .

(٣) معن بن عبد الرحمن بن عبدالله بن مسعود ، روى عن ابيه وعن جده بالواسطة وعن أخيه القاسم ، وكان قاضياً على الكوفة كان ثقة ، ديناً : ابن سعد ٦/٢١٢ .

(٤) عبدالله مسعود (– ٣٢ هـ) صحابي جليل ، أسلم قديماً ، قال فيه رسول الله : إنك لغلام معلم: الإصابة ٤/١٢٩ .

(٥) عبد الوهاب بن عطاء الخفاف (– ٢٠٤ هـ) ابو نصر العجلي البصري ، سكن بغداد ، وكان مستملي سعيد بن أبي عروبة . أكثر العلماء على قبوله : التهذيب ٦/٤٥٠ .

(٦) سعيد بن أبي عروبة (– ١٥٥ هـ) كان ثقة، كثير الحديث ، ثم اختلط في آخر عمره، وهو من أوائل من ألفوا في الحديث : طبقات ابن سعد ٦/٣٣ ، مشاهير علماء الامصار ١٥٨ .

(٧) البقرة ٢٦٩ .

قال : وسمعتُ الكلبي [1] يقولُ : هي النبوةُ ، قال فـذكرتُ ذلك لداود بن أبي هند [2] ، فقـال : إنَّ النبوةَ لَحَسَنٌ ، ولكنه القرآن .

فضائل القراء :

قال : وحدَّثنا خلف بن هشام قال : حـدثنا عبد الوهاب عن بشر [3] عن القُثم [4] مولى خالد بن يزيد بن معاوية قال : أخبرني أبو أُمامةَ الحمصي [5] ، ان رسولَ الله ﷺ قال : مَنْ قرأَ ثُلُثَ القرآن أُعطيَ ثلثَ النبوةِ ، ومن قرأَ ثُلُثَيْهِ أُعطيَ ثُلُثَيْ النبوةِ ، ومَنْ قرأَ القرآنَ كُلَّهُ أُعطيَ النبوةَ كُلَّها .

قال : وحدَّثنا خلف بن هشام قال : حدَّثنا إسماعيل بن عَيَّاش الحمصي عن الحسن قـال : قال رسول الله ﷺ : مَنْ أَخذَ ثُلُثَ

---

(١) محمد بن السائب الكلبي ، الكوفي ، المفسر ، النسابة ، الأخباري ، ضعفه الأئمة ، وردوا حديثه : ميزان الاعتدال ٣/٥٥٧ .

(٢) داود بن أبي هند (– ١٣٧ هـ) واسم ابي هند دينار. كان من أهل الورع والفضل. روى عن أنس بالواسطة : مشاهير علماء الامصار ١٥١ .

(٣) بشر : هو ابن عبد الله السلمي ، نزيل الشام . كان من حرس عمر بن عبد العزيز .. ذكره ابن حبان في الثقات : تهذيب التهذيب ١/٤٥٤ .

(٤) لا يعرف .

(٥) لا يعرف .

القرآن وعَمِلَ به ، فقد أَخذ ثُلُثَ النبوةِ . ومَنْ أَخذ نِصْفَ القرآن وعَمِلَ به ، فقد أَخذ نِصْفَ النبوةِ . ومَنْ أَخذَ القرآنَ وعَمِلَ به ، فقد أَخذ النبوةَ كُلَّها .

قال : وحدَّثنا عُمَرُ بنُ طلحة[1] قال : حدَّثنا أَسباطُ بنُ نصر[2] قال : حدَّثنا سِماك[3] عن ملحان بن المخارق التيمي[4] قال : مَرَّ عمَّارُ بن ياسر[5] علينا ونحن في حلقةٍ فقُمْنا إليه فجلسْنا حوله ، فقلنا : حدِّثْنا ما سمعْتَ من رسول الله ﷺ فإنك صاحبه ولو فارقْتَنا (٨٩) لم نَجِدْ مِثْلَكَ ، قال : عليكم القرآنَ فإنَّ فيه كنزَ الأَوَّلينَ والآخرينَ .

قال : حدَّثنا يزيدُ بن هرون قال : أَخبرنا شُعْبَة[6] ، عن أَبي

---

(١) عمر بن طلحة الأزدي : روى عنه البصريون وضعفه المحدثون : الميزان ٢٠٨/٧ .

(٢) أسباط بن نصر : الهمداني . عن سماك وإسماعيل السندي ، وعنه ابو غسان المنهدي وعمرو بن حماد وجماعة . ضعفه جماعة . الميزان ١٧٥/١ .

(٣) سماك بن الوليد الحنفي ، ابو زميل ، من أهل اليمامة . كان متقناً ، ثبتاً ، قدم البصرة فحدثهم بها فكتب عنه العراقيون : مشاهير علماء الأمصار ١٢٣ .

(٤) لا يعرف .

(٥) عمار بن ياسر (٤٦ ق.هـ - ٥٧ هـ) ابو اليقظان الصحابي القديم ، شهد صفين : الاصابة ٢٧٤/٤ .

(٦) شعبة بن الحجاج (٨٥ - ١٦٠ هـ) بن ورد ، مولى بني عتيك ، كنيته ابو بسطام ، كان يسكن البصرة زماناً ، وواسط حيناً ، وهو امام ، ثقة ، ثبت ، امير المؤمنين في الحديث . اجمع العلماء على إمامته ، وجلالة قدره : ابن سعد ٣٨/٧ ، مشاهير علماء الأمصار ١٧٧ ، حلية الأولياء ٤٤/٧ ، العبر ٢٣٤/١ ، البداية والنهاية ١٣٢/١٠ ، تهذيب التهذيب ٣٣٨/٤ .

إسحق [1] ، عن عمرو بن مرة [2] ، عن عبد الله ، قال : مَنْ أَحبَّ العِلْمَ (فليثور ؟) القرآن ، فإنَّ فيه عِلمَ الأَوَّلينَ والآخرين .

قال : وحدَّثنا حُجينُ بن المُثنى [3] قال : حدَّثنا إسرائيلُ [4] ، عن أَبي إسحقَ ، عن عَمرو ، عن عبدِ الله ، أَنه كان يقرأُ القرآنَ فيمُرُّ بالآيةِ ، فيقولُ للرجُلِ خُذْها ، فوالله لهيَ خيرٌ مما على الأَرض من شيءٍ ، فيرى الرجل انما يَعْني تلك الآيـــة ، حتى يفعلَهُ بالقومِ كُلِّهِمْ . ثم قال : جَعَلَ اللهُ جَلَّ وعزَّ قارىءَ القرآنِ مع السَّفَرَةِ .

قال : حدَّثَنا أَبو النضر . قال : حـدَّثنا شُعْبَةُ ، عن قَتادةَ ، قال : سمعْتُ زُرارة بنَ أَوفى [5] يحـــدِّثُ عن سعدِ بن هِشامٍ

---

(١) ابو اسحاق السبيعي (٣٠ - ١٢٨ هـ) الهمداني ، عمرو بن عبدالله . ثقة ، ثبت ، يقال انه سمع عليـــاً وبعض الصحابة . نسي في اخر عمره : ابن سعد ٢١٩/٧ ، مشاهير علماء الأمصار ١١١ .

(٢) عمرو بن مرة الجملي المرادي (- ١١٦ هـ) ثقة ، اثنى عليه الأئمة ، وكان مرجئاً : مشاهير علماء الأمصار ١٠٣ ، الميزان ٢٨٨/٣ . وعبد الله الذي يروي عنه ، هو الصحابي عبد الله بن أبي أوفى (- ٨٦ هـ) اخر من توفي من أصحاب النبي بالكوفة: ابن سعد ١٣/٦ ، التهذيب ١٠٢/٨ .

(٣) ترجمنا له عند الحديث عن شيوخ الحارث .

(٤) إسرائيل بن يونس (- ١٦٠ هـ) ابن أبي اسحـاق السبيعي، من المثقنين : مشاهير علماء الامصار ١٦٩ .

(٥) زرارة بن اوفى (- ٩٣ هـ) من كبار التابعين ، ثقة ، عابد ، كان على قضاء البصرة: طبقات ابن سعد ١٠٩/٧ .

الانصاري[1] ، عن عائشة[2] ، عن النبي ﷺ ، قال : الذي يقرأُ القرآنَ وهو له حافظٌ ، مع السَّفَرَةِ ، الكرامِ ، البَرَرَةِ . ومَثَلُ الذي يقرؤُهُ وليس بحافظٍ له وهو يتعاهَدُهُ ، فله أَجْرانِ .

قال : ثمَّ جعلَ تباركَ وتعالى قارئهُ في أَعلا درجاتِ الجنَّاتِ ، ومَنْ قرأَ منه شيئاً ارتقى في دَرَجِ الجنَّاتِ على عَدَدِ ما أَخَذَ من آياتِهِ .

قال : حدَّثنا أَبو نُعَيم[3] قال : حدَّثنا سُفَيْن ، عن عاصم ، عن زرّ[4] عن عبدِ الله بنِ عَمْروٍ[5] ، عن النبيِّ ﷺ قال : منزِلتُك عند آخرِ آيةٍ تَقرؤُها .

قال وحدَّثنا أَبو النضر قال : حدَّثنا أَبو خَيْثَمَة[6] قال :

---

(١) سعد بن هشام بن عامر الانصاري : ابن عم أنس بن مالك . كان من عباد التابعين والمرابطين . قتل بأرض مكران غازياً : مشاهير علماء الامصار ٩١ .

(٢) عائشة بنت الصديق (٩ ق. هـ — ٥٨ هـ) أم المؤمنين : الاصابة ١٣٩/٨ .

(٣) ترجمنا له عند الحديث عن شيوخ الحارث .

(٤) زر بن حبيش (٤٠ ق. هـ — ٨٢ هـ) الاسدي ، أبو مريم ، ادرك الجاهلية ، ولا صحبة له : مشاهير علماء الامصار ١٠٠ .

(٥) عبد الله بن عمرو بن العاص (٧ ق. هـ — ٦٥ هـ) الصحابي الجليل . غير أن زراً روى عن ابن مسعود ، ولم يرو عن ابن عمرو : تهذيب التهذيب ٣٢١/٣ .

(٦) زهير بن معاوية (— ١٧٤ هـ) الجعفي ، أبو خيثمة ، مولده بالكوفة ، وكان حافظاً متقناً : مشاهير علماء الامصار ١٨٦ .

حدَّثنا موسى الفَرَّاء[1] ، عن (أَبي) عنبس[2] ، عن عمران بن حطان[3] ، قال : سأَلْتُ أُمَّ الدرداء[4] فَقُلْتُ : حَدِّثينا عن فَضْلِ القرآن فقالت : إِنَّ دَرَجَ الجنةِ على عَدَد آي القرآن ، وإِنه يُقال لصاحِبِ القرآنِ : إِقرأْ وارْقَهْ .

قال : وحدَّثنا يزيدُ بن هارون[5] ، قال : أَخبر اسماعيلُ بنُ أَبي خالد[6] ، عن أُبَيٍّ[7] قال : حُدِّثْتَ أَنَّ ثلاثةً على كُثْبانِ المِسْكِ يومَ القيامةِ :

رَجُلٌ وعى كتابَ الله جلَّ وعزَّ ، فأَمَّ به قوماً وهم به راضُون.

ورجلٌ يُؤَذِّنُ بالصلواتِ في كُلِّ يومٍ خمسَ مرَّاتٍ في الليلِ

---

(١) موسى الفراء : ابن قيس الحضرمي ، أبو محمد الكوفي . لقبه عصفور الجنة . وثقة ابن معين وأحمد وأبو حاتم . وضعفه العقيلي لرفضه : تهذيب التهذيب ١٠/٣٦٧ .

(٢) أبو عنبس : حجر بن العنبس الحضرمي . قال ابن معين : ثقة ، كوفي ، مشهور ، وفي الاصل « عنبس » تهذيب التهذيب ٢/٢١٤ .

(٣) عمران بن حطان (— ٨٤ هـ) السدوسي ، البصري ، الخارجي . كان صدوقاً ، على كونه من أهل الاهواء : الميزان ٣/٢٢٥ .

(٤) أم الدرداء : إحدى زوجتي الصحابي أبي الدرداء. وهي هنا الصغرى ، واسمها هجيمة ولا تعرف لها صحبة : الاصابة ٨/٧٤ .

(٥) يزيد بن هارون : ترجمنا له عند الحديث عن شيوخ الحارث .

(٦) إسماعيل بن أبي خالد (— ١٤٥ هـ) أبو عبد الله ، واسم أبي خالد سعد البجلي : مشاهير علماء الامصار ١١١ .

(٧) أبي (— ٣٠ هـ) ابن كعب الانصاري ، الصحابي ، الصدوق ، سيد القراء : الاصابة ١/١٦ .

والنهارِ يبتغي بذلك وَجْهَ اللهِ عزَّ وجلَّ والدارَ الآخرة .

وعَبْدٌ مملوكٌ ، لم يَشْغَلْهُ رقُّ الدنيا عن عِبادةِ ربِّهِ .

قال : وحدَّثنا الحسن بن محمد قال : حـدَّثنا شيبانُ ، عن قتادةَ في قوله : (آلر تلك آياتُ الكتابِ المُبين)[1] قال : أي والله مبين بركته ورشده . وقوله : (ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ، ولكن أكثر الناس لا يشكرون) قال : إنَّ المؤمن ليشكرُ نعمةَ الله عليه وعلى غيره . قال : وذُكر لنا أنَّ أبا الدرداءِ كان يقولُ : يا رُبَّ شاكرٍ نعمة غيرِهِ .

قال : وحدَّثنا سَيَّار[2] ، عن قَتادةَ في قوله : (لقد كان في قَصَصِهِمْ عبْرةٌ لأُولي الأَلْباب)[3] إلى قوله : (ولكنْ تصديقَ الذي بين يديه) .

قال : القرآنُ مُصَدِّقٌ الكتبَ التي قبله ، ويشهدُ عليها قوله : (وتفصيل كُلِّ شيء) ، قـال : فَصَّلَ اللهُ حلالَهُ وحرامَهُ ، وطاعَتَهُ ومَعْصِيَتَهُ .

---

(١) سورة يوسف : ١

(٢) سيار (– ١٩٩ هـ) ابن حاتم العنزي البصري ، صالح الحديث ، وثقة ابن حبان : الميزان ٢/٢٥٣ .

(٣) يوسف : ١١١ .

قال : وحدَّثنا أبو النَّضْر قال : حَدَّثَنا شُعْبَةُ ، عن عطاء بنِ السَّائب[1] ، عن الأَحوص[2] قال : كان عبدُ الله يقول : تَعَلَّموا القرآنَ ، واتْلوهُ تُؤْجرُوا بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرَ حسناتٍ . أَما إِني لا أَقولُ الم حَرْفٌ ، ولكن أَلف حرفٌ ، ولام حرفٌ ، وميم حرفٌ .

قال : وحدَّثنا محمدُ بنُ جعفر[3] قال : حدَّثنا وَرْقَاءُ[4] ، عن أَبي نَجيح[5] ، عن مجاهد قوله (النبأ العظيم)[6] قال : القرآن .

قال : وحدَّثنا عثمانُ بن محمد[7] قال : حدَّثنا عَقيلُ بنُ جابر[8]

---

(١) عطاء بن السائب (٣٨ – ١٣٦ هـ) أحد علماء التابعين، روى عن جماعة من الصحابة. حدث عنه سفيان الثوري وشعبة والفلاس . تغير بأخرة ، وساء حفظه : الميزان ٣/٧٠ .

(٢) عوف بن مالك بن فضلة : أبو الاحوص الكوفي ، روى عن أبيه ، وله صحبة ، وكان قاصاً ، قتلته الخوارج أيام الحجاج بن يوسف ، وثقة ابن معين : تهذيب التهذيب ٨/١٦٩ .

(٣) محمد بن جعفر : المدائني ، روى عن ورقاء وغيره ، روى عنه مسلم حديثاً واحداً : الميزان ٣/٤٩٩ .

(٤) ورقاء بن عمر اليشكري : كوفي : نزل المدائن ، وثقة أحمد وشعبه وأبو داود، وضعفه يحيى القطان : ميزان الاعتدال ٤/٣٣٢ .

(٥) أبو نجيح (– ١٠٩ هـ) اسمه يسار ، روى عن جماعة من الصحابة، وثقه ابن معين: التهذيب ١١/٣٧٧ .

(٦) النبأ : ٢ .

(٧) عثمان بن محمد (١٥٦ – ٢٣٩ هـ) بن إبراهيم العبسي ، أبو الحسن ابن أبي شيبة الكوفي ، صاحب المسند والتفسير ، روى عن هشيم وجرير بن عبد الحميد ووكيع وخلق . وروى عنه كثيرون ، وثقة الائمة : تهذيب التهذيب ٧/١٤٩ .

(٨) عقيل بن جابر : بن عبد الله الانصاري المزني ، روى عنه صدقة بن يسار ، وثقه ابن حبان : تهذيب التهذيب ٧/٢٥٣ ، وفي الاصل : ابن جبير .

عن هلال بن يَساف [1] ، عن فَروةَ بنِ نوفل [2] قال : حدَّثنا خَبَّابُ ابن الأَرَتّ [3] — وخرجْتُ معـــه من المسجد — فقال لي : إن استطعْتَ أن تَقَرَّبَ إلى الله عزَّ وجلَّ ، فإنك لا تَقَرَّبُ إليه بشيءٍ أَحبَّ إليه من كلامه .

قال : وفَضَّلَ الله جَلَّ وعزَّ أَهْلَ التِّلاوةِ للقرآنِ بِتِلاوتِهِ ، وأَخْبَرَ أَنهم يقُومونَ بأَمْرِه ، فقال : (إن الذين يَتْلُونَ كتابَ الله، وأَقاموا الصلاةَ ، وأَنفقوا مِمَّا رزقْنـــاهم سِراً وعلانِيَةً يَرْجُونَ تِجارةً لَنْ تَبور) [4] يُخْبِرُهُمْ أَنَّ تِجارَتَهُمْ في الآخِرَةِ (هي) الرابحة وانها لا تَكْسَدُ عنده حتى يوفِّيَهُمْ أُجورَهُمْ من الجَنَّةِ .

قال : حدَّثنا يحيى بن (أَبي) بكير [5] قال : حـدَّثنا شُعْبَةُ

---

(١) هلال بن يساف الاشجعي الكوفي ، روى عن الحسن بن علي ، وجماعة منهم فروة بن نوفل ، وثقه الائمة : ابن سعد ٦/٢٠٨ ، مشاهير علماء الامصار ١٠٩ ، تهذيب ١١/٨٦ .

(٢) فروة بن نوفل الاشجعي الكوفي ، روى عن النبي (ص) مرسلاً ، وعنه : هـــلال بن يساف ، وأبو إسحاق السبيعي ، وشريك بن طارق ونصر بن عاصم: تهذيب التهذيب ٨/٢٦٦ .

(٣) خباب بن الارت (٢٦ ق. هـ — ٣٧ هـ) الصحابي القديم : الاصابة ٢/١٠١ .

(٤) فاطر : ٢٩ .

(٥) يحيى بن أبي بكير (— ٢٠٩ هـ) أبو زكرياء الكوفي ، سكن بغداد ، فروى عنه أهلها ، وثقة الائمة : تهذيب ١١/١٩٠ في الاصل : ابن بكير .

(٩٠) عن يزيد[١] « الرتلك » قال ، قال مطرف بن الشخير[٢] : هذه آيةُ القرآن : (إنَّ الذينَ يَتلُونَ كتابَ الله، وأَقاموا الصلاةَ، وأَنفقوا ممَّا رزقناهم سِرّاً وعلانِيَةً يَرْجُونَ تجـارةً لن تَبور) إلى قوله (غفور شكور)[٣] .

قال : وحدَّثنا القُثَمُ بنُ القُثَمِ[٤] قال : حدَّثنـا شُعبةُ ، عن علقمةَ بن مرْثَد[٥] قال : سَمِعْتُ سعدَ بنَ عبيدة[٦] يقول : ان أَبا عبد الرحمن السلمي[٧] (حدَّثه) عن عثمان بن عفان[٨] رضي الله

---

(١) يزيد بن حميد (– ١٣٠ هـ) أبو التياح الضبعي ، البصري . روى عن خلق منهم مطرف بن الشخير ، وروى عنه كثيرون : ابن سعد ١٣/٧ ، تهذيب التهذيب ٣٢٠/١١ .

(٢) مطرف بن الشخير (١١ – ٦٧ هـ) هو مطرف بن عبد الله بن الشخير العامري ، أبو عبد الله ، من أهل العبادة والزهد والتقشف ، ممن لزم الورع الخفي : ابن سعد ١٠٣/٧ ، مشاهير علماء الامصار ٨٨ ، الحلية ١٩٨/٢ .

(٣) فاطر : ٣٠ .

(٤) لا يعرف .

(٥) علقمة بن مرثد (– ١٢٠ هـ) الحضرمي ، أبو الحارث الكوفي . روى عن جماعة من التابعين . وعنه روى بعض كبار تابعيهم ، كشعبة والثوري ومسعر ، وثقه الائمـة : ابن سعد ٢٣١/٦ ، تهذيب التهذيب ٢٧٨/٨ .

(٦) سعد بن عبيدة (ت ١٠٣ – ١٠٦ هـ) السلمي، أبو حمزة الكوفي . روى عن المغيرة وابن عمر والبراء بن عازب وابي عبد الرحمن السلمي ، وكان ختنه على ابنته . وعنه : الاعمش ومنصور وابن عتيبة وعلقمة بن مرثد : تهذيب ٤٧٨/٣ .

(٧) أبو عبد الرحمن السلمي (– ٧٢ هـ) عبد الله بن حبيب بن أبي ثابت . روى عن أبيه وبعض الصحابة . وعنه طاوس واياس وابن جبير وعطاء وسعد بن عبيدة . وثقه العلماء : ابن سعد ١١٩/٦ .

(٨) عثمان بن عفان (٦ ق. هـ – ٣٥ هـ) أمير المؤمنين ، الشهيد : الاصابة ٢٢٤/٤ .

عنه ، عن النبيِّ ﷺ قال : خيرُكم مَنْ تعلَّم القرآنَ وعلَّمَهُ ، قال أبو عبد الرحمن : فذاك الذي أَقْعدني مقعَدي هذا .

قال : وحدَّثني أبو بكر بن أبي شيبة[1] قال : حدَّثنا عبدةُ ابنُ سُلَيمان[2] ، عن الأَعْمَشِ[3] قال ، قال عبدُ الله : مَنْ قرأَ القرآنَ فهو غِنًى .

قال : وحدَّثنا أبو النضر قال : حدَّثنا الهيثمُ بنُ جَمَّاز[4] ، عن يحيى بن أَبي كثير[5] ، عن أَبي سلمةَ بن عبد الرحمن[6] قال :

---

(١) ترجمنا له عند الحديث عن شيوخ الحارث .

(٢) عبدة بن سليمان (– ١٧٨هـ) ابو محمد الكوفي . يقال اسمه عبد الرحمن ابن سليمان بن حاجب بن زرارة . روى عن جماعة من الثقات . وعنه : أحمد واسحاق وابنا أبي شيبة : تهذيب ٦/٤٥٩ .

(٣) الأعمش (٦٠–١٤٨ هـ) سليمان بن مهران الاسدي الكوفي . روى عن ابن أبي أوفي وأبي وائل والكبار، وكان محدث الكوفة وعالمها . قال يحيى القطان : هو علامة الأسلام . عرف بالتدليس ، مع الثقة والضبط والورع العظيم : ابن سعد ٦/٢٣٨ ، تاريخ ابن خياط ٢/٦٥٥ ، مشاهير علماء الامصار ١١١ ، الميزان ٢/٢٢٤ ، العبر ١/٢٠٩ ، تاريخ الاسلام ٦/٣١ ، البداية والنهاية ١٠/١٠٥ ، تهذيب التهذيب ٥/٢٢٢ .

(٤) الهيثم بن جماز : الحنفي البكاء . بصري معروف . روى عن يحيى بن أبي كثير . قال قال ابن معين : كان قاضياً بالبصرة . ضعيف، متروك الحديث: ميزان الاعتدال ٤/٣١٩ .

(٥) يحيى بن أبي كثير (– ١٢٩هـ) اليمامي . أحد الاعلام الاثبات الا أنه كان يدلس : الميزان ٤/٤٠٢

(٦) أبو سلمة بن عبد الرحمن (– ١٠٤هـ) احد فقهاء المدينة السبعة . وهو ابن عبدالرحمن بن عوف . كان من افاضل قريش وعبادهم وزهادهم . يقال ان اسمه كنيته وقدقيل اسمه عبدالله : مشاهير علماء الامصار ٦٤

قال رسول الله ﷺ : أَعبدُ الناس أَكثرُهم تلاوةً للقرآن ، وإنَّ أَفضل العبادةِ الدعاءُ .

قال أَبو النضر عن شعبةَ ، عن سليمان التيمي[1] ، قال سمعْتُ أَبا عُمَرَ[2] ، قال ، قال سليمانُ : لو أَنَّ رَجُلاً بات يَتْلُو كتابَ الله ، وباتَ آخرُ يُحْمَلُ على القِبـاب البيض ، لرأَيتُ الذي باتَ يَتْلُو أَعلاهما أَجْراً .

قال وحدَّتنا أَبو النضر قال ، حدَّتنـا صالح الناجي[3] ، عن قَتادةَ ، عن زُرارة[4] بنِ أَوفى ، قال : قام رَجُلٌ إلى النبيِّ ﷺ، قال : يا رسول الله ، أَيُّ العمل أَحبُّ إلى الله عزَّ وجلَّ ؟ قال : الحالُّ المرتَحِل[5] .... قال: صاحبُ القرآن أَن يضربَ من أَولِهِ إلى آخِرِهِ ، ومن آخِرِهِ إلى أَوَّلِهِ كُلَّما حلَّ ارتَحَلَ .

قال : ثُمَّ أَكَّد الحُجَّةَ على مَنْ تلا كتابَهُ وحَفِظَـهُ ، وأَلزمهُمْ

---

(١) سليمان التيمي (– ١٤٣هـ) ابن طرخان . من عباد اهل البصرة وصالحيهم ثقـة واتقانا وحفظاً : مشاهير علماء الامصار ٩٣ .

(٢) ابو عمر: حماد بن واقد العيشي الصفار . كثير الوهم والخطأ: الميزان ١/٦٠٠

(٣) صالح المري (– ١٧٢هـ) الملقب بالناجي ، كان من عباد اهـل البصرة .. وعرف بالضعف : تهذيب ٤/٣٨٢

(٤) زرارة بن أوفي النخعي : له صحبة . مات في زمن عثمان . الإصابة ٣/٧

(٥) هنا جملة ساقطة ربما كانت: ومن هو الحال المرتحل يا رسول الله ؟

من الفروضِ ما لم يلزم غَيْرَهُم ، فقال : (ما كان لِبَشَرٍ أَن يؤْتِيَهُ اللهُ الكتابَ والحُكْمَ والنبوةَ ثم يقول للناسِ كونوا عِباداً لي مِنْ دونِ الله ولكن كونوا ربَّانيِّينَ بما كنتم تُعَلِّمونَ الكتابَ وبما كُنتم تَدْرُسُونَ)[1] .

فأَخبر جَلَّ وعزَّ ، أَنَّ كُلَّ مَنْ أَتاهُ اللهُ الكتابَ والحَكَمَةَ من النَّبيِّين ، أَنه أَمره ان يبلِّغَ قولَهُ ، أَنَّ الله جـــلَّ وعزَّ ، أَمرهم أَن يكونوا حُكماءَ علماءَ فُقهاءَ بما عُلِّموا من الكتاب وبما كانوا يدرسون.

وقال عزَّ من قائل (إِنَّا أَنزلنا التورية « التوراة » فيهـــا هُدًى ونور يحكمُ بها النبيونَ الذين أَسلموا[2] للذين هـــادوا والربانيون والأَحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداءَ) فأَوجب عليهم الحكمَ بما استُحفظوا من كتابِ الله وشهدوا انـــه الحق ، ثم أَوجبَ عليهم أَن لا يَخْشَوْا عبادَهُ في القيامِ به فيهم ، فقال : (فلا تخشوا الناس واخشون)[3] ثم قال : (إِن كنتم مؤْمنين)[4] قد صَدَّقْتُم بي وبكتابي .

---

(١) آل عمران ٧٩
(٢) المائدة ٤٤
(٣) المائدة ٤٤ .
(٤) المائدة ٤٤ .

القسم الثاني

في فقه القرآن

قلت : قد علمت أَنَّ في فهمه النجاةَ ، وفي الإغفال عنه الهلكة. فلو ذابَ أَهْلُ السمواتِ ، وأَهْلُ الأَرضِ حين يسمعون كلامَ الله عزَّ وجلَّ ، أَو ماتوا خُموداً (أَجمعون؟) لكان ذلك حَقٌّ لهم ، ولما كان ذلك كثيراً إذ تكلم الله عزَّ وجلَّ به تكليما من نَفْسِهِ من فوق عَرْشِهِ ، من فوق سبع سمواته . فإذا عَظُمَ في صدرك تعظيمُ المتكلِّم به ، لم يكن عندك شيءٌ أَرفعُ ولا أَشرفُ ، ولا أَنفعُ ، ولا أَلَذُّ ولا أَحلى من استماع كلام الله جلَّ وعزَّ ، وفهم معاني قوله ، تعظيماً وحباً له وإجلالاً . إذ كان تعالى قائلُه ، فحُبُّ القول على قَـــدْرِ حُبِّ قائله .

وكذلك نَجِدُهُ في فِطرِنَا فيما بيننا وبين الخَلْق .

نُحِبُّ قولَ الأَخِ والقرابَةِ والعالِمِ والشريفِ على قَدْرِ محبتنا له ، ونُجِلُّ قولَهُ ونُعَظِّمُ ونُرَدِّدُ ذِكْرَهُ ونتفهَّمُ معانِيَهُ ، على قَدْرِ حُبِّنا له وإجلالنا له .

فكلامُ العالِمِ عندنا أَحلى وأَلذُّ وأَرفعُ وأَجـــلُّ من كلامِ الجاهِلِ . وكلامُ الشريفِ من كلامِ الوضيعِ . وكلامُ مَنْ أَحسن إلينا (لا) كمن لا إحسان له إلينـــا . وكلامُ الناصحِ المتحنِّنِ (أَحسن) من كلام مَنْ لا ينصحُنا ولا يتحنَّنُ علينـا ، حتى إنَّ كلامَ الوالدةِ نَجِدُ له من اللَّذَّةِ والحلاوَةِ ما لا نَجِـــدُ من كلامِ غيرِها ، لمعرفتِنا برحمتِها ، ونُصْحِها ، وتحنِّيها علينا .

فلا أَحدَ أَعظمُ من اللهِ عزَّ وجلَّ عندنا قدراً ولا أَشْرف ، بل لا شَرَفَ ولا قَدْرَ لمنْ لم يجعل اللهُ عَزَّ وجلَّ له الشَّرَفَ والقَدْرَ . ولا أَحدَ أَعلمُ من اللهِ جَلَّ وعَزَّ (٩١) ، ولا أَحـدَ (أَقرب) لنا ولا أَرحم ولا أَعظم تحنناً من اللهِ تعالى . بل لَمْ يَرْحَمْنا راحِمٌ ولم ينصحْنا ناصِحٌ ولم يتحنَّنْ ، علينا مُتحَنِّنٌ ، إلَّا بما استودعَ لنا في قلبه ، وسخَّرَهُ لنا بالرحمةِ والنُّصْحِ .

أَلم تسمع قولَ عبدِ الله : مَن أَرادَ أَن يعلَمَ أَنه يُحِبُّ اللهَ عَزَّ وجلَّ فلينظر هل يُحبُّ القرآن ؟

وحدَّثنا يزيدُ بنُ هارونَ قال : حدَّثنا شعبةُ عن إبي إسحقَ ،

عن عبد الرحمن بن يزيد [1] عن عبد الله قال : مَنْ سرَّهُ أَن يعلَمَ أَنه يحبُّ الله ورسولَهُ فلينظرْ فإنْ كان يُحِبُّ القرآنَ فـــإنه يُحِبُّ اللهَ ورسولَهُ .

حدَّثنا حُجَيْنُ بنُ المُثنَّى قال : حدَّثنا إسرائيل عن أَبي إسحق عن عبد الله بنِ يزيد : لا يسأَلْ عبدٌ عن نفسِهِ إِلَّا القرآن ، فمَنْ كان يُحبُّ اللهَ ورسولَهُ ، فمن كان كذلك محباً له يحبُّهُ الله .

واللهُ أحبُّ إِليه من نفسه ، ومن كلِّ شيءٍ كان .

تلاوةُ القرآنِ وتفهُّمُهُ أَلذُّ الأَشياءِ عنده ، وأَنفعُها لقلبه ، ولم يمل مِن تلاوتِهِ ، ولم يقنعْ بتلاوتِهِ دون أَن يطلبَ الفهمَ لمعاني ما أَرادَ اللهُ عزَّ وجـــلَّ ، من تعظيمِهِ وتبْجيلِهِ ومحبَّتِهِ ، وأَمْرِهِ ، ونَهْيِهِ ، وإِرشادِهِ ، وآدابِهِ ، ووعْدِهِ ، ووعيدِهِ ، ويعلمُ أَنه لا ينالُ منافعَ آخِرَتِهِ ، ولا الفوزَ فيها ، والنجاةَ من هلكتِها ، إِلَّا بالعلمِ الدَّالِّ على كل نجاةٍ ، والمُنجي له من كُلِّ هلكةٍ ، ولا نجاةَ له في آخِرتِهِ ، ولا اعتصامَ له في انتهائِهِ عمَّا يستوجبُ به عـــذابَ ربِّه ، إِلَّا بالعلم الدَّالِّ على ذلك .

---

(١) عبد الرحمن بن يزيد (— ٨٣ هـ) بن قيس النخعي ، أبو بكر الكوفي . روى عن عثمان وعبدالله بن مسعود ، وعنه ابنه محمد ، وابراهيم النخعي وأبو اسحاق السبيعي وجماعة . وثقة ابن سعد والعجلي والدارقطني : تهذيب التهذيب ٦/٢٩٩ .

فإذا عَلِمَ ذلك، رغِبَ في العلم ليحركَهُ لطلبِ الفوز من عذاب الله تعالى ، ومن سبيلِ كُلِّ هلكة ، ويدلَّ على سبيلِ مَحَجَّةِ النجاةِ ، عن بيانٍ ، وبصيرةٍ ، ويُجانِبُ[1] طُرُقَ الردى ، بعد إيضاحٍ واستبانةٍ لها .

فإذا رَغِبَ في ذلك ، نَظَرَ بعقلٍ صحيح ان العلمَ أَرفعُ المقدار ، وأَنفعُ للقلوب ، وأَفتحُهُ لأَبصارِها .

فعلِمَ أَنَّ العلمَ على قَدْرِ العالِمِ . فأَيُّ العلماءِ أَعْلَمُ ، كان طلبُ علمِهِ أَحبَّ إليه من طلب علمِ مَنْ هو دونه في العلمِ .

أَلا ترى انَّ الاستماعَ من الرُّسُلِ عليهم السلامُ والتفهُّمَ عنهم ، أَولى وأَرفعُ عند الناس لعظيمِ قدرِهم ، لأَنهم عن الله عزَّ وجلَّ أَخذوا علمَهُم ، وأَنهم معصومون من الخطإِ من الله جَلَّ وعَزَّ في دينِهِ ، فقد لَزِمَ قلوبَ المؤْمنين الأَمانُ من الخطإِ فيما أَخذوا عنهم من العلم ، وكذلك اتِّباعُ الرُّسُلِ أَرفعُ في العلم ممن دونهم من التابعين .

فاعرف ذلك ، ثم اعرفِ القرآنَ كلامَ مَنْ هُوَ . وهل أَحدٌ

---

(١) في الاصل : وتجانب .

أَعلمُ من قائِلِه والمتكلِّم به ؟ ولا يصيب أَحدٌ علماً إلَّا من قائِلِه وهو اللهُ ربُّ العالمين جَلَّ ثناؤُهُ ، وتقدَّستْ أَسماؤُهُ .

فإذا كان الله جَلَّ ثناؤُه عندك أَعلَمَ العلماءِ بل لا عِلْمَ لأَحدٍ إلَّا من علمِهِ . أَلم تسمعه تعالى يقول : « وفوقَ كُلِّ ذي عِلْمٍ عليم »[1] . حتى ينتهيَ العلمُ إلى الله جَلَّ وعَزَّ .

وقد قال عبدُ الله : مَنْ أَحبَّ العلمَ فليقرأ[2] القرآن ، فإنَّ فيه علمَ الأَولين والآخرين .

فإذا كان ذلك عندك لم تُؤْثِرْ على كلامِ الربِّ سبحانه علماً من العلومِ ، ولم تجد له حلاوةً ولا شاهِداً لتلاوته ، وفهمِهِ ، فيكونُ فهمُهُ عندك أَلذَّ الأَشياءِ وأَحلاها ؛ حُبّاً لقائِلِه ، وتعظيماً وإجلالاً للمتكلِّمِ به ، لأَنه كلامُ القديمِ الأَوَّل ، والعظيمِ الأَجلِّ ، والكريم الأَعلى . أَنزلَهُ على عِبادِهِ ليعرِّفَهُم به نَفْسَهُ ، ويذكِّرَهُمْ به أَياديَهُ ، وينبِّههُم به من رقداتِ الغافلين ، ويُحْيِيَ[3] قلوبَهُمْ ، ويُنوِّرَ به أَبصارهم ، ويشفيَ به الصدور ، ويزيلَ جهلها ، ويَنْفيَ شكوكَها ،

---

(١) يوسف ٧٦ .
(٢) في الاصل : فليثور .
(٣) في الاصل : في

ويغسلَ به دَنَسَها ، وزيفَها ، ويوضِّحَ به سبيلَ الهدى ، ويكشفَ به العمى والشُّبُهاتِ ، ويُزيلَ نوازِعَ الشيطانِ ، ووساوسَ الصدور ، ويُغْنِيَ به مَن فَهِمَهُ ، ويُقَرِّبَهُ من عقلِهِ ، ويَنْعَمَ به مَن كَرَّرَ تلاوَتَهُ ، ويَرْضَى به عمَّن اتَّبَعَهُ .

هو طريقُ اللهِ المستقيمُ الذي مَنْ سلك ما دلَّهُ عليه أَوقَفَهُ على الرغائِبِ ، وسلمه من جميعِ المهالِـــكِ ، وأَوردَهُ رياضَ جِوارِ الربِّ جلَّ وعزَّ ، وخفَّف عنـــه أَهْوالَ يومِ العرضِ والنُّشورِ ، و (علا) في درجاتِ جِوارِ الربِّ جَلَّ ذِكْرُهُ منزلهُ ، وقرَّبَهُ من القَبولِ يوم الزُّلفَةِ لديه (٩٢) .

هو حَبْلُ اللهِ المتينُ الذي لا انقطاعَ له . مَنْ تمسَّكَ به نجـا ، ومن لَها عنه عَطِبَ ، ومَن ابتغى في غيره ضَلَّ ، ومَنْ فَهِمَهُ نطقَ بالحُكم ، وجرى لسانُهُ بِحُسْنِ الموعِظَةِ ، وكان من العلمـــاءِ باللهِ جَلَّ وعَزَّ .

ومَنْ عقل عن اللهِ جَلَّ ذِكْرُهُ ما قال ، فقد استغنى بـــه عن كُلِّ شيءٍ ، وعزَّ به من كُلِّ ذُلٍّ ، لا تتغيَّرُ حلاوتُـــهُ ، ولا تُخْلِقُ جِدَّتُهُ في قلوب المؤْمنين به ، على كثرةِ التَّرْدادِ ، والتَّكْرارِ لِتِلاوته ، لأَنَّ قائِلَهُ دائمٌ لا يتغيَّرُ ولا ينقُصُ ولا يحدُثُ بـــه الحوادث .

وكذلك كلامُهُ لا يتغيَّرُ في قُلوبِ المؤْمنينَ التالِـــيْنَ ، على كَثْرةِ التَّرْدادِ والتكرارِ لتِلاوتِهِ .

وكُلُّ كلامٍ من نبيٍّ أو صديقٍ أو خطيبٍ بليغٍ أو قائلِ شِعْرٍ ، فالقلبُ يملُّ من كثرةِ (تِلاوَةٍ)[1] له . وذلك موجودٌ في الفِطْرَةِ ، لا يختلفُ فيه (أولوا) الألباب .

ولو كان الله جَلَّ ذِكْرُهُ وعَزَّ أَنْزَلَهُ بلسان لا نَفْهَمُهُ ولا نعرف معانيه إذا تُلِيَ ، إلَّا أنَّا نعلمُ أنه كلامُ الإله جَـــلَّ وعزَّ ، الذي ليس كمثلِهِ شيءٌ ، ثم ذُبْنا وذابَ أهـــلُ السماءِ والأَرضِ ، لحقَّ لنا ولهم ذلك .

بل لو ذَكَرَ الخلايقُ أنَّ لله جَلَّ وعزَّ كلاماً تكلَّمَ بـــه ولم يسمعوه ، ثم صُعِقوا (أجمعون) هيبةً وتعظيماً له ، لِعظيمِ قَدْرِ المتكلِّم به ، لكان ذلك حقيقاً ، ولما كان كثيراً .

وكذلك إذا تلى التالي بالعربيةِ ، ونحن نسمعُ الصوتَ ، ولا نفهمُ معانيَ ما يَتلُوهُ إلَّا أنَّا نعلمُ انه يتلو كلامَ ربِّنا جَـــلَّ ربُّنا وتعالى ، لما كان عجيباً لو مِتْنا (أجمعون) إجلالاً وتعظيماً له ،

---

(١) في الاصل : من كثرة له .

لِعِظَمِ قَدْرِ المتكلِّمِ به سبحانه الذي لا يَعْدِلُ قَدْرَهُ شيءٌ ، وذلك موجودٌ عندنا في فِطَرِنا أنَّا نَسمعُ الكلامَ ممَّن نُحِبُّ من الخَلْقِ ، ومَنْ نُعَظِّمُ قَدْرَهُ فنسمَعُ صوتَهُ ولا نفهمُ ما يقولُ ، فترتاحُ لذلك قُلُوبُنا ، ويَعْظُمُ ويَجِلُّ في صدورنا ، فكيف بكلامِ ربِّنا جَلَّ ثناؤُهُ وتعالى ؟

الأَوَّلُ بغير بَدءٍ ولا مسبوقٍ . وكيف ، وقد تكلَّمَ به بنفسِهِ من فوقِ عرشه ، وأَنزلَهُ مع الأَمينِ من ملايكته إلى أَمينِ أَهْلِ الأَرض ، لئلا يرتابَ أَن يكونَ زيدَ فيه ما لم يَقُلْ ، أَو نَقَصَ منه حرفٌ واحدٌ .

يُتْلَى علينا بلسانٍ عربيٍّ مُبينٍ يَصِفُ لنا به نَفْسَهُ ، فلو كان ما أَنزلَ من كلامِهِ لم يَصِفْ لنا به نَفْسَه ، ولا ذَكَرَ لنا به نِعَمَهُ ، ولا أَمَرَنا فيه بأَمْرِهِ ، ولا نهانا فيه عما يكرهُهُ ، ولا أَدَّبنا فيه بأَدبِهِ ، ولا توَّعدنا فيه بعذابٍ ، ولا وَعدَنا فيه ثواباً ، إِلَّا حديثاً على ما يُحَدِّثُ الرَّجُلُ أَخاهُ به ، وصَغَى بأذن المستمع له ، ليس فيه عهدٌ ولا عقدٌ ولا سَعةٌ في دينٍ ولا دنيا ، إِلَّا انه يحدِّثُهُ بما عَلِمَ ، ويخبرُهُ بما رأَى وسمع ، فإِذا كان للذي يُحدِّثُكَ عندك قَدْرٌ ، أَصْغَيْتَ إِلى حديثه ، باستماع ما يقولُ وتفهُّم معاني ما يَصِفُ ، ولو

كان يحكيه لك عنه (حاكي) ، لفعلْتَ ذلك حبّاً منك لقـــائلِه ، وتعظيماً للمتكلِّمِ به ، ولو أَطْلعَهُ اللهُ عزَّ وجَلَّ على قَلْبِكَ ، وأَنت مُتَشَاغِلٌ عنه لا تفهمُ عنه قولَهُ ، لَمَقَتَكَ وعَلِمَ أَنك تَسْهو عن حديثه، ولم تعبأْ بفَهْمِ قولِهِ لقلةِ قَدْرِهِ ، وقَدْرِ حديثِهِ عندك .

ولو كان له عندكَ قَدْرٌ ، لاستمعْتَ لحديثِهِ ولم تَلْهُ عن تَفَهُّمِهِ ، وإنما لهوْتَ عن حديثِ مَنْ حَدَّثَكَ من الخَلْقِ ، أَنه غاب عنهم عِلْمُ ضميرِكَ . ولو كان لهم بادياً ما فيه ، لأَحضرْتَ عقلَكَ إليهم ، وإلى حديثِهِمْ ولم تَرْضَ لهم بالاستماع لحديثِهم دون الفهم له ، ولا بالفهمِ له دون تحبُّبِهِمْ على قَدْرِ حديثهمْ ، لِتُعْلِمَهُمْ أَنك قد فَهِمْتَ عنهم ، ولم تَرْضَ لهم بالجوابِ دون أَن تُوافِقَهُمْ ، فتعظِّمَ مـــا عظَّموا ، وتستحسِنَ ما استحسنوا ، وتستقبحَ ما استقبحوا . هذا ، وأَكثرُ حديثِهِمْ لَغْوٌ ولَهْوٌ ، وليس فيه منفعةٌ ولا دنيـــا ، ولا حقَّ لهم (يؤكدوه) عليكَ بِقَوْلِهِمْ ، ولا يَرْضَوْنَ عنك بفَهْمِهِ ، ولا تُحبُّ لهم أَن يسخطوا عليك إن لم تكن تفهمُهُ ، (وتقوم) به .

فكيف بالربِّ الكريمِ الذي سَهَّلَ لك مناجاتَـــهُ ، وأَقبلَ عليك ولم يتكلَّمْ به لَغْواً ولا قالَهُ لَهْواً ولا عَبَثاً ، ولا خاطَبَ

به سَهْواً ، ولا تفكُّهاً ، ولا استراحةً إليك . تعالى اللهُ جَلَّ وعزَّ عن ذلك عُلُوّاً كبيراً .

وإنما تكلَّمَ (٩٣) به مخاطِبُهُ قَصْداً وإرادةً ، وتوكيداً للحُجَّةِ عليك ، وعلى خَلْقِهِ ، إعذاراً إليهم وإنذاراً .

فكيف يَرْضَى عنك دون أن تسمَعَه ، وتُحْضِرَ عقلكَ ، وتفهمَ معانيَ قولِهِ ، وأن لا تتشاغَلَ بشيءٍ من الأَشياءِ دون أن تستقصيَ منهم معانِيَهُ .

وكيف يرضى بذلك وإنمـــا كَلَّمَنا بعزائِمِ العُهودِ ، وأَوكَدِ المواثيقِ، وحقائقِ الأَمْرِ والنَّهْيِ، ولا يرضى منهم باستماعِهِمْ (مواعِظَهُ) دون فهمِها ، ولا بفهمِها دون العَزْمِ على القيام بحقوقِهِ فيهـا ، ولا بالعَزْمِ على القيام بحقِّهِ فيها دون الصَّبْرِ على القيام بحقوقِهِ في أَوقات وجوبِها ، بغير تسويفٍ ولا تأْخيرٍ ، لأَنه كلامٌ أَقبلَ علينا بـــه بجلالِهِ وكِبْرِيَائِهِ ، مُخاطِباً لنا به ، فعرَّفَنا بـــه أنه لا إله غيرُهُ . ويأْمُرُنا بما يرضى به ويقرُبنا منه ، ويُوجِبُ لنـا جِوارَهُ والقُرْبَ منه ، والنَّظَرَ إليه ، ويُوجِبُ لنا به إنْ ركِبْنا ما يُسْخِطُهُ ، عذابَهُ الأَليمَ ، في خلودِ الأَبَدِ الذي لا انقطاعَ له، ولا زَوالَ ولا راحةَ .

وندَبَنا فيه إلى الأَخْلاقِ الكريمةِ ، والمَنازِلِ الشريفةِ ، وأَخذ علينا الميثاقَ المؤَكَّدَ ، فكيف يرضى بِتِلَاوتِهِ ، والقلبُ مشغولٌ بالدنيا ، وقد طَبَعَنا طَبْعاً ، لا نعرفُ ما نَتْلو دون أَن نُصْغِيَ إليه بأَسْماعِنا ، ولا نفهمُهُ وإن أَصغينا إليه ، حتى نحضرَ له عقولَنا إلَّا بقطعِها عن النَّظَرِ في كُلِّ شيءٍ سواه ، ولا نفهمُ قولَهُ دون أَن نُعَظِّمَ ما قال في قلوبِنا ، ونعظِّمَ قَدْرَ رضاهُ وسخطِهِ . ولا يعظُمُ ذلك عندنا مع طُولِ مُوالاتِنا بالدنيا ، والاشتغالِ بذكْرِها ، وذكْرِ أَهلِها ، إلَّا بِتِكْرارِ التَّلاقِ ، والدوامِ على تَقَصِّي العَقْل . تَقَصِّي ذلك والتيقُّظُ له ، حتَّى نفهَمَ مـــا قال ، فينتبهَ العقلُ من غفلتِهِ ، ويشاهـــدَ علمَ الغيوب ببصرِهِ ، ويتوهَّم عظيمَ الجزاءِ ــ الثوابِ والعقابِ ــ برؤْيةِ بصره .

فعند ذلك يَعْقِلُ التالي عن ربِّه عَزَّ وجَلَّ فيقول : ما قال عنك كرائي عينه ، وما أَقبل عبدٌ على اللهِ جَلَّ وعَزَّ إلَّا أَقبلَ اللهُ عليه ، وأَسرع إليه الإجابةَ . فكذلك إذا أَقبلَ على الله تعـــالى ، وذكَرَهُ بطلبِ الفهم ، أَسرعَ إليه بالإفهامِ له . وكذلك ضَمِنَ للمُقْبِلينَ إليه بعقولهم لفهم كلامِهِ عنه ، فقال عَزَّ وجَلَّ « إنَّ في ذلـــك لذكرى

لِمَنْ كان له قَلْبٌ أَو أَلقى السَّمْعَ وهو شَهيد »[1] .

وقال مجاهد : شهيدٌ ، شاهدُ القلبِ ليس بغايب . فعندها شاهد قلبُهُ الغيبَ ، كرائي العين .

وفَهْمُ كتابِ الله يورثُهُ النفسُ الثابتُ في القلب . فإذا ثَبتَ فكأنه يُعاينُ ربَّهُ جلَّ وعزَّ ، ووعدَهُ ووعيدَهُ ، ومما يُبيِّنُ ذلك ما رُوي عن أُبيّ بن كعب حين سمع رجلاً يَقرأُ ، فأَتى به النبي ﷺ فاستقرأَهُ ، فقال أَحسنْتَ ، قال : وضرب صدري . وقال : اللهم أَذْهِبْ عنه الشَّكَّ . فارفضضْتُ عَرَقاً ، وامتلأَ جَوفي خوفاً .

فإذا ثبتَ للنفسِ كان كالعَيان .

كان العبدُ في الدنيا ببدنِهِ ، وقلبُهُ معلَّقٌ باللهِ جلَّ وعَزَّ ، وبغَيْبِ مَعادِهِ .

فاتَّقِ اللهَ ، ولا تجعَلْ كلامَه منك بظهرٍ ، وقلةِ اكتراثٍ منك بفَهْمِ ما قال ، وذلك عليه فإنه يُجِلُّ مَنْ أَجلَّ كلامَهُ ، ويهونُ عنده مَنْ لم يُعَظِّمْ كلامَهُ .

فمَنْ أَجلَّ كلامه آثَرَهُ على كُلِّ كلامٍ ومخاطبَةٍ ، وعلى كُلِّ

---

(١) ق : ٣٧ .

علمٍ ، ليفهمَهُ عنه ، ويقومَ بحقِّهِ بمعرفةٍ وفَهْمٍ .

ولو عَقَلَ عن الله جَلَّ وعَزَّ فَهْمَ آيةٍ واحدةٍ (كما) كَفَتْهُ أيامُ الحياةِ في القيامِ بحقِّ اللهِ فيها ، فكيف بما قال في كتابه من الدلائلِ والشَّواهِدِ والأَمْثالِ والوصفِ له ، ولِما في المَعـــادِ من الثوابِ والعِقابِ . ويُبيِّنُ لك ذلك ما حَدَّثناهُ يزيدُ بنُ هارون قال : اخبرنا جريرُ بنُ حازم قال : أخبرنا الحسنُ عن صعصعةَ بن معـــاويةَ عمِّ الفرزدق أنه أتى النبيَّ ﷺ وقرأَ عليه « فَمَنْ يعملْ مثقـــال ذرةٍ خيراً يره ، ومَنْ يعملْ مثقالَ ذرَّةٍ شراً يره »[1] . فقال : حَسْبي لا أُبالي أَلَّا أَسمَعَ غيرها . فهذا رجلٌ لم يُهاجِرْ ، ولم يلزمِ النبيَّ ﷺ ؛

أَعرابيٌّ لم يَبْتَنِ في الإسلام ، ولم يقرأ القرآنَ قبل ذلـــك ، أَقرأَهُ النبيُّ ﷺ آيةً فاكْتَفَى بها ، (٩٤) وورَّثَتْهُ الحيـاءَ من الله جَلَّ وعَزَّ ، فكيف بِمَنْ وُلِدَ في الاسلام ، وعلَّمَـهُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ كتابَهُ ، وسمِعَ تفسيرَهُ ، وكَتَبَ الآثارَ عن نبيِّه ﷺ وأَوليائِـــهِ الصَّالِحِينَ ، لا يفهمُ كتابَ الله جلَّ وعزَّ ؛ يتلوهُ من أَولِهِ إلى آخِرِهِ وذاك لأَنه تلاهُ دارساً ، والقلبُ مشغولٌ بغـــير فهمِهِ ولا طَلَبِ معانيه ، وذلك لقلَّةِ تعظيمِهِ لقائِلِهِ ، وإغفالِهِ الرحمةَ لنفسِهِ ، وقد

---

(١) الزلزلة : ٧ ، ٨ .

ضَمِنَ مَنْ لا يَخْفَى ضمانُهُ ، ووَعَـدَ من لا يُخْلِفُ وعْدَهُ ـــ جَلَّ ربُّنا ـــ أَنَّ ما أَنزلَ من كلامِهِ شفاءٌ لمـا في الصدورِ ، وهُدًى ورحمةٌ للمؤمنين ، فما أَحقَّ مَنْ أَغفَلَ عن فَهمِ كتابِهِ ، أَن يستحي من رَبِّهِ عَزَّ وجَلَّ ، ويأْسَفَ على مـا مضى من عُمُرِهِ ، ومرضِ قَلْبِهِ ، وهو لا يزدادُ إِلَّا سقماً ومَرَضاً ، وذلك لِقِلَّةِ مُبالاتِهِ بدائِهِ ، تَرَكَ طلبَ شِفائِهِ بما قال مولاهُ ، وتدبُّرِ ما تكلَّمَ به خالِقُهُ وقـد رآهُ مولاهُ وهو يُعْنَى بفهمِ كتابِ مخلوقٍ وحديثِهِ ، وليس في كتابِهِ وحديثِهِ إِياه خلودُ الأَبدِ في النعيمِ ولا النجاةُ من عذابٍ لا يَنْقَطِعُ بل لعلَّ ما فيه ما الاشتغال به ضررٌ[1] عليه ، ومسخطةٌ لربِّهِ عزَّ وجلَّ ، ولعلَّ فيه ما الاستغناءُ بغيره أَولى ، أَو لعلَّ فيه حاجةً لا قَدْرَ لها أَو خَبَر ، بحيث أَن يُعْلِمَهُ من أَخبارِ الناس ، أَو حاجةٍ بكُلْفَةٍ لا يأْمُلُ لها مكافأَةً ، ولا يحُثُّهُ على القيام بها إِلَّا خوف عَذْله ولائمته .

وكيف يكونُ المَوْلى تباركَ وتعالى وقـد علم منّا أَنَّا قليلٌ تعظيمنا له ، ونحن لا نعبأُ بفهْم كلامِهِ ، وتدبُّرِ قَوْلِهِ فيما خاطَبَ به ، كما نعبأُ بفَهْمِ كُتُبِ عَبيده وحديثِهِمْ ؛ الذين لا يملكونَ لنا ضَرّاً ولا نَفْعاً ، ولا موتاً ولا حيـاةً ولا نُشوراً . تبارَكَ مَنْ

---

(١) في الأصل : ضرراً .

يَمْلِكُ ذلك كلَّهُ ، وذلك أنه قد رآنا يأْتي أَحدَنا كتابٌ من القرابة أَو الأَخِ أَو العامِلِ أَو الجارِ فلا يتمالكُ أَن يقرأَهُ ، ويقروؤُهُ مِراراً مِنْ حُبِّهِ لصاحِبِهِ ، ولا يرضى بقراءةِ حُروفِهِ دون الفهمِ بما كتب به إِليه بإِحضارِ عقلٍ ، وفقهٍ للحُرُوفِ ، ليفهمَ ما أَراد ، وما الذي به أَمر ونهى ، ومـــا أَوصى . فإِنْ أَشكَلَ عليه استخراجُ بعضِ حروفِهِ استعان بغيرِهِ على قراءتِهِ ليستخرجَ له مـــا لم يستخرْجهُ ، ليعرفَ بذلك ما معنى الذي كَتَبَ به، وما الذي أَراد، وما الذي يُكِنُّ ، خوفاً ان يفوتَهُ فيه معنى منفعةٍ ، أَو عِلْمَ مَضَرَّةٍ ليَحْذَرَها.

وربما كَتَبَ إِليه من لا يأْمُلُ ذلك منه ، يكتُبُ بحاجةٍ يطلُبُها ، أَو شيءٍ أَرادَ أن يَعْلَمَهُ فما يترُكُ أَن يستقصيَ فَهْمَ كتابِهِ ، ليفقهَ الحُروفَ مع فَهْمِ القلبِ معنى الذي أَرادَ ، وكَتَبَ يبعثُنـــا على تأَمُّلِ كتابِهِ محبةً منا إِليه لِخَبَرٍ ، ورجاءً منا لخبرِهِ أَو جزعاً منـــا لخوفِ فَوْتِ منفعةٍ ننالها منه آجلاً ، أَو قربَ جواره أَو تفهُّماً لسؤَالنا حاجةً ، أَو أَمَلَ مكافأَتِهِ أَوجَبتْ محمدَتَهُ ، أَو خوفاً أَن يفوتَنا ما يُريدُهُ فيلُومَنا في تقصيرِنا ، أَو حياءً منه أَن نَقْدُمَ عليه . فيسأَلَنا عن بعضِ ما كَتَبَهُ فلا تَقْوى قُلوبُنـا ونسْتَحْيي أَنْ نُجيبَهُ بأَنَّا لم نقرأْ كتابَهُ . أَو أَنَّا قرأْناهُ ولم نفهَمْ ما كُتِبَ به . لأَنـــه

يرى أن ذلك تَهاوُنٌ[1] منا به ، وقلةُ عنايةٍ منا بالمرة . فغداً نقدُمُ على الله جلَّ وعزَّ فنلقاهُ . ويُسائِلُنا عن كتابِهِ الذي أَنزَلَ إلينا مخاطِباً لنا به . وكيف فهمْنا عنه وكيف عَمِلْنا به . وهل أَجللناهُ ورهبْناهُ وهل قُمْنا بحقِّهِ الذي أَمرَنا به . وجانَبْنا ما نهانا عنه . مع ما يفوتُنا من جِوارِهِ وما نَستَوْجِبُ من عِقابِهِ .

أَلَمْ تسمع مسائِلَهُ الجِنُّ والإِنسُ جميعاً يومَ القيامة بما أَقامَ عليهمْ به الحُجَّةَ في الدنيا من تِلاوةِ آياتِهِ عليهمْ من رُسُلِهِ ، وأَنه قطع بذلك عذرَهُمْ وأَدْحَضَ به حجَّتَهُمْ . فقال يوم العرض : « يا مَعْشَرَ الجِنِّ والإِنس أَلم يَأْتِكمْ رُسُلٌ منكم يَقُصُّونَ عليكم آياتي ويُنْذِرُونَكمْ لقاءَ يَوْمِكمْ هذا »[2] .

وقال عَزَّ وجَلَّ : « أَلَمْ تَكُنْ آياتي تُتْلى عليكم »[3] .

وقال تعالى « ولقدْ جئناهُم بكتابٍ فَصّلْناهُ على عِلْمٍ هُدًى ورحمةً لقومٍ يُؤْمِنونَ ، هل يَنْظُرونَ إِلَّا تأْويلَهُ (٩٥) يوم يأْتي تَأْويلُهُ يقول الذين نسوه » إلى قوله : « أَو نرد فنعملَ غير الذي كنَّا نعمل »[4] . (الآية) .

---

(١) في الاصل : تهارناً .
(٢) الانعام : ١٣٠ .
(٣) المؤمنون : ١٠٥ .
(٤) الاعراف : ٥٢ ، ٥٣ .

فلمَّا جاءَهُمْ تأْويلُ ما قال عزَّ وجلَّ من الذي توعَّـدَ به نادَوْا بالندامة على نِسْيانِهِمْ ما جاءَتْهُمْ به رُسُلُهُمْ مِن كلامِ ربِّهِمْ عزَّ وجلَّ وتَرْكِهِمْ فَهْمَه ، ونادَوْا بالشفاعة أَو بردِّهم إِلى الدنيـا فيعقلوا عنه كلامَهُ ، ويقوموا بحقِهِ .

قلت : فهل أَستعينُ على فَهْمِ معاني ما أَتْلو أَو يُتْلَى عَلَيَّ ؟

قال : بإِحْضارِ عَقْلِكَ . فبذلك تفهم وتـذكر ، أَلم تسمعْهُ عَزَّ وجَلَّ يقول : « إِنَّ في ذلك لذكرى لمن كان لَهُ قَلْبٌ أَو أَلقى السَّمْعَ وهو شَهِيد »[1] .

قال مُجاهد : أَو أَلقى السمعَ لا يُحدِّثُ نَفْسَهُ بغير ما يسمع . وهو شهيدٌ . قال : شاهِدُ القلب[2] .

قلت فكيف أُحضِرُ عقلي حتى يكونَ شاهـداً لا يغيبُ عن فهمِ كلامِ ربِّي جلَّ وتعالى ؟

قال : بأَن تجمع فهمَكَ حتى لا يكونَ فهمُك متفرِّقـاً في شيءٍ غير طلبِ الفهمِ لكلامِ مولاكَ .

---

(١) ق : ٣٧ .

(٢) الرعاية لحقوق الله ٢٠ : قال الله تبارك وتعالى : إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد . فقيل في التفسير : له عقل . أو ألقى السمع وهو شهيد. قال مجاهد: لا يحدث نفسه بشيء ، وليس بغائب القلب .

قلت : وكيف أَجمعُ هَمِّي حتى لا يتفرَّقَ في شيءٍ سوى ذلك ؟

قال : تمنعُ عقلَكَ من النَّظَرِ في شيءٍ سوى طلبِ فهمِ كتابِ ربِّكَ جلَّ وتعالى .

قلت : وكيف أَجمعُ عقلي ؟

قال : بأَن لا تشغَلَ جوارِحَكَ بما لا يشتغِلُ به عقلُكَ ، وأَن تستعملَ كُلَّ جارِحَةٍ بما يُعينُكَ على الفَهْمِ ، كنَظَرِكَ في مُصْحَفٍ واسْتماعِكَ إلى تلاوتِكَ أَو تلاوةِ غيرِك ، وتمنع عقلَكَ من كُلِّ فكرٍ وذِكْرٍ ، يقوى طَلَبُ فهمِ كلامِ مولاكَ . لأَنَّك إذا لم تشغَلْ جوارَحَكَ بشيءٍ غيرِ ذلك ، ومُنِعَ عَقْلُكَ عن النَّظَرِ والفِكْرِ في غيرِ ذلك ، اجتمعَ هَمُّكَ وحَضَر ، وإذا حَضَر عقْلُكَ زكا ذِهْنُكَ ، وإذا زكا ذهنُك قَوِيتَ على طَلَبِ الفَهْمِ ، واسْتبانَ فيه اليقينُ ، وصَفَا فيه الذِّكْرُ ، وقَوِيَ فيه الفِكْرُ ، وبذلك مَدَح المستمعينَ لتلاوةِ كتابِه بالفهم فقال عزَّ وجلَّ : « فلمَّا حَضَرُوهُ قالوا انصِتُوا »[1] أي[2] قالوا : صه أفلا نسمعُ اللهَ عزَّ وجلَّ ؟ مدحَهُم بأَنْ سَكَتُوا عن الكلامِ لئلَّا يشتغِلوا عن

---

(١) الاحقاف : ٢٩ .

(٢) في الاصل : إلى .

فَهْمِ ما يتلوَ نبيُّه عليه السلامُ عليهم ، وهذا ولم يعلَموا ما فيه وما هو ، فلمَّا قضى وفهموا عن الله عز وجلَّ مـــا تلا عليهم نبيُّه عليه السلام ولُّوا إلى قومهم منذرين (تحدثوا)؛ [1] ، وفهموا من الله عزَّ وجلَّ ما سمعوا ، فقالوا : « يا قومَنا إنَّا سمعنا كتاباً أُنزِل من بعدِ موسى مصدِّقاً لمـــا بين يديهِ يهدي إلى الحقِّ وإلى طريقٍ مستقيم ، يا قومَنا أَجيبوا داعيَ الله ، وآمِنوا به يغفر لكم من ذنوبِكم [2] ، وينجيكم من عذابٍ أَليم ، ومن لا يُجِبْ داعيَ الله فليس بمعْجِزٍ في الأَرضِ وليس له من دونه أَوليـاء » وقالوا : « إنَّا سمعنـا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد فآمنّا به » (الآيات) .

لقد نطقوا بالحُكم عن فهمٍ بيِّنٍ ، وعن عقولٍ ذكيةٍ في استماعِ آياتٍ في مقام واحد ، فدعوا إلى إجـابة الله عزَّ وجـلَّ ، وأَمَّلوا المغفرةَ والنجاةَ من العذابِ الأَليم ، وأَخبروا أَنه مَنْ أَعرض عما تلا نبيُّهُ ﷺ من كلامِ ربِّه عَزَّ وجـــلَّ لا يَعْرِفُ اللهَ ، وأَنَّ مَصيرَهُ إليه .

هذا الأَدبُ والفهمُ من استماعِ آياتٍ في مَقامٍ واحـــدٍ في أَقلِّ مِنْ ساعةٍ ، فكيف بمنْ وعى القرآنَ كُلَّه من صِغَرِه ، ويكرِّرُ

---

(١) في الاصل : يحدد .

(٢) الاحقاف : ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ .

تِلاوتَهُ من صِباهُ إلى كِبَرِهِ ، وعُمِّرَ السنين الكثيرةَ ، ويكرِّرُ تلاوتَهُ ، لم يعقِلْ عن ربِّهِ ، ولم يفهم كلامَ مولاهُ فيقومَ بحقِّهِ ، وكان أَوَّلَ ما تداعَوا الأَدبَ لاستماعِ ما (تلى) نبيه عليه السلام ، بتناهِيهِم عن الاشتغالِ بالمحادثةِ عن كلامِ ربِهم ، ولقد ذمّ مولانا عز وجل المتشاغلينَ – عند استماعِهم – بالمحادثةِ فقال تعالى : «نحن أَعلَمُ بما يستمعونَ به إذ يستمعونَ إليك واذ هم نجوى »[1]

فاحرص أَن لا يكونَ فيك خُلُقٌ ، ذمّ الله عز وجل به كافراً ، وإن كنتَ مؤمناً ، فإنَّ من كمالِ الإيمان (مُخالفة)[2] أَهْلِ الكُفْرِ بالقَوْلِ والفِعْلِ فيما نهى اللهُ عَزَّ وجلَّ عنه . ولقد وَعَدَ ربُّنا عَزَّ وجَلَّ الرحمة ، وأَمَرَنا أَنْ نطلُبَها منه بالاستماعِ ، والإنْصاتِ لِفَهْمِ كلامِهِ فقال : « وإذا قُرِىءَ القرآنُ فاستمِعوا لَه وأَنْصِتُوا لعلكم تُرْحَمون »[3] يعني لكي تُرحَمُوا؛ فجعلَ الاستماعَ بِتَرْكِ الكَلامِ لِتَفَهُّمِ كلامِهِ ، يُوجِبُ (٩٦) الرحمةَ ، قبلَ العَمَلِ بما يَسْمَعُ . وقال عَزَّ وجَلَّ «فبشِّر عبادِ ، الذين يستمعونَ القول فيتَّبعون

---

(١) الاسراء ٤٧ . (٢) في الأصل : مزايلة . (٣) الاعراف ٢٠٤ .

أَحسنَهُ. أَولئك الذين هداهُمُ الله وأَولئك هم أُولوا الأَلباب»[1].

فمدحَهُمْ بالهُدَى ، ووصفَهَمْ باللُّبِّ ، وأَثْنى عليهم في آيٍ من القرآنِ ، فإذا أَحْضَرْتَ عَقْلَكَ بِجَمْعِ هِمَّكَ ، بنيةٍ صادقةٍ مع أَمَلٍ ورجاءٍ أَن تنالَ مَا قالَ ، وتُسارِعَ إلى مَحَابِّهِ ، وتجتنبَ مَسَاخِطَهُ ، وتريده وحدَهُ ولا تُريدُ أَن تفْهَم مِنْهُ ما تَتَصَنَّعُ بِهِ عنْدَ العِبَاد ؛ فإذا نَظَرَ الله عزَّ وجلّ اليكَ وانتَ كذَلك ، وعَلِمَ ذَلك مِنْ ضميرِكَ ، أَقبَلَ بِلُطْفِهِ ، ووليَ تقويمَ عَقْلِكَ بِفَهْمِ كلامِهِ ، وما فيه من عِلْمِ الغُيوبِ ،ومكنونِ الوعيدِ ، فحينئذٍ تكونُ للقرآنِ مُفْهِماً ، فتستنطقَ منه عِلْمَ ما عَميتْ عليكَ فيه الحُجَّةُ فيوضحُ اللهُ لَكَ به البرهانَ ، ويَمُدُّكَ بالفوائِدِ ، ويُجَلِّي عنكَ ظُلَمَ الشُبَهِ ، ويدلُكَ على مَحَجّةِ المُهْتَدِيْن ، ويذيقُكَ الحَلاوةَ التي أَذاقَها أَهْلَ التقوى ؛ لأَن كلامَهُ ربيعُ قلوب الأَبْرار ، ويثقُلُ فَهْمُهُ على مَنْ تعطَّلَ قَلْبُهُ ، وهو الذي هتك حُجُبَ قلوبِ الفَهمين ، فأَهاجَ منهم الفؤادَ والزفراتِ أَسفاً على ما فات من أَعمارِهم ، وما أَحصى

---

(١) الزمر ١٧ ، ١٨ .

الله عليهم من ذنوبِهم ، وأَشخص أَبْصار قلوبِهم إلى مَلَكُوتِ جِواره ، فطالَ حنينُهُم واشتياقُهُم إلى الخُلود في دار الأَملِ في جوارِ ربِّ العالمين ، مع خوفِ الحرمانِ لِما سلف من جرائمهم .

فإنْ طلبْتَ الفهمَ بالصدقِ أَقبلَ عليك بالمعونةِ ؛ تصديقُ ذلك في كتاب الله عزّ وجل « إنَّ الله مع الذين اتَّقَوا والذين هُم مُحْسِنُون » [1] لا يَثْقُلُ فهمُ كلامِهِ إلاَّ على مَنْ تعطَّلَ قلبُهُ أَلاَّ يسمعَ ، وربُّنا جل وعز يقول : « ولو عَلِمَ اللهُ فيهم خيراً لأَسمَعَهُمْ ولو أَسمعَهُمْ لتولوا وهم مُعْرِضُون »[2] .

فأَخبر انه لو عَلِمَ فيهم خيراً لأَفْهمهُمْ لأَنهم لم يَكُونُوا « صُمّاً » [3] ، وكانوا يسمعون قراءَةَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم ، ولكن ضيَّعوا الفهمَ ! أَلا تسمعُهُ يقول « لهم قلوبٌ لا يفقهونَ بها ولهم أَعْيُنٌ لا يُبْصِرون بها ، ولهم آذانٌ لا يسمعونَ بها أَولئك كالأَنْعَامِ بل هم أَضَلُّ أُولئكَ هم الغافلون » [4] .

---

(١) النحل ١٢٨ . (٢) الانفال ٢٣ . (٣) في الأصل : صم . (٤) الأعراف ١٧٩ .

أَلا تسمعُهُ يقول : « ما كانوا يستطيعونَ السَمْعَ وما كانوا يُبْصِرون » [1] لا يعني أَنهم كانوا صُمّاً ولكِن لا يفقهونَ ما يسمعونَ بآذانِهِم . الا تسمعُهُ يقول « وَتَرَاهم ينظُرُون إِليك » [2] فأَثبت النَظَرَ منهم إِلى النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال « وهم لا يبصرون » [3] .

يقول : لا يعقلونَ دلائلَ اللهِ عزَّ وجلْ في نبوتِهِ عليه السلام ، فإِنْ عَلِمَ مِنَ التالي لكتابِهِ صِدْقَ ضميرٍ ، وعناية حتى يجمعَ همّه للفهمِ ، أَفْهَمَهُ . أَلا تسمعُهُ يقول : « إِنْ يعلمِ اللهُ في قلوبِكم خيراً يؤْتِكم خيراً مما أُخِذ منكم ويغفرْ لكم » [4] .

فإِذا أَقبلْتَ على اللهِ تعالىَ بِصِدْقِ نيةٍ ورغبةٍ لفهم كتابِهِ باجتماعِ هَمٍّ متوكِّلاً عليه أَنَّه هو الذي يفتحُ لك الفهمَ ، لا على نفسِكَ فيما تطلُبُ وَلا بما لَزِمَ قلبَكَ من الذِكْرِ ، لم يخيِّبْكَ من الفَهْمِ والعَقْلِ عنه إِنْ شاءَ اللهُ .

---

(١) هود ٢٠ . (٢) الأعراف ١٩٨ . (٣) الاعراف ١٩٨ . (٤) الأنفال ٧٠ .

في المحكم والمتشابه

قلت : ما الذي ينبغي لي أَن أَعرفَهُ قبل طلبِ الفهمِ لكتابِ الله عز وجل ، لأَن لا أَغْلَطَ فأَعتقدَ ما لا يُرضي اللهَ جَلَّ ثناؤُهُ من المعاني ، أَو أَنفيَ ما يُرضيه من المعاني فاخطرَ عليه فأَبتدعَ بدعةً ، أَو أُوجبَ فرضاً قد أُسقط بالنَسْخِ بعد وُجوبه ، أَو يشتبه عليّ تلاوتُهُ فيجدُ العدوُّ موضعَ تزيُّنٍ للشكِّ فيما اشتبه علَيَّ ، وأُقدِّم ما أَخَّرَه أَو أُؤخِّر ما قدَّمه ، أَو أَعُمّ خَبَراً أَو فرضاً أَو وعيداً خاصاً فأَظنُّهُ عامّاً ، أَو أَخُصّ خبراً أَو وعيداً أَو أَمْراً عاماً فاجعلُهُ خاصاً ، أَو أُبدِّل محكماً متشابهاً أَو متشابهاً مُحْكَماً .

قال : أَن تعلَمَ أَنَّ القرآنَ منه ناسخٌ ومنسوخٌ ، ومُحْكَمٌ ومُتشابهٌ ، وله وجوهٌ :

فمنه مُتَشَابِهٌ في التلاوةِ من غيرِ أَن يَنْسِخَ بعضُهُ بعضاً . ومنه متشابهٌ لاختلاف أَوقاتِهِ في الواجِبِ وفي

الكائن مما أَخبَرَ الله انه كائن . ومنهُ مُتَشَابِهٌ والمعاني مختلفةٌ . ومنه مقدَّمٌ ومؤخَّرٌ . ومنه خاصٌّ وعامٌّ . ومنه (٩٧) موصولٌ ومفصول ، ومنه غريبُ اللغة . ومنه ما لا يُعْرَفُ معناهُ إلاَّ بالسنةِ أَو بالإِجماع . ومنه ما لا يُعرفُ معناه إلاَّ بعد تلاوةِ ما يأَتي في سورته ... وأَمثال ... وغير ذلك .

حَدَّثَنَا القاسم بن سلام [١] قال : حدثنا عبد الله بن صالح [٢] عن معاوية بن صالح [٣] عن علي بن (أَبي) طلحة القرشي [٤] عن ابن عباس في قوله جل وعز : « هو الذي أَنزلَ عليكَ الكتابَ منه آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الكتاب وأُخَرُ مُتَشَابِهاتٌ » قال : المحكماتُ ناسخةٌ ، وحلالُه وحرامُه وفرائضُه ، وما يؤمَنُ به ويُعمَلُ به ولا يُعمَلُ به .

---

(١) أبو عبيد القاسم بن سلام : ترجمنا له عند الحديث عن شيوخ الحارث ، ص ١٥ .

(٢) عبد الله بن صالح البصري الجهني : أبو صالح . كاتب الليث بن سعد على أمواله. قال أحمد : كان أول أمره متماسكاً ثم فسد بأخرة : الميزان ٢/٤٤٠ .

(٣) معاوية بن صالح (– ١٥٨ هـ) الحضري، الحمصي ، قاضي الأندلس . روى عن مكحول، وعنه ابن مهدي وابن وهب وأبو صالح : الميزان ٤/١٣٤ .

(٤) علي بن أبي طلحة القرشي : مولى بني هاشم . واسم أبي طلحة سالم . كنيته أبو الحسن ، لم يلق أحداً من الصحابة . وهو الذي يروي عن ابن عباس الناسخ والمنسوخ ولم يره : مشاهير علماء الأمصار ١٨٢ . الأصل « علي بن طلحة » .

حَدّثَنَا أَبو عبيد قال حدثنا عبد الرحمن بن مهدي [1] قال حدثنا سفيان [2] قال حدثنا يحيى بن سعيد [3] عن أَبي حصين [4] عن أَبي عبد الرحمن السلمي ، أَنَّ عليّ بنَ أَبي طالب رضي الله عنه مرَّ بقاصٍّ يَقُصُّ فقال : هل تعلم الناسخَ من المنسوخ ؟ قال : لا . قال : هلكتَ وأَهلكتَ .

وحدثنا القاسم ابن سلام قال : حدثنا عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أَبي طلحة القرشي عن ابن عباس في قوله جل وعز : « ومن يؤتَ الحكمةَ فقد أُوتيَ خيراً كثيراً » [5] فقال : المعرفةُ بالقرآنِ ناسخِهِ ، ومنسوخِهِ ، ومحكمِهِ ومتشابِهِهِ ، ومقدَّمه ومؤخَّرِه ، وحلالِهِ

---

(١) عبد الرحمن بن مهدي (١٢٥ – ١٩٨ هـ) الإمام الكبير ، أمير المؤمنين في الحديث . الثقة ، الثبت ، الحجة : تهذيب ٢٧٩/٦ .

(٢) سفيان (٩٧ – ١٦١ هـ) ابن سعيد بن مسروق الثوري : أمير المؤمنين في الحديث . كان ثقة ، ثبتاً ، مأموناً ، كثير الحديث ، حجة . ومن أعاظم علماء الاسلام في كل العصور : ابن سعد ٢٥٧/٦ ، تاريخ ابن خياط ٦٨٦/٢ ، مشاهير علماء الأمصار ١٦٩ ، تهذيب التهذيب ١١١/٤ .

(٣) يحيى بن سعيد (– ١٤٣ هـ) الأنصاري ، المدني ، قاضي الحيرة ، الثقة ، الثبت ، روى عن أنس وجماعة من أقرانه . وروى عنه خلائق بينهم السفيانان : تهذيب ٢٢١/١١ .

(٤) أبو حصين (–١٢٨ هـ) عثمان بن عاصم بن حصين الأسدي ، الكوفي ، روى عن جماعة من الصحابة . وكان ثقة ثبتاً : تهذيب ١٢٦/٧ .

(٥) البقرة ٢٦٩ .

وحرامِهِ ، وأَمْثالِهِ . فأَمَّا قولُهُ « وما يعلم تَأْويلَهُ إِلاَّ الله » [1] يعني يومَ القيامة لاَ يعلمُها إِلاَّ الله .

قال أَبو عبد الله [2] ورُوي عــن أَبي الأَحوص عن عبد الله قال : لِكُلِّ آيةٍ مِنْ كِتابِ الله ظَهْرٌ وَبَطْنٌ ، وحَدٌّ ومَطْلَعٌ .

قال أَبو عبدالله : أَمَّا ظاهِرُها فَتِلاوتُها ، وأَمَّا باطِنُها فتأَويلُها ، وأَمَّا حَدُّها فَمُنْتَهَى فَهْمِها .

وعند هذه الخُلَّةِ فَرَّقَ اللهُ بين الصادِقِينَ والكاذِبِيْنَ ممّن تَلاَها أَو مَنْ عَرَفَ تفسيرَها ولم يبلُغْ منتهى فَهْمِها ، او صادِقٍ بلَغَ مُنْتَهَى فَهْمِها ، لأَنَّ اقلَّ الصدقِ منِ المؤمن المُريد بعد الإِيمانِ بالآيةِ أَن يفهمَهَا عن ربِّه وأَن يَعْمَلَ بها .

وانما قصّرَ بالناس [3] عن فَهْمِها قلةُ تعظيمِهِمْ لقائِلِها . وأَمَّا مَطْلَعُهَا فمُجاوزةُ حَدِّها بالْغُلُوِّ والتعمُّق والفُجُور والمَعاصي. من ذلك قولُ الله جَلَّ وعَزَّ « تلك حُدُودُ الله فلا تعتدُوها » [4] .

---

(١) آل عمران ٧ .
(٢) أبو عبد الله : الحارث المحاسبي .
(٣) في الأصل : الناس .
(٤) البقرة ٢٢٩ .

وقال غيره[1] – ورُوي عن ابن عباس – قال: أُنزل القرآنُ على أَربعة أَوْجُهٍ : حلالٌ وحرامٌ ولا يسعُ جَهْلُهُ ، وتفسيرٌ يعلَمُهُ العُلماءُ ، وعربيةٌ تعرفُها العرب ، وتأَويلٌ لا يعلمُهُ إلاَّ الله يقول الراسخونَ في العلم آمنَّا به كُلٌّ من عند ربنا .

وكان ابنُ عباس يقرأُ « وما يعلمُ تأَويلَهُ إلاَّ الله والراسخون في العلم يَقُولُونَ آمنَّا به »[2] .

وقال عَبيدةُ السَلْماني[3] : من أَين يعلمونَ تأَويله ؟ وانما انتهى علمُ الراسخين إلى أَنْ قالوا « آمنَّا به كُلٌّ مِنْ عِنْدِ ربِّنا » .

وقال قَتادةُ : المُحْكَمُ ما يُعْمَلُ به ، والمتشابِهُ المنسوخُ الذي لا يُعْمَلُ به .

قال الكلبي: هو أَلم وأَلمر وأَلمص وأَشباهُ ذلك .

---

(١) يعني غير عبدالله بن مسعود ، الذي ذكر المحاسبي رأيه في الصفحة السابقة .

(٢) آل عمران ٧ .

(٣) عبيدة السلماني (– ٧٢ هـ) قال ابن سعد : ابن قيس السلماني من مراد . وقال ابن حبان : ابن عمرو السلماني الهمداني أبو مسلم . أسلم قبل وفاة النبي بسنتين لكنه لم يلقه . أثبت الناس في علي وابن مسعود . وأحد خمسة هم أبرز تلامذة ابن مسعود : عبيدة وعلقمة ومسروق والهمداني وشريح : ابن سعد ٦/٦٢ ، مشاهير علماء الأمصار ٩٩ .

وقال ابن عباس : هو التقديمُ والتأْخيرُ ، والمقطوعُ والموصولُ ، والخاصُّ والعامُّ .

وقال مجاهد : « هُنَّ أُمُّ الكتابِ »[1] يعني ما فيه من الحلالِ والحَرَامِ ، وما سوى ذلك منه المُتَشَابِهِ .

وسئل مالكُ بنُ أُنس [2] عن قوله تعالى : « وما يعلم تأويله إلا الله»[3] (الآية) أَيعلمُ تأَوِيْلَهُ الراسخونُ في العلم؟ قال: لا ، وانما معنى ذلك أَنْ قال: وما يعلمُ تأَويلَهُ إلاَّ الله ، ثم أَخبر فقال : « والراسخونَ في العلم يقولون آمنَّا به كُلٌّ من عند ربِّنا » وليس يعلمونَ تأَويلَهُ ، والآيةُ التي بعدها ، أَشدُّ عندي ، قوله : « ربَّنا لا تُزِغْ قلوبَنا بعد إِذْ هديتَنَا » هنا قال مالك : الراسخون في العلم هم العامِلون عَلَّموا المتَّبِعِيْنَ له .

---

(١) آل عمران ٧ .

(٢) مالك بن أنس (٩٣ – ١٧٩ هـ) أبو عبد الله ، من سادات أتباع التابعين ، الإمام ، العلم ، الثقة ، الثبت ، أحد أركان هذا الدين . مؤلف الموطأ . وإمام دار الهجرة . قال الشافعي: إذا ذكر العلماء فمالك النجم : تاريخ ابن خياط ٧١٩/٢ ، طبقات ابن خياط ٦٨٨/٢ ، مشاهير علماء الأمصار ١٤٠ ، العبر ٢٧٢/١ ، البداية والنهاية ١٧٤/١٠ ، تهذيب التهذيب ٥/١٠ . الانتقاء لابن عبد البر ، وترتيب المدارك .

(٣) آل عمران ٨ .

قال أبو عبيدة [1] وأُخَرُ مُتَشَابِهاتٌ : يُشْبِهُ بَعْضُهُ بَعْضاً[2] .

وذُكِرَ عن مجاهد أَنه قال : يعلمونه ، ويقولون «آمنَّا به».

وقال بعضُ أَهل اللغة وانما معناه كأَنه قال : والراسخون في العلم قائلون آمنَّا به .

---

(١) أبو عبيدة (١١٠ – ٢٠٨ هـ) معمر بن المثنى التيمي البصري . استقدمه إسحاق بن ابراهيم إلى بغداد . كان علامة في اللغة وأيام العرب وأخبارهم . وأسند الحديث عن هشام بن عروة . وعنه أبو عبيد والمازني وأبو حاتم السجستاني وابن شبة في آخرين . وكان خارجياً ، شعوبياً ، يكره العرب ، ينقل عنه المحاسبي كثيراً في «فهم القرآن» : تاريخ بغداد ٢٥٢/١٣ .

(٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١ / ٨٦ : وأخر متشابهات : يشبه بعضها بعضاً .

القسم الرابع

باب ما لا يجوز فيه النسخ وما يجوز ذلك فيه

صفات الله وأسماؤه :

اعلمْ أَنَّ النسخَ لا يجوزُ في معنَيَيْن ومَنْ دان بأَنه يجوزُ فيهما النسخُ فقد كفر . لا يَحلُّ لأَحَدٍ أَن يعتقدَ أَنَّ مَدْحَ اللهِ ، جَلَّ ثَناؤُهُ ، ولا صفاتِهِ ، ولا أَسماءَهُ ، يجوزُ أَنْ يُنْسَخَ . جَلَّ وعَزّ ؛ وَصَفَ نَفْسَهُ بصفاتِهِ الكاملةِ ، وامتدح (نَفْسَهُ) بِمدَحِهِ الطاهرةِ ، (٩٨)وبأَسمائِهِ الحسنى ، فَمَنْ أَجاز النسخَ فيها ، أَجاز أَن يُبَدِّلَ أَسماءَهُ الحسنى فيبدِّلَها قبيحةً سوآى ، وصفاتِهِ الكاملةَ العليةَ فتكونَ دنيةً ناقصةً سُفْلى ، وَمِدَحَهُ الطاهرةَ فتكونَ مذمومةً دنيَّةً ، جَلَّ وتعالى عن ذلك عُلُوّاً كبيراً .

أخباره تعالى عما كان ويكون :

ولا يجوزُ النسخُ في أَخبارِهِ تعالى عمّا كان ويكون ، فيكون بذلك مُنْصَرفاً مِن الصِدْقِ إلى الكَذِبِ ، ومن الحَقِّ إلى الهَزْلِ واللَّعِبِ ، وإنما يَنْسخُ أَخبارَهُ الكَذَّابُ او

المُخْبِرُ بالظَّنِّ ، فيرجع عن قَوْلِهِ إلى أَن يكذب نفسَهُ ، ويبطل قوله ، وذلك كقولِ القائل : رأَيتُ كذا وسمعتُ كذا . ثم يقول بعد : لم يكن ما أَخبرتُ أَني رأَيتُهُ وسمعتُهُ .

وَنَجِدُ أَن شيئاً قد كَانَ ثم يُخْبِرُ أَنه لا يكونُ ، فيكذب نفسَهُ فيما أَخْبَر ، ويدُلُّ أَنه أَخبر بمَا لا يعلمُهُ أَو يكذب نفسه ، فيخبر أَنَّ ما أَخْبَرِ به انه سيكون ، انما قال متعمِّداً للكَذِبِ أَو قاله بالظَّنِّ ،وأَنه كان جاهلاً به ، ثمَ رَجَعَ عن ظَنِّهِ ، وبذلك صِفَةُ الكَذَّابِ .

وقد جوّز فريق من الروافض في أَخبارِ اللهِ جَلَّ ثناؤُهُ التَّناسُخَ ؛ وهذا الكُفْرُ [1] . لا يَجُوزُ أَن يَنْسخَ اللهُ خَبَرَهُ أَنَّهُ خَلَقَ آدمَ وأَسكنَهُ الجنةَ وأَمَرَ الملائكةَ أَن يسجُدُوا

---

(١) الأشعري : مقالات الإسلاميين ١٥٣/٢ : وغلت الروافض في ذلك حتى زعمت أن الله سبحانه يخبر بالشيء ثم يبدو له فيه – تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، المقالات ٢٥٣/٢ : وأنكره أكثر الناس ، وقالوا : لا يجوز النسخ في أخبار الله عز و جل ومديحه وأسمائه والثناء عليه .

وفرق الآمدي في إحكام الأحكام ١٣١/٣ بين نسخ الخبر نفسه ، ونسخ التكليف بالإخبار به ، فمنع الأول وأجاز الثاني . والمحاسبي يتفق في النسخ مع المعتزلة ، كما يبدو من قول الأشعري ٢٥٦/١ : واتفقت المعتزلة على أن البارىء سبحانه ليس بذي علم محدث ... ولا يجوز على أخباره النسخ لأن النسخ لو جاز على الأخبار لكان إذا أخبرنا أن شيئاً يكون ، ثم نسخ ذلك بأن أخبر أنه لا يكون ، لكان لا بد من أن يكون أحد الخبرين كذباً ، قالوا : وإنما الناسخ والمنسوخ في الأمر والنهي . وقد ذكر المحاسبي اتفاقه مع المعتزلة في النسخ فيما بعد .

له ، فَسَجَدَتِ الملائكةُ كُلُّها إلاَّ إبليسَ ، ولا أَخبارَهُ عَمَّا مضى من الرُسُلِ ، وعمّا كان في الدهورِ الخاليةِ مما أَخبر أَنه كان ، فنجدُ أَنَّ ذلكَ لم يَكُنْ . وكذلك ما أَخبر عَز وجَلَّ انه سيُقِيمُ القيامةَ وأَنه يبعثُ مَنْ في القُبور ، وأَنهُ يُصَيِّرُ فريقاً في الجَنَّةِ وفريقاً في السَعير . ولا ما يَقُولُ أَهْلُ الجَنَّة وأَهْلُ النَّارِ ، وأَنه يخلِّدُ أَهْلَ الجنةِ فيها ، ويخلِّدُ المشركينَ في العَذَابِ الأَليم ، فَيُخبر خلافَ ذلك كُله ، لأَنَّ ذلك يُوجِبُ بالخَبَرِ الثاني لُزومَ الكَذِبِ في الأَوّلِ ، ولُزومَ البَراءَةِ ، وأَنه أَرادَ أَن يفعلَ ، فاستبدلَ فأَراد أَن لا يفعلَ ، رُجوعَاً عن قوله ، والرجوعُ عن القولِ ؛ الكذبُ . والبَدَاءُ من الجَهْلِ بالعواقب.

ومن ذلك حُدوثُ الإِراداتِ في ذاتِهِ بالذوات ، وذو البداوات جاهلٌ بِما يكَونُ فيما يُستقْبَلُ [1] .

ولا جائزَ أَن يُخْبِرَ بأَمْرٍ كان ثم يخبر أَنه لم يَكُنْ او يخبر بأَمْرٍ لا يكونُ ثُمَّ يخبر أَنَّه سيكونُ ، او يخبر

---

(١) مقالات الاسلاميين ١/١٠٩ : واذترقت الرافضة : هل الباري يجوز أن يبدو له إذا أراد شيئاً أم لا ؟ على ثلاث مقالات : =

أَنه لا يفعلُ ثم يُخْبر أَنه سيفعلُ ، أَو يخبر عن شَيءٍ انه لا يفعلُهُ ثم يخبر أَنه يفعلُهُ . كما قال (عن) النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلم (انه) خاتمُ النبيِّيْنَ ، فأَخبر انه آخِرُ من يَبْعَثُ ثم يُخْبِرُ انه يبْعَث بعده نبياً ، او يبعثُ نبياً بعدما أَخبر انه آخِرُ مَنْ يُبْعَثُ من النبيين .

وكما قال للأَعراب : « قل : لن تَخْرُجُوا معي أَبَداً » [1] فلما قالوا بعد خبره هذا : « ذرونا نَتّبِعْكُمْ » [2] . قال الله جل وعز : « يريدون أَن يُبَدِّلوا كلامَ الله . قُلِ لن تَتَّبِعُونا كذلِكُمْ قال الله من قَبلُ » [3] وقال : « لا مُبَدِّلَ لكلماته » [4] جَلَّ عن الجَهْلِ والبَدَاواتِ .

وكذلك لا يَجُوزُ إِذا أَخبر أَنَّ صفاتِهِ حسنةٌ عليا ، أَنْ يُخْبِرَ بعد ذَلك أَنها دَنِيَّةٌ سُفْلَى ، او يصفَ نَفْسَهُ بأَنَّه جاهِلٌ بِبَعْضِ الغَيْبِ ، بعدما أَخبر انه عَالِمُ الغَيْبِ ،

= ١ – فالفرقة الأولى منهم يقولون : إن الله تبدو له البداوات ، وانه يريد أن يفعل الشيء في وقت من الأوقات ثم لا يحدثه لما يحدث له من البدو ...

٢ – والفرقة الثانية منهم يزعمون أنه جائز على الله البداء ....

٣ – والفرقة الثالثة منهم يزعمون أنه لا يجوز على الله عز وجل البداء ، وينفون ذلك عنه تعالى .

(١) التوبة ٨٣ .
(٢) الفتح ١٥ .
(٣) الفتح ١٥ .
(٤) الكهف ٢٧ .

وأَنه لا يُبْصِرُ ما قد كان، ولا يسمَعُ الأَصْوَاتَ، وأَنه لا قُوَّةَ له ولا قُدرةَ على الأَشياءِ، ولم يتكلَّمْ بشيءٍ ولا الكلامُ كان منه ولا له الخَلْقُ والأَمْرُ، وأَنه تَحْتَ الأَرض لا على العَرْش جَلَّ عن ذلك وتعالى عُلُوّاً كَبيراً.

فاذا عرفْتَ ذلك واستيقنْتَهُ فتَلوْتَ آيةً في ظاهِرِ تلاوتها، تَحْسَبُ انها ناسخةٌ لبعض أَخباره، كقولِهِ في فرعون «حتى إِذا أَدْرَكَهُ الغَرَقُ» [1] وقال «فاليوم نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ» [2]. وكقوله: «يَقْدُمُ قومَهُ يوم القيامةِ فأَوردَهُمُ النَّار» [3] أَنه لم يُرِدْ به نجاةً من الغَرَق في الدنيا، ولا من العذابِ في الآخِرة. وقد تأَوَّلَ قومٌ أَنَّ الله جَلَّ ذكرُهُ عنى أَن ينجِّيَهُ ببدنِهِ من النار، إِذ آمَنَ عند الغَرَقِ، وقالوا إِنما ذكر أَنَّ قومَ فِرْعونَ يدخُلُون النارَ ولم يَذْكُرْ أَنَّه يدخل فرعون النار، وانما قال: «يقدُمُ قومه يوم القيامة فأَوردهم النار» ولم يقل فَيَرِدَها

---

(١) يونس ٩٠. في الأصل: فلما أدركه الغرق.

(٢) يونس ٩٢.

(٣) هود: ٩٨.

فِرعونُ وقال « وحاق بآلِ فرعونَ سوءُ العذاب »[1] .... [2] « فأَخذَهُ اللهُ نكَالَ الآخرة والأُولى »[3] .

وانما معنى قوله « ننجيك ببدنك » أَنَّ اللهُ جلَّ وعز لما غرّق فرعونَ وقومَهُ لم توقِنْ بنو إِسرائيلَ بذلك ، وقالوا : ما غَرِقَ فرعونُ وإِننا نخافُ أَن يلحقَنَا فيُقَتِّلَنا . فأَمَر اللهُ جَلَّ شَأْنُهُ البحر (٩٩) فأَلْقَى بدنَهُ بغيرِ رُوحٍ على ضفةِ البَحْرَ ، ليستبينَ بنو إِسرائيلَ بِغَرَقِهِ ، فَلَمَّا أَلْقَاهُ البَحْرُ ، نَظَرَتْ اليه بنو إِسرائيلَ فجعلوا يُمَثِّلُونَ به[4] .

وكذلك اذا تلوتَ قوله « فليعلَمنَّ اللهُ الذين صَدَقُوا »[5] (الآية) وقوله « ولمَّا يَعْلَمِ اللهُ الذين جاهدوا منكم »[6] (الآية) .. فَظَاهِرُ التِلاوةِ ، على استئنافِ العِلْمِ مِنَ اللهِ ، بِجِهادِ المُجَاهِدِيْنَ ، وَصِدْقِ الصادِقِيْنَ ، وكَذِبِ

---

(١) غافر : ٤٥ .

(٢) ها هنا سقط يرد به المحاسبي على أصحاب هذا الرأي بقوله تعالى : فأخذه الله نكال الآخرة والأولى ، ثم يذكر الرأي الذي يتبناه .

(٣) النازعات : ٢٥ .

(٤) ابن كثير ٢/٤٣١ : قال ابن عباس و غيره : إن بعض بني إسرائيل شكوا في موت فرعون ، فأمر الله تعالى البحر أن يلقيه بجسده سوياً بلا روح ، وعليه درعه المعروفة على نجوة من الأرض — وهو المكان المرتفع — ليتحققوا موته وهلاكه .

(٥) العنكبوت : ٣ . (٦) آل عمران : ١٤٢ .

الكَاذِبِيْنَ ، وجَلَّ اللهُ أَن يستأنفَ عِلْماً بشيءٍ . وكيفَ؟! وكُلُّ شيءٍ يكونِ فهو يُكَوِّنُهُ ؟ فلم يأتِ إلاَّ وقد تَقَدَّمَ العِلْمُ منه به ، وكيف يأتي وكيف يكون ، ولو لم يكن يعلمُ كيف يكونُ ما أَحسنَ أَن يكوِّنَهُ أَبداً ، لأَنه مَنْ ليس له عِلْمٌ بما يُريدُ أَن يَصْنَعَهُ ، كيف يكونُ يُحْسِن أَن يَصْنَعَهُ ؟ وَمَنْ لم يُحْسِنْ كيف يصنعُهُ ، لم يَقْدِرْ أَن يصنعَه .

وهذا نَجِدُهُ ضَرورةً في فِطَرِنا فلو لم نَرَ كِتاباً قطُّ ، ولم نُحْسِنْ أَن نَكْتُبَ ، لم يَجُزْ لَنَا أَن نَكْتُبَ كتاباً مؤلَّفاً بمعاني مفهومةٍ بالتَخْمِين أَبداً ، وكذلك جميع الصناعات مَنْ لم يَرَهَا فيعلمَهَا أَو تُوصَف له فيعلَمَها لم يُحْسِنْ أَن يأْتيَ بِها أَبداً . فاللهُ جَلَّ ذِكْرُهُ أَوْلَى بعلمِ ما يُكَوِّنُهُ قبل أَنْ يكَوِّنَهُ .

أَلم تسمعْهُ يقول « أَلا يعلَمُ مَنْ خَلَقَ وهو اللطيفُ الخبير » [1] وقد يستدل على ذلك من عقولنا ، أَنَّ من فعل شيئاً بحكمةٍ ، فلم يفعلْهُ حتى كان عالِماً قبل أَن

---

(١) الملك ١٤ .

يفعله، فأتى به كما أراد أن يكون. وقد علم كيف يجيءُ.

وقد امتَدَحَ اللهُ جَلَّ وَعَزَّ بعلم ما قد كان وما سيكونُ وما لا يكونُ ، أو كان كيف كان يكون . فمدح نفسه بعلمِ جميعِ الغيوبِ ، فقال جل من قائل : « وربُّكَ أعلمُ بمَنْ في السمواتِ والأرض » [1] وقال : « وهو اللهُ في السمواتِ وفي الأَرْضِ يعلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ » [2] وقال : « عالِمُ الغَيْبِ والشَّهادةِ » [3] . وقال « عَلِمَ اللهُ أَنَّكُم ستذكرونهنَّ »[4] وقال «علم أَنْ سيكونُ منكم مرضى »[5](الآية).

وأخبر بما لا يكون أو كان كيف كان يكون . فقال عز وجل : « ولو رُدُّوا لعادوا لما نُهُوا عنه » وقال : « لئن أُخرجوا لا يَخْرُجُون معهم ولئن قُوتلوا لا يَنْصُرُونهم » [6] فأخبر أنه قد علم انَّهم لو نَصَرُوهم لَولَّوا الأَدبَار وإنما قوله « حتى يعلم » و « لما يعلمِ » و « ليعلمن » انما يريد حتى يراه ، فيكونَ معلوماً موجوداً ، لأنه لا جائِزَ أن يكونَ يعلمُ الشيءَ معدوماً قبلَ أن يكون ، ويعلمُهُ موجوداً

---

(١) الاسراء ٥٥ . (٢) الانعام ٣ . (٣) الانعام ٧٣ .
(٤) البقرة ٢٣٥ . (٥) المزمل : ٢٠ (٦) الحشر : ١٢ .

كائناً ، فيعلم في وقت واحد انه معدومٌ موجودٌ ؛ أَنه قد كان وانه لم يكن بعد ، وهذا المُحال .

وانما لم يَجُزْ أَن يُقالَ : يعلمُ اللهُ أَنَّ الشيءَ قَد كان ، لأَنَّ الشيءَ لم يَكُنْ بَعْدُ ، (فإِنّ) اللهَ جَلَّ وعُزَّ لا يَجُوزُ أَن يكونَ جاهِلاً به انه سيكون ، وذلك موجودٌ فينا ونحن جُهَّالٌ ، وعِلْمُنَا مُحْدَثٌ. قد علمنا أَنَّ كُلَّ إِنسانٍ مَيِّتٌ ، فكلما مات إِنسانٌ قلنا: قد علمنا انه قد مات من غير أَن نكونَ قبلَ موته جاهِلِيْنَ انَّه سيموت ، الاَّ أَنَّا قد يحدُثُ لنا العلْمُ ، من الرويّةِ وحَرَكَةِ القلبِ اذا نظرْنا إِليه مَيْتاً ، بأَنه ميْتٌ .

والله جَلَّ ذِكْرُهُ لا تَحْدُثُ فيه الحَوادِثُ ، لأَنا لم نَجْهَلْ موتَ مَنْ مات أَنه سيكونُ ، وكذلك علمنا ان النهار سيكون صَبيحةَ ليلتِنا ، ثم يكون ، فنعلم انه قد كان من غيرِ جهلٍ منا تقدَّمَ أَنه سيكونُ .

فكيف بالقديمِ الأَزَليِّ الذي لا يكونُ موتٌ ولا نهارٌ ولا شيءٌ من الأَشياءِ إِلاَّ وهو يَخْلُقُهُ ، ونحن لا نَخْلُقُ شيئاً ؟ !

وكذلك قولُهُ جَلَّ وعَزَّ «لتدخُلُنَّ المسجدَ الحرامَ إن شاءَ اللهُ آمِنينَ» وقولُهُ «وإذا أَرَدْنا أَنْ نُهْلِكَ قريةً أَمرْنا مُتْرَفِيها» [1] وقولُهُ «انما أَمرنا لشيءٍ إذا أَردناه أَن نقول له كن فيكون» [2].

ليس ذلك ببدءٍ منه لِحُدُوثِ إرادةٍ حَدَثَتْ له، ولا أَنْ يستأَنفَ مشيئةً لم تَكُنْ له، وذلك فِعْلُ الجَاهِلِ بالعواقِبِ الذي يُريدُ الشيءَ وهو لا يَعْلَمُ العَوَاقِبَ.

البداوات وحدوث الارادات :

فلم يَزَلْ تعالى يُريدُ ما يعلمُ أَنهُ يكونُ، لم يَسْتَحْدِثْ إرادةً لم تَكُنْ، لأَنَّ الإرادات إنَّمَا تَحْدُثُ على قَدْرِ ما لم يَعْلَمِ المُريدُ، فأَمَّا مَنْ لم يَزَلْ يعلمُ ما يكونُ وما لاَ يَكُونُ من خَيْرٍ وشَرٍ، فقد أَراد على عِلْمٍ لا يَحْدُثُ له بَداءٌ، اذ كان لا يحدُثُ فيه عِلْمٌ به.

وقد تَأَوَّلَ بعضُ مَنْ يَدّعي السُّنَّةَ وبعضُ أَهْلِ البِدَعِ ذلك على الحدوث !!

---

(١) الاسراء : ١٦ . (٢) النحل : ٤٠ .

فأَمَّا من ادّعى السُّنَّةَ (١٠٠) فأَراد إثباتَ القَدَرِ فقال : إرادةُ الله جَلَّ وعَزَّ أَحْدَثُ من تقديره ؛ تقديرُهُ سابِقُ الإرادةَ .

وأَما بعضُ أَهْلِ البِدَعِ [١] فزعموا أَنَّ الإرادةَ انما هي خَلْقٌ حَادِثٌ وليست بمخلوقة ، ولكنَّ الله جل وعز بها كوَّن المخلوقَ ، فزعَمتْ أَنَّ الخَلْقَ غَيْرُ المخلوق ، وأَنَّ الخَلْقَ هو الإرادةُ ، وأَنها ليست بصفةِ الله من نفسه . وجَلَّ الله أَن يكونَ شيءٌ حَدَثَ لِغيرِ إرادةٍ منه [٢] . وجَلَّ عن البداءاتِ وتقلُّب الإراداتِ [٣] .

فأَمَّا قولُهُ « لتدخُلُنَّ المَسْجِدَ الحَرامَ إن شاءَ اللهُ » [٤] فإنَّه وَعَدَهُم الدُخولَ على عِلْمٍ أَنهم يدخُلُون.

وأَمَّا قولُهُ « اذا أَردْناه أَن نقول له كُنْ فيكون » [٥] .

وقولُهُ « وإذا أَردْنا أَن نُهْلِكَ قريةً أَمَرْنا مُتْرَفِيها » [٦]

---

(١) يقصد المحاسبي ببعض أهل البدع هنا المعتزلة ، وعلى الأخص معاصره المتكلم المعتزلي الكبير أبو الهذيل العلاف ، الذي كان يقول كما في مقالات الاسلاميين ٢/٤٨ : خلق الشيء ، الذي هو تكوينه بعد ان لم يكن هو غيره ، وهو إرادته له ، وقوله له كن .

(٢) هذه الفقرة رد على المعتزلة . (٣) وهذه الفقرة رد على الرافضة .

(٤) الفتح : ٢٧ . (٥) النحل : ٤٠ . (٦) الاسراء : ١٦ .

فإنَّه لم يَزَلْ يُريدُ ، قبل أَن يُحْدِثَ الشيءَ ، أَن يُحْدِثَهُ في وقت إِحداثِهِ . فلم يَزَلْ يُريدُ إِحداثَهُ في الوَقْتِ المؤَخَّر ، فإِذا جاءَ الوقتُ فهو أَيضاً يُريدُ أَنْ يُحدثَهُ فيه ، فبإِرادته أَحدثَهُ في ذلك الوقتِ الذي فيه أَحدثه .

فإِرادةُ اللهِ جَلَّ وَعَزَّ دائِمةٌ لأَنَّه مُريدٌ قبل الوقتِ الذي يُحْدِثُ فيه المخلوقاتِ ، وفي الوقت الذي أَحْدَثَهُ فيه . فأَرادَ بِقَوْلِهِ جَلَّ وعَزَّ « اذا أَردناه » ؛ إِذا جاءَ الوَقْتُ الذي فيه ، وهو له قبل الوَقْتِ مُريد ، فَأَوقع (إِذا) على الإِرادة ، وإِنما أَرادَ الوَقْتَ وهو مُريدٌ له أَيضاً في الوقت . والعَرَبُ تَفْعَلُ هذا في مُخَاطَباتِها . يقول الرجل لآخَرَ : متى تُريدُ أَنْ آتِيَكَ ؟ فيقول : غداً . فيسأَلُهُ في ظاهِرِ المسأَلةِ عن وقتِ إِرادتِهِ ، وانما يُرِيدُ الوقتَ الذي فيه المجيءُ ، ويجيبُهُ بالوقت الذي يَجِيءُ فيه . ولو أَجابَهُ على ظَاهِرِ مَسْأَلَتِهِ إِذا قَال : متى تُريدُ أَجيئُك ؟ لقال : الساعةَ أُريدُ أَن تجيئَني غداً ، فأَجابه عن وقت المجيءِ ، وانما سأَله في الظاهر عن وقت الإِرادة ، وهو يُريدُ وقتَ المجيءِ ، فأَجابه عن معنى السؤال ولم يُجِبْهُ عن ظاهِرِ المسأَلَةِ .

وكذلك اذا أَرادَ اللهُ جَلَّ وعَزَّ وقت كَوْنِ الشيءِ ، وأَنزلَ ظاهِرَ القَولِ على الإِرادةِ ، فقال جَلَّ مِنْ قائل : « وإِذا أَرَدْنا أَن نُهْلِكَ قريَةً » يعني الوقت الذي أَرَدْنَا من قبلُ إِذا جاءَ الوقْتُ أَهلكْناها فيه . فإِنما أَراد بقوله : « اذا أَردنا » اذا كان الوقتُ الذي أَرَدْنا أَن نُهْلِكَهُمْ فيه ، لا على البَدْءِ منه بإِرادةٍ أُخْرى ، وأَرادَ تَكْوينَ الشيءِ إِلى وَقْتٍ معلومٍ لم يزل يُريدُ أَن يُكَوِّنَهُ فيه ، فلم يَزَلْ مُريداً الهلاكَ للقُرَى في الأَوقاتِ التي يُهْلِكُها فيها ، فإِذا أَهلَكَهَا فبإِرادةٍ متقدِّمةٍ منه بِهَلاَكِها في تلك الأَوْقاتِ التي أَخَّرَ هَلاَكَها إِليها ، وبإِرادةٍ لم تَزَلْ أَخّرَ هلاَكَ القُرى إِلى الوقت الذي لم يَزَلْ يُريدُ أَن يُهْلِكَهَا فيه .

السمع والبصر :

وكذلك قولُهُ عَزَّ وجَلَّ « إِنَّا معكم مستمعون » [1] ليس معناه إِحداث سَمْعٍ ، ولا تكلُّفُ لسَمْعِ ما يكونُ من المتكلِّم في وَقْتِ كلامِهِ ، وإِنَّما معنى « إِنَّا معكم مستمعون » « وسيرى الله عملكم » [2] أَي المسموعُ والمُبْصَرُ لن يخفى

(١) الشعراء ١٥ .
(٢) التوبة ٩٤ .

على سَمْعي ولا على بَصَري أَنْ أُدركَهُ سمعاً وبَصَراً ، لا بالحَوَادِثِ في الله ، جَلَّ وعَزَّ وتعالى عن ذلك . وكذلك قولُهُ « اعملوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ ورسولُهُ »[1] لا يستحدث رؤيا ولا لَحْظاً مُحْدَثاً في ذاته ، تعالى عن ذلك !!

وقد ذهب قومٌ أَنَّ لله جَلَّ وعَزَّ استماعاً حادثاً في ذاتِهِ[2] ، فذهب إلى ما يُعْقَلُ من الخَلْق أنه يَحْدُثُ فيهم عِلَّةً لِسَمْع ما يكونُ من قَوْلٍ عند سَمْعِهِ للقَوْل ، لأَنَّ المَخْلُوقَ إذا سَمِعَ الشيءَ حَدَثَ له عنه فَهْمٌ عما أَدركَتْهُ أُذُنُهُ من الصَوْت ، وكذلك ذَهَبَ إلى أَنَّ رؤيةً تَحْدُثُ له .

قال أبو عبد الله : وهذا خطأ . وانما معنى « سيرى » و « انا معكم مستمعون » أَنَّ المسموعَ والمُبْصَرَ لم يَخْفَ على عيني ولا على سمعي أَنْ أُدْرِكَهُ سَمْعاً وَبَصَراً ، لا بالحَوَادث في الله جَلَّ وعَزَّ . ومَنَ ذهبَ إلى انه يحدُثُ له استِماعٌ مع حُدُوث المسموعِ ، وإبصارٌ مع حدوثِ المُبْصَر ، فقد ادّعى على الله عز وجَلَّ ما لم يَقُلْ . وانما على العبادِ التسليمُ كما قال ، وأَنه عالمٌ سميعٌ بصيرٌ ولا

(١) التوبة ١٠٥ .

(٢) الذين قالوا بحدوث الصفات في ذات الله فريقان : الرافضه ، والمشبهة : مقالات الاسلاميين ٢/١٦٠ .

يريدُ ما لَم يَكُنْ . وانما معنى « حتى يعلم » حتى يكونَ المعلومُ ، وكذلك حتى يكون المُبْصَرُ والمَسموعُ . ولا يَخْفَى على الله عز وجل أَنْ يعلَمَهُ موجوداً ويراهُ موجوداً ويسمعَهُ موجوداً بغير (١٠١) حُدوثِ عِلْمٍ في اللهِ جَلَّ وَعَزَّ ولا سَمْعٍ ولا بَصَرٍ ، ولا يعني حدوثاً في ذاتِ الله ، جلَّ اللهُ عن الحوادِثِ في نفسه ، وتعالى عن البداوات في عِلْمِهِ وإرادته عُلُوّاً كَبيراً .

العـــــلو :

وكذلك قولُهُ جَلَّ وعَزَّ « وهو القاهِرُ فوقَ عبادِه » [١] وقوله « الرحمنُ على العَرْشِ استوى » [٢] وقال « أَأَمِنْتُم مَنْ في السماءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرض » [٣] وقال « إليه يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَيِّبُ » [٤] وقال « يُدَبِّرُ الأَمْرَ من السَمَاءِ إلى الأَرْض ثم يعرج اليه في يومٍ كان مِقْدَارُهُ » [٥] (الآية) وقال « تَعْرُجُ الملائكةُ والروحُ » [٦] (الآية) وقال لعيسى

---

(١) الانعام : ١٨ . (٢) طه : ٥ . (٣) الملك : ١٦ .
(٤) فاطر : ١٠ . (٥) السجدة : ٥ . (٦) المعارج : ٤ .

عليه السلام « إني مُتَوَفِّيكَ ورَافعُك إليَّ » [1] وقال « بل رَفَعَهُ اللهُ إليه » [2] وقال « فالذين عندَ رَبِّكَ يُسَبِّحونَ له » [3]

وذكر آلهةً لو كانوا لابتَغَوا إلى طلبِه سَبيلاً حيث هو ، فقال « قل لو كان معه آلهةٌ ـ كما يقولون ـ إذاً لابتَغَوا إلى ذي العرش سبيلاً » [4] وقال « سَبِّحِ اسمَ رَبِّكَ الأَعْلى » [5] فلن يَنْسخَ ذلك أبداً ، فإذا تلوتَ ما يكونُ كأَنَّه نُسِخَ أو خِلاف الظَاهر ، فاعلم أَنَّ ذلكَ ليس بِنَسْخٍ ولا بِمُضَادٍّ لهذا ، وذلك كقوله « وهو الذي في السماءِ إلهٌ وفي الأَرْض إلهٌ » [6] وقوله « وهُنَّ أَقْربُ إليه مِنْ حَبْلِ الوَريد » [7] وقوله « وهو اللهُ في السمواتِ وفي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وجهْرَكُمْ » [8] (الآية) وقوله : « ما يكونُ من نجوى ثلاثة إلاَّ هو رابِعُهُم » [9] (الآيــة) فليس بناسِخٍ ولا ذلك ناسخٌ لهذا ولا هذا ضد ذلك ، ولكنَّ معنى ذلك غيرُ معنى هذا .

هذه الآية معناها أَنَّ الله جَلَّ وعَزَّ لم يُرِدِ الكَوْنَ بذاتِهِ

---

(١) آل عمران : ٥٥ .
(٢) النساء : ١٥٨ .
(٣) فصلت : ٣٨ .
(٤) الاسراء : ٤٢ .
(٥) الاعلى : ١ .
(٦) الزخرف : ٨٤ .
(٧) ق : ١٦ .
(٨) الانعام : ٣ .
(٩) المجادلة : ٧ .

في أَسفلِ الأَشْياءِ ، وينتقلُ فيها لانتقالِها ، وينهضُ فيها على أَقْدارِها ، ويزولُ عنها عند فنائِها جَلَّ مولانا وتعالى عن ذلك عُلُوّاً كبيراً .

وقد ادعى بعض أهل الضلال : فَزَعموا أَنَّ اللهَ جَلَّ وعَزَّ في كُلِّ مَكَانٍ بِنَفْسِهِ ، كائناً كما هو على العَرْش ، لا فَرْقَ بين ذَلِكَ عندهم [1] . ثُمَّ أَجابوا في النَفْيِ بعد تَثْبيتِ ما يجُوز عليهم في قولهم ما نَفَوا ، لأَنَّ كُلَّ مَنْ أَثْبَتَ شيئاً في المعنى ثم نفاهُ بالقول لم يُغْنِ عنه نَفْيُهُ بِلِسانِهِ ، وقد تَدَيَّنَ - لما يَلْزَمُهُ في المعنى - بما نفى ، كالنصارى زعمت انَهم يعبُدُونَ ثلاثةً وأَنَّ ذلك ليس بِشِرْك ، وأَنَّ معنى الثلاثةِ معنى واحد ، فلم يُغْنِ عنهم نَفْيُهُمُ الشِرْكَ بقولهم وقد دَانُوا به في المعنى . وكذلك جميعُ أَهْلِ الضَلالِ يَنْفُون الكُفْرَ ويتبرؤُونَ منه وهم كافرون .

كذلك جميعُ أَهْلِ البِدَع يَنْفُونَ البِدَعَ بقولِهِم ويتبرؤُون

---

(١) يشير بهذه الفقرة إلى الجهمية ، أتباع جهم بن صفوان (- ١٣٠ هـ) الذي كان يقول بتنزيه الله عن الصفات كلها ، ويرى أن الله ليس على العرش بل في كل مكان : تاريخ الإسلام ٥/٦٥ ، وقد اختلط الأمر في القرن الرابع الهجري ، فقال بهذا القول متأخرة الأشاعرة ، والمعتزلة ، والصوفية ، على خلا ف بينهم في تحديد ذلك .

منها ، وقد خَالَفُوا ما دانُوا اللهَ تَبارَكَ وتَعَالى بِها . وَكذلكَ هؤلاءِ في نَفْيِهِمْ بعد تثبيتِهِمْ معنى ما نَفَوا فاحتجُّوا بهذه الآيةِ[1] أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ في كُلِّ شيءٍ بِنَفْسِهِ كائناً ، ثم نفوا معنى ما ثَبَّتُوا فقالوا : لا كالشيءِ ؛ في الشيءِ فأَحَالُوا ، لأَنَّ مَا كان في الأَشياءِ فهو كالشيءِ وإِنْ نَفَوْهُ بأَلْسِنَتِهِمْ .

قلت : فبيِّنْ لي معنى ذلك كُلَّهُ . قال : أَمَّا معنى قولِهِ تعالى : « يعلم .. وسيرى الله ... وإِنا معكم مستمعون » ... فإِنَّما مَعْنَاهُ حتى يكونَ الموجودُ فنعلمُهُ موجوداً ، ونسمعُهُ مسموعاً ، ونُبْصِرُهُ مُبْصَراً ، لا على استحداثِ عِلْمٍ ولا سَمْعٍ ولا بَصَرٍ . وأَما قولُهُ « إِذا أَرَدْناه » فمعناه اذا جاءَ وقت كون المراد فيه .

وأَما قولُهُ « على العرش استوى » [2] ... « وهو القاهر فوق عباده [3] .. وأَأَمنتم من في السماءِ [4] .... وإِذاً لابتغوا إِلى ذي العرش [5] ... » فهذه وغيرُها مِثْلُ قولِهِ « إِليه يَصْعَدُ الكَلِمُ » وقوله « ثم يعرج اليه في يوم » [6] فهذا

---

(١) قوله تعالى في سورة المجادلة « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم » .

(٢) طه : ٥ (٣) الانعام : ١٨ (٤) الملك : ١٦

(٥) فاطر : ١٠ (٦) السجدة : ٥

مَقْطَعٌ يُوجِبُ أَنَّهُ فوقَ العرش ، فوقَ الأَشياءِ ، مُنَزَّهٌ عن الدُّخُولِ في خَلْقِهِ ، لا يَخْفَى عليه منهم خَافِيَةٌ لأَنه أَبانَ في هذِهِ الآياتِ أَنَّ ذاتَهُ بنفسه فوقَ عباده لأَنه قال : « أَأَمنتم من في السماءِ أَنْ يَخْسِفَ بكم الأَرض » [1] يعني فوق العرش ، والعرش على السماءِ ، لأَنَّ مَنْ كان فوق شيءٍ على السماءِ فهو في السماءِ ، وقد قال مثل ذلك « فَسِيحُوا في الأَرْض » [2] يعني على الأَرض لا يريد الدخول (١٠٢) في جَوْفها ، وكذلك قولُهُ « لأُصَلِّبَنَّكُمْ في جُذُوعِ النَخْل [3] » يعني فوقَها . وقال : « أَأَمِنْتُم مَنْ في السماءِ » [4] ثم فَصَّل فقال : « أَن يخسِفَ بكُمُ الأَرْض » [5] ولم يَصِلْهُ بمعنىً فَيَشْتبه ذَلِكَ ، فلم يَكُنْ لذلك معنىً إِذ فَصَّلَ بقوله : « في السماءِ » ـ ثم استأَنَفَ التخْويفَ بالخَسْف ـ إِلاَّ أَنَّه على العَرْشِ فوقَ السماءِ ، وقال : « يدبِّرُ الأَمْرَ من السماءِ إِلى الأَرض ثم يعرج إِليه في يوم » [6] (الآية) وقال « تعرج الملائكة والروحُ اليه » [7]

---

(١) الملك : ١٦ (٢) الاسراء : ٤٢ (٣) طه : ٧١
(٤) الملك : ١٦ (٥) الملك ١٦ . (٦) السجدة : ٥
(٧) المعارج : ٤

فبيَّنَ عُروجَ الأَمْرِ، وعُروجَ الملائكةِ، ثمَّ وصفَ صُعودَها بالارتفاعِ صاعدةً إليه، فقال « إليه يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ »[1].

وقال: « ثم يعرج اليه »[2] ثم قال: « في يومٍ كان مِقْدَارُهُ »[3] مقدار صُعُودِها، وفصله من قوله اليه كقولِ القائلِ: صعدتُ إلى فلانٍ في يومٍ أو في ليلةٍ، وإنَّ صُعودَكَ إليه في يوم، فاذا صَعدوا إلى العرش فقد صَعَدوا إلى اللهِ جَلَّ وعَزَّ، وإن كانوا لم يَرَوهُ، ولم يُساوُوهُ في الارتفاعِ في عُلُوِّه، فإنهم قد صَعَدُوا من الأَرْضِ، وعَرَجُوا بالأَمْرِ إلى العُلُوِّ الذي للهِ عزَّ وجَلَّ فَوقَهُ.

وقال: « إليه يصعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ »[4].

وكلامُ الملائكةِ أَكثرُ وأَطْيَبُ من كَلامِ الآدميِّيْنَ، فلم يَقُلْ يَنْزِلُ إليه الكَلِمُ الطَّيِّبُ.

وقال (عن عيسى) «بل رَفَعَهُ اللهُ إليه» ولم يَقُلْ عنده.

وقال عن فرعون « لعلِّي أَبلُغُ الأَسبابَ، أَسبابَ السمواتِ

---

(١) فاطر: ١٠ (٢) السجدة: ٥ (٣) السجدة: ٥ (٤) فاطر ١٠

فأَطَّلِعَ إِلى إِلَهِ موسى»[1]. ثمّ استأَنَفَ فقال «واني لأَظُنُّهُ كاذباً» فيما قال لي إِنَّه في السماءِ ، فَطَلَبَهُ حيثُ قال له موسى مع الظَّنِّ منه بموسى عليه السلام انه كاذبٌ ، ولو أَنَّ موسى عليه السلام ، أَخبره أَنه في كُلِّ مكانٍ بذاته ، لطَلَبَهُ في الأَرْضِ أَو في بيته وَبَدَنِهِ ولم يتعزَّ بِبُنْيَانِ الصَرْح .

وأَمَّا الآياتُ الأُخَرُ التي نَزَعُوا بها فقد أَبَانَ اللهُ جَلَّ وعَزَّ في تِلاوتِها أَنه لا يُرِيدُ أَنهُ كائنٌ في الأَشْياءِ بِنَفْسِهِ ، إِذ وَصَلَها ولم يَقْطَعْها كما قطع الكلامَ الذي أَرادَ به كونَهُ فَوقَ عَرْشِهِ فقال عَزَّ وَجَلَّ : « أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ ما في السَمَواتِ وما في الأَرْض »[2] فبدأَ بالعِلْمِ وأَخبر أَنَّه مع كُلِّ مُنَاجٍ حيث وُجِدَ ، وختم الآيةَ بِالعلمِ وقال : « إِن اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عليم »[3] فَبَدَأَ بالعلم وخَتَم بالعِلْمِ . فَبَيَّنَ أَنه أَرَاد أَنه يَعْلَمُهُمْ حيث ما كانوا لا يَخْفونَ عليه ولا يَخْفَى عليه مُناجاتُهُم ؛ تَفَرَّدُوا او اجتمعُوا .

ولو اجتمعَ قومٌ في السُّفْل ، وناظِرٌ إِليهم في العُلو ويسمُع كَلاَمَهُمْ فقال إِني لم أَزَلْ مَعَكُمْ ؛ أَراكُمْ ، وأَعلم

---

(١) غافر ٣٦ ، ٣٧ . (٢) المجادلة : ٧ (٣) المجادلة : ٧ .

مُنَاجَاتَكُمْ كانَ صادقاً ، ولله المَثَلُ الأَعْلى عن شَبَهِ الخَلْق .

وقد روى ابنُ مسعود ما يَدُلُّ على ذلك فقال : اجتمَعَ ثلاثةُ نَفَرٍ عند الكعبةِ فقال أَحدُهُم : أَتَرَونَ أَنَّ اللهَ يسمعُ ما نقولُ ؟ فقال بعضُهُم : إِنْ كان يسمَعُ اذا جَهَرْنَا فإنه يَسمعُ إِذا أَخْفَيْنا ، فأَنزل الله عز وجل « وما كُنتم تَستَتِرونَ أَنْ يَشْهَدَ عليكمْ سَمْعُكُمْ ولا أَبصارُكُمْ ولا جُلُودُكُم » [1] (الآية)[2] فإِن أَبَوا إِلاَّ ظاهِرَ التلاوةِ وقالوا : هذا دَعْوى ، خرجُوا من قولِهِمْ في ظاهِرِ التلاوة ، لأَنَّ موضعَ الاثنينِ والثلاثةِ والأَربعةِ وأَكثر من ذلكَ وأَقلّ من ذلك الواحد فهُو مَعَهُمْ لا فيهم ، وما كان مع الشيءِ فقد خَلاَ جِسْمُهُ منه ، وبانَ كُلُّ واحد منهما بنفْسِهِ عن الآخَرِ ، وهذا خُروجٌ عن قَوْلِهِمْ ، لأَنَّ عندَهُمْ لا يَخْلُو من اللهِ سبحانَهُ شيءٌ أَنْ يكونَ فيه بنفْسِهِ ، فقد تَرَكُوا قولَهُمْ على ظاهِرِ التِلاوةِ لأَنَّ اللهَ تعالى قال « معهم » ولم يَقُلْ « فيهم » .

---

(١) فصلت : ٢٢

(٢) ابن كثير ٤/٩٦–٩٧ : ... عن عبد الله رضي الله عنه قال : كنت مستتراً بأستار الكعبة ، فجاء ثلاثة نفر : قرشي وختناه ثقفيان ، كثير شحم بطونهم ، قليل فهم قلوبهم ، فتكلموا بكلام لم أسمعه ، فقال أحدهم : أترون أن الله يسمع كلامنا هذا ؟ فقال الآخر : إنا إذا رفعنا أصواتنا سمعه ، وإذا لم نرفعه لم يسمعه . فقال الآخر : إن سمع منه شيئاً سمعه كله .

وكذلك قولُهُ عَزَّ وجَلَّ : « ونحنُ أَقْربُ إليه مِنْ حَبْلِ الوَرِيْد » . فقد بَيَّنَ ما أَرَاد بذلك فقال : « ولقدْ خلقْنا الإِنسانَ ونعلمُ ما تُوَسْوِسُ به نَفْسُهُ» ثُمَّ قال « ونحنُ أَقْربُ إليه مِنْ حَبْلِ الوَريد » [1] . أَي بِعِلْمِهِ فتكونُ الإِحاطةُ بالعِلْمِ أَقرب من عِرْقِ قَلْبِهِ المتَّصِلِ بِقَلْبِهِ . فإِن أَبوا إِلاَّ ظاهِرَ التلاوةِ فإِنَّ ما قَرُبَ من الشيءِ ليس هو في الشيءِ ، وأَقربُ مَا يكُونُ منه أَن يُلازِمَهُ . ولم يقل عَزَّ وجَلَّ : إِني فيكُم ، ولا إِنِّي في حبل الوريد ، ولا اني أَقرُب فيكم من حبل الوريد ، لأَنه لو كانَ في حَبْلِ الوَريد ، صار حَبْلُ الوريد أَقْرَبَ إِلينا ، لأَنَّ ما كانَ فيه شَيْءٌ فقد (١٠٣) حَواهُ ، وآخَر حواهُ وهو دُونَهُ ، كالرَجُلِ يكونُ في بيتٍ في دارٍ ، فَجِدَارُ البيتِ أَقْربُ إِلى الدارِ ممن هو في البيت ، ولو كان ذلك كذلك لكان آخِرُ حبلِ الوريدِ أَقربَ إِلى قلوبِنا منه ، ومُحالٌ أَن يكونَ ما في الوريدِ أَقربَ إِلى الجسمِ مِنْ حَبْلِ الوريد ، وإِنما يكونُ أَقربَ إِلى الجسم مِنْ حَبْلِ الوريد اذا لم يكن في حبلِ الوريد ، وكان خَارجاً

---

(١) ق : ١٦ .

منه أَو كان بَعْضُهُ في حبلِ الوريدِ ، وبعضُهُ خارجاً منه إلى الجسم ، فذلك التبعيضُ ، ففي ظاهِرِ التلاوة ، على دعواهم ، مايَدُلُّ أَنه ليس في حَبْلِ الوَريدِ كُلِّهِ ، وانما يَدُلُّ على أَنه إِمَّا خارجٌ منه أَو بَعْضُهُ خارجٌ منه ، وكذلك قولُهُ « في السماءِ إِله وفي الأَرض إِله » فلم يَتُلْ في السماءِ ثم قطع كما قال « أَأَمنتم من في السماءِ أَن يخسف بكم الأَرض» [1] فقال «في السماءِ إِله ...» ؛ فأَخبر أَنه إِله أَهْلِ السماءِ وإِلهُ أَهْلِ الأَرْض .

وذلك موجودٌ في اللُّغَةِ إِذ يقولُ القائلُ : مَنْ بخُراسانَ ؟ فيقال : ابن طاهر [2] . وانما هو في موضع . فجايزٌ أَن يُقالَ : ابنُ طاهر أَميرٌ في خُراسانَ ، فيكونُ أَميراً في بَلْخ وَسَمَرْقَنْد وكلِّ مُدُنِها . هذا وإِنما هو في مَوْضِعٍ واحِدٍ ، يَخْفىَ عليه ما وراءَ بيتِه ، ولو كان على ظاهِرِ اللفظ وفي مَعْنى الكون ، ما جاز أَنْ يقالَ أَميرٌ في البَلَدِ

---

(١) الملك : ١٦ .

(٢) ابن طاهر (١٨٢ – ٢٣٠ هـ) عبد الله بن طاهر بن الحسين ، أمير المشرق . ولي خراسان سنة ٢١٤ هـ ، ومصر سنة ٢٢١ هـ . ثم عاد والياً على خراسان . كان جواداً ، شجاعاً ، شاعراً : وفيات الأعيان ٢/٢٧١ ، العبر ١/٤٠٦ ، البداية والنهاية ١٠/٣٠٢ .

الذي هو فيه لأَنه في موضعٍ واحدٍ من بيته ، أَو حيثُ كان ، إِنما هو في موضِعِ جُلُوسِهِ ، وليس هو في داره أَميرٌ ولا في بيتِهِ كُلِّه ، وانما هو في موضِعٍ منه ، لو كان معنى هذا معنى الكون ، فكيف العالي فوق كلِّ شيءٍ؟! لاَ يَخْفَى عليه شيءٌ من الأَشْياءِ يُدَبِّرُهُ ، فهو إِلهُ أَهْلِ السماءِ ، وإِلهُ أَهلِ الأَرضِ لا إِله فيهما سِواهُ ، فهو فيهما إِلهٌ اذ كان مُدَبِّراً لَهُما وما فيهِما وهو على عَرْشِهِ فوقَ كُلِّ شيءٍ بَاقٍ .

الحشوية والنسخ في الأخبار :

وأَمّا الأَخْبارُ فقد قال بعضُ الروافضِ ، إِنَّ اللهَ عَزَّ وجلَّ ينسخُ أَخبارَه . وقال قَومٌ من أَهْلِ السُّنَّةِ بَنْسْخِ الأَخْبار ، لا على التَعَمُّدِ منهم ولكن عن الإِغْفَالِ والسَهْوِ عن الفَحْص عن معنى ذلك ؛

فقال الكلبي[1] إِنه لمّا نَزَلَتْ « إِنكم وما تعبُدُون من

---

(١) الكلبي (-١٤٦هـ) محمد بن السائب ، أبو النضر . كان عالماً بالتفسير وأنساب العرب وأحاديثهم ، ويقال انه كان من الشيعة الغالية ، أصحاب عبد الله بن سبأ . وهو شديد الضعف في رواياته والمحاسبي يعتبره هنا من أهل السنة . روى عنه الثوري وابن إسحاق ، ثم تركاه . وأكثر من الرواية عنه ابنه هشام طبقات ابن سعد ٦/٢٤٩ ، وفيات الأعيان ٣/ ٤٣٦ ، نور القبس ٢٥٦ ، الميزان ٣/٥٥٦ .

دون الله حَصَبُ جهنَّم » [1] نسخها بقوله : « إنَّ الذين سَبَقَتْ لهم منَّا الحُسْنَى » [2] ومعنَى ذلك لو كان نسخَها ، أَنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ قال : « إنكم وما تعبدون من دون الله حصبُ جهنم » أَنَّه أَرادَ به أَنْ يُعَذِّبَ عُزيراً والملائكةَ والمسيحَ ، فأَوجبَ عليهم العذابَ ثمَّ نَسَخَ ذلك بعدما أَوجَبَهُ ، كما أَوجب قِيامَ الليلِ ثم نَسَخَهُ ، وكما أَوجب تقديمَ الصَدَقةِ قبل نَجْوى النبيِّ صلى الله عليه وسلم ثم نَسَخَهَا ، وكما أَوجبَ الصلاةَ إلى بيتِ المقْدِسِ ثم نسخَهُ ، ومعاذَ اللهِ أَنْ يكونَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ أَرادَ وأَحَبَّ تَعذيبَ أَوليائِهِ من الملائكةِ ، ولا المسيح ولا عُزير ، وقد تقدَّمَتْ فيهم أَخبارٌ من الله جلَّ وعز بالوِلايةِ قبل أَنْ يُنَزِّلَ آيةَ العذابِ في الآلِهة فلما أَنزل آيةَ العذاب لم يُرِدْ بها مَنْ تَقَدَّم منه القولُ بِولايتِهِمْ ، وإِنما أَراد مَنْ عَبَدوا سوى أَوليائِهِ ، وكان خَبَراً خاصّاً لا عامّاً كما قال اللهُ جَلَّ وعَزَّ « إِنَّ ربَّكَ لَذُو مَغْفِرةٍ للناسِ على ظُلْمِهِمْ » [3] ولم يُرِدِ الكافِرِيْنَ إِذ لم يتوبوا ، لأَنه قد تقدَّمَ فيهم أَخبارٌ أَنه لا يُغْفَرُ لهم إِنْ لم يَتُوبوا .

---

(١) الأنبياء : ٩٨ . (٢) الأنبياء : ١٠١ . (٣) الرعد : ٦ .

وقال الكلبيُّ ومتَّبِعُوهُ أيضاً قوله : « والملائكةُ يسبِّحون بِحَمْدِ ربِّهم ويستغْفرونَ لِمَنْ في الأَرْضِ » [1] نَسَخَ ذلك بقوله : « فاغفِرْ للذين تابوا واتَّبعوا سبيلَكَ » [2] .

ولو كانَ كما زعَمَ لكان قولُهُ « ويستغفرون لمن في الأَرض » خبراً منه أَنهم يستغفرون لأَهْلِ الأَرْضِ كُلِّهِمْ مَنْ تاب منهم ومَنْ لم يَتُبْ ، ثم رَجَعَ فقال : انما استغْفَروا للذين تابُوا؛ وليس كَذَلِكَ ، ولكنَّه أَخبر أَولاً بخبرٍ كان ظاهِرُهُ على العُموم وهو خُصوصٌ ، ولم يُرِدْ أَوَّلاً في خبره أَنهم استغفروا لأَهْلِ الأَرض كُلِّهِمْ ، ثُمَّ رجَع فأَخبر أَنَّهم إِنما استغفروا للتائِبِيْنَ دون غيرِهِمْ هم لم يستغفروا قطُّ إِلاَّ للتائبين ، ولم يرد بخبرهِ عنهم إِلاَّ التَّائبينِ . ولكنَّه أَخبر أَوَّلاً وكان ظاهِرُ خَبَرِهِ على العُموم .

وإِنما أَرادَ بقولِهِ «لِمَنْ في الأَرض» من التائبين ، ثم بَيّن في الخَبَرِ الثاني مَنْ أَرادَ ، لأَنَّ الله عز وجل لا جائز أَنْ ينسخَ الاستغفارَ للكافِرِيْن ، وقد أَخبر أَنه قال لا يَغْفِرُ لهم أَبداً ، فيكون قد أَمرهم أَنْ يَستغفِروا للكافرين ثم

---

(١) الشورى : ٥ . (٢) غافر : ٧ .

تسخَهُ بنهْيِهِ لهم ، فَيَدَعُوا الاستغفارَ لِجميعِ النَّاسِ (دونَأن) يستغفِروا للمؤمنين بعد ذلك ، لأَنَّه عز وجل يقول « ولا يشفعُونَ إِلاَّ لمنِ ارتضى »[1] ولا يُقَدِّمُون بين يدي الله ما لم يُؤْمَرُوا به فَيُخَالِفوا مَحَبَّةَ مولاهُم فيسألوه أَنْ يَغْفِرَ للكافرين مع المؤمنين وقد أَوجب أَلاَّ يَغْفِرَ لهم أَبداً وهو يُخْبِرُ بأَنهم لا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لمن رَضِيَ شفاعتَهُم له ، ويمدحُهُم بذلك .

فإِن احتَجَّ مُحْتَجٌّ بأَنَّ إِبراهيمَ عليه السلامُ قد استغْفَر لأَبيه ، ومحمداً صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم لِعَمِّهِ حَتَّى نُهِيَ ، فذلك انما كان ابتلاءً مِن محمَّد صلى الله عليه وسلم حتى نَهَاهُ الله عَزَّ وجَلَّ ، لا أَنَّ الله تبارك وتَعالى أَمره أَنْ يَسْتَغفِرَ للمُشْرِكِيْنَ ثُمَّ نَسَخَهُ . والملائكةُ لا جائزَ أَن تَبتدىءَ بما لم تُؤْمَرْ به ، لأَنَّه عَزَّ مِنْ قائل يقول : « وَلاَ يشفعون إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى »[2] .

فالناسخ والمنسوخ لا يجوزُ أَن يكونا إِلا في الأَحكام في الأَمْرِ والنَهْيِ والحُدُودِ ، والعُقوباتِ في أَحكامِ الدنيا ،

---

(١) الأنبياء : ٢٨ . (٢) الأنبياء : ٢٨ .

ولا يكونُ ذلك بَدَاواتٍ مِنَ اللهِ عَزَّ وجل ، ولا استفادةَ عِلْمٍ ولا رجوعاً عن صِدْقٍ ، بنسْخِ خَبَرٍ ، ولا ابتداءً بِكَذِبٍ ثم رجوعاً إلى صِدْقٍ ؛ جَلَّ وتعالى عن ذلك .

ولكنَّه أَمَرَ بأَمْرٍ وحَكَمَ بِحُكْمٍ ، وهو يُريدُ أَن يُوَجِّهَ إلى وقتٍ ، ويُريدُ أَن يأمُرَ بِتَرْكِهِ بعد ذلك الوقْتِ ؛ لم يَزَلْ مُريداً للفِعْلِ الأَوَّلِ إلى الوقت الذي أَراد نَسْخَهُ ، وإِيجادَ بَدَلِهِ ، إلاَّ من المأمورِ به والحكمِ به ، وكلاهُما لم يَزَلْ يُريدُهُما ولم يُبَدِّلْهُ في الثاني بِبُدوٍّ ولا بِنَسْخِ أَمْرِهِ ، ولكنه ينسخُ المأمُورَ به بمأمورٍ به آخَرَ ، وكلاهُما وَقَعَ التبديلُ على المأمور به بمأمورٍ به آخَرَ ، وكلاهما كلامُهُ لا رُجُوعاً عن قوله الاول أَنه لم يكن حَقّاً وصدقاً منه وحكمةً ، وصلاحاً لِعِبَادِهِ يستخْرِجُ مِنْهُمَا التسليمَ لأَمْرِهِ في وقت يكونُ ذلك مِنهما ، ويكونُ من إبراهيمَ القَصْدُ منه ، لِحديدةٍ يذبحُ بها ابنَهُ ، وإِضجاعَهُ ووضْعَ السكين على حَلْقِهِ ، بالصَبْرِ والتَسْليمِ لأَمْرِهِ ، ويكونُ من إِسحقَ بالطَوْعِ لأَبيه ابتغاءَ مرضاةِ اللهِ ربِّهِ ، بالتسليمِ لأَمْرِهِ ، ويكونُ من الكبْشِ بدَلَهُ ، وكلاهما مُرادٌ له لم يزل في

وقتَيْنِ مختلِفَيْنِ ، فأَراد أَنْ يُضْجعَهُ ، ويقصدَ بحديدة لِذَبْحِهِ ، ويكونُ التسليمُ منهما ، ويأْمُرُهُ بالكَبش فيذبَحَهُ ، ولو أَرادَ اللّهُ ذَبْحَ ابنِهِ لَذَبَحَهُ لا محالةَ لأَنَّه تعالى لا يُريدُ شيئاً إِلاَّ تَمَّ ، ولو أَرادَ ذَبْحَ ابنِهِ لَذَبَحَهُ ، لا محالةَ ، ولأَخبره انه ذابِحُهُ لا محالةَ ، لأَنه لا يُخْبِرُ بشيءٍ أَنه كائنٌ ثم لا يكونُ ، ولا يجوز أَن يخبر انه يكونُ إِلاَّ كان .

كما أَمَرَ اللّهُ تعالى مُحَمَّداً صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أَن يَصْفَحُوا عن المشركين ، ولا يقاتِلُوهُمْ ، ويَصْبِرُوا على أَذاهُمُ ، وهو يُريدُ أَن يصفحوا عنهم ، إِلى أَنْ يَقْوى الإِسلامُ ، ويُهاجِرُوا إِلى المدينةِ ، وهو يُريدُ إِذا هاجروا ، وقويَ المسلمون أَنْ يأْمُرَهُمْ بالقتال ، وكلاهُما لم يزالا مُراداً له .

أَرادَ أَنْ يُوجِبُ هذا إِلى وقْتٍ ، ثم يوجِبَ الآخَرَ بَدَلاً منه ، ويأْمُرَ بِتَرْكِ الأَوَّلِ كما أَمَرَهُم بالصلاةِ إِلى بيتِ المقدِسِ ، ثم أَمَرَهُم أَن يتحوَّلُوا إِلى الكعبةِ ، وذلك كثيرٌ في أَحكامِهِ ، أَبْدَلَ أَحَدَهُما بَدَلاً من الآخَرِ في وقْتَيْنِ مختلِفَيْنِ ، وكلاهُما كان مُريداً له .

هذا يُريدُ أَن يأَمُرَ به إِلى وقتٍ ، وهذا يُريد أَن يأَمر به بدلاً منه بعد تَقَضِّي الوقت ، ويأَمر بِتَرْكِ الأَوّل من غيرِ بدءٍ ولا جَهْلٍ .

وكذلك كُلُّ حُكْمٍ نَسَخَهُ حُكْمٌ آخَرُ ، فإِنما جُعِلَ الثاني بدلاً من الأَول ، وذلك موجودٌ بين العباد ، على تقدُّمِ الإِرادةِ منهم فيما أَمروا به أَولاً ، ثم نَهَوا عنه ، وأَمروا بغيره من غير بَدْءٍ ولا جَهْلٍ ، وذلكَ كأَن يَأْمُرَ الرجُلُ غُلامَهُ ليعمَلَ في أَرضِهِ وهو يُريدُ أَن يعملَ فيها وقْتَ الزراعة ، ثم يصرفَهُ بعد ذلك إِلى خِدْمَتِهِ في مَنْزِلِهِ ، وكِلاَهُما قد تَقَدَّمَتْ به الإِرادةُ منه ، ويأَمُرُهُ أَن يَخْرُجَ معه إِلى قريتِهِ ، وهو يُريدُ إِذَا بَلَغَ القَرية أَن يأَمُرَهُ بالرجوعِ إِلى أَهله ؛ يقوم بحوائجِهِمْ ، ويكتفي هو بخدمةِ نَفْسِهِ في قريتِهِ ، أَو يُريدُ أَن يَرُدَّهُ إِلى قريتِهِ ، أَو مدينتِهِ ، إِلى عَمَلٍ يَعْمَلُهُ له من بناءٍ أَو عملٍ يَكْسبُ به ، أَو غير ذلك حتى لربَّما قالَ له : إِعملْ كذا وكذا ، إِلى الظُهر أَو إِلى رأَس الشهر واذا انسلخ (١٠٥) الشَهْرُ ، فَدَعِ العَمَل ، واعمل كذا وكذا لعملٍ آخَرَ فتتَقَدَّمَ منه الأَمْرُ

بالعَمَلَيْنِ جميعاً في وقتَيْنِ مختلِفَيْنِ . أَو يأْمُرُهُ بِأَحَدِ العَمَلَيْنِ في وقتٍ وهو كذلك يُريدُ أَن يأْمُرَهُ بالعملِ الآخَرِ بعد انقِضاءِ الثاني ، فيكونُ الآخرُ بدَلاً من الأَوّلِ ، يبدأُ بأَحدِهِما إلى الوقتِ ، وقد أَمَرهُ أَنْ يَدَعَهُ إذا جاءَ الوقتُ ، ويعمل الآخَرَ بدلاً من الأَوّلِ من غير بَدْءٍ منه ، ولا كَذِبٍ ، ولا جَهْلٍ ، فكيفَ بالإِلهِ الواحدِ القَهّارِ ، الذي يَعْلَمُ عواقِبَ الأُمورِ كُلِّهـــا ، ولا تَبْدُو له البَدَاواتُ ، ولاَ تَحِلُّ به الحَوَادِثُ . ولاتعتقِبُهُ الزيادةُ والنُقْصان .

القول بخلق القرآن :

ولقد جامَعَنا [1] قَوْمٌ من أَهْلِ الضَلاَلِ على ذَلِكَ ، لئلاَّ يَقَعَ النَسْخُ من الله عز وجل في أَخباره ، ومِدَحِهِ ، وانما يقعُ النسخُ في أَحكامه ، ثم جَهِلُوا ، إذ أَرادوا ان يقوّوا قولَهُمْ بأَنّ كلامَ الله مخلوقٌ ، فزعموا أَنّ اللهَ عزَّ وجلّ قد ينسخ كلامَهُ بِكلامِهِ فيما أَمَرَ به ، ونهى

---

(١) لسان العرب ٤٠٨/٩ : جامعه على الأمر : مالأه عليه ، واجتمع معه .

عنه ، وكان مما استدلُّوا به ، أنه كلامٌ مخلوقٌ انه يُنْسَخُ بعضُهُ ببعضٍ .

قالوا : ولو لم يَكُنْ مخلوقاً ، ما جاز عليه النسخُ ولا التبديلُ .

وقد جهلوا المعنى ، وجاروا عن الحَقِّ ، لأَنَّ اللهَ جَلَّ وعَزَّ لم ينسخ كلامَهُ بكلامِهِ ، وإنما ينسخُ مأموراً به بمأمور به ، فأَبْدَلَ أَحَدَهُما مكانَ الآخَر وكلاهُما كلامُهُ . وانما ينسخ كلامَهُ الأَوّلَ بكلامٍ منه (ثانٍ) الكاذبُ الراجعُ عَمَّا قال ، فأَما إذا كانا جميعاً منه فَهُمَا حَقٌّ وصِدْقٌ ، فانما أَمَرَهم بمأمورٍ أوجبه ، ثم رَفَعه ، وبدَّله بمأمورٍ آخَرَ أَلزمهُمُ القِيامَ به ، وكلاهُما كلامُهُ أَوْجَبَهُما في وَقْتَيْنِ مختلِفَيْنِ . فالله جَلَّ وعَزَّ لم يأْمُرِ العِبادَ أَنْ يفعلوا كلامَهُ ، ثم يأْمُرُهم أَن يفعلوا كلاماً له ثانياً بَدَلاً من الأَوّلِ . وانما أَمرهم بعملٍ يعملونَهُ ، ثم بَدّلَ لهم عَمَلاً آخَرَ أَلزَمَهُمْ إياهُ ، ونسخَ الأَوّلَ ، وجعلَ الثانيَ مبدولاً به ، أَلم تسمع اللهَ عَزَّ وجَلَّ يقولُ : « لا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِهِ » [1]

(١) الانعام : ١١٥ ، الكهف : ٢٧ .

وقال « يُريدون أَن يُبَدِّلُوا كَلاَمَ الله » [1] لأَنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال لهم : « لن تَخْرُجُوا معي أَبداً » ولم يقل : إِنَّ الله حَرَّمَ عليكُمُ الخُروجَ معي ، ولم يَقُلْ « أَبداً » فيكونوا اذا أَرادوا الخُروجَ مع النبي صلى الله عليه وسلم أَرادوا أَن يَعْصُوا الله ، ولا يكونوا مُبَدِّلِيْن كلامَ الله ، ولكنَّ الله جل وعز أَمَر نبيَّهُ أَن يُخْبِرَهُمْ انهم لا يخرُجُون معه أَبداً ، ولا جائز أَن يخرجوا معه أَبداً ، لأَنَّ هذا القول من الله عز وجل خبر منه انه لا يدعُهُم يخرجُون مع نبيِّه عليه السَلاَمُ أَبَداً ، ولا يأَذنُ لهم في ذلك ، فلو خَرَجُوا ، كان ذلك تكذيباً لِخَبَرِ الله جَلَّ وعَزَّ ، ولو أَذنَ لهم اللهُ لكان هذا تبديلاً لكلامِهِ الأَوَّل ، وكان هذا كَذِبَاً ، وجُلَّ ربُّنَا وتعالى عن ذلك . فلمَّا سأَلوا النبيَّ عليه السلام ، ان يخرجوا معه ، وكان في خروجِهِم تكذيبُ خبرِ الله ، وتبديلٌ لكَلامِهِ ، قال الله جل ثناؤُه لنبيه عليه السلام لمَّا سأَلوا أَن يخرجوا معه : « يُريدونَ ان يُبَدِّلُوا كَلاَمَ اللهِ » [2] فدَلَّ اللهُ عز وجل بذلك أَنَّ في

---

(١) الفتح : ١٥ .

(٢) الفتح : ١٥ .

تبديلِ كلامِ الله إيجابَ الكَذِبِ ، واللهُ جَلَّ وعَزَّ لا يُبَدِّلُ كَلاَمَهُ ولا ينسخُ قَوْلَهُ ، وإنما ينسخُ فَرْضَهُ ، ويبدله بفرضٍ غيرِه ، وكلاهُما كَلاَمُهُ .

أَلا ترى ان كلَّ ما يُنْسَخ ، ويُبَدَّل ، فلا يَجوزُ فِعْلُه ، كالصلاةِ إلى بيتِ المقدس ، وبعضُهُ لا يجوزُ فِعْلُهُ على الإيجاب له ، كَقِيامِ اللَّيْلِ وغيره ، وكذلك الوصيةُ للوالِدَيْنِ ، ولمَنْ يَرِثُ لا يجوزُ أَن يُنَفِذَ الوصيَّةَ لهم .

والكلامُ الذي نهاهُمْ به أَوّلاً ، كَلامٌ له ، واجبٌ على العبادِ أَنْ يؤمنوا به أَنَّه حَقٌّ ، وأَنه من القرآنِ ، مَنْ كَفَرَ به فهو كافِرٌ ، وَمَنْ آمَنَ به فهو مُؤْمِنٌ ، وأَنَّ عليهم أَلاَّ يَخْرُجُوا جميعاً من حِفْظِهِ ، حتى يكونَ بعضُهم يحفظُهُ ، ولا يجوزُ له أَن يُسْقَطَ من القرآن ، فلا يُقرأُ ولا يُتْلى ، وأَنما سقط فَرْضُ الآية ، وثبَتَ نصُّها ، والنص حَقٌّ وصِدْقٌ ، وانما بَطَلَ الفَرْضُ ، ولم يَبْطُلِ النَصُّ ، وانما سقطت الوصيةُ أَن يَنْفُذَ ، فتجوز ، فسقطَ وُجُوبُ الفرضِ من الآية ـ وثَبَتَ نصُّها ـ : أَن تَجِبَ الوصيةُ للوالِدَيْنِ ونحْوِهَا ، ولم يسقط كلامُهُ بذلك أَنه حقٌّ

وصِدْقٌ ، وانه ليس بين الآية الناسخةِ للمأمورِ به ، وبين الآية التي نسخ منها المأمور به ، فَرقان في الايمان بهما ، والكفر بهما ، وانهما جميعاً حقٌّ وصدقٌ وانما افترقَ الحُكْمَانِ بهما .

فمن زعم أَنَّ الحُكْمَ (١٠٦) المنسوخَ واجب بعد علم ، فقد كفر . وان الثاني المُبدل به ليس بواجبٍ فقد كفرَ ، فجائزٌ أَن يُقَال قد أَبطلَ اللهُ الصلاةَ إلى بيتِ المقدس ، ولا يقال قد أَبطل اللهُ قولَهُ ، فيكونُ كلامُ الله باطلاً .

فالكلامُ الذي نُسخَ به حَقٌّ ، والكلامُ المنسوخُ الحُكْمُ منه حَقٌّ ، فيقال قد أَبطل الله جل وعز وجوبَ الوصيةِ ، وأَبطل اللهُ الصلاةَ إلى بيت المقدس ، أَن يكون واجباً الآن ، وأَبطل قِيامَ الليلِ أَنْ يكونَ واجباً .

ولا يقولُ مؤمِنٌ : قد أَبطل عز وجل الآياتِ التي كانت هذه الأَحكامُ كلُّها فيها واجباتٌ ، فيكونُ كلاماً باطلا . فالكلامُ الذي نُسِخَ منه الحُكْمُ ، والكلامُ الذي ثبت به الحكمُ الثاني ؛ كلامُ الله حقٌّ وصدقٌ ، لا باطِلَ ولا كَذِبَ ، وأَحَدُ الحُكْمَيْنِ سَاقطٌ ، ومَنْ دَانَ به بعد علم

فقد دانَ بالضَلالِ والبَاطِلِ ؛ أَن يكون واجِباً على عِبَادِ الله .

وكان مما احتجُّوا علينا به في ذلك ، قولُ الله جَلَّ مِنْ قائل : « ما نَنْسخُ من آيةٍ او نُنْسِها نأَتِ بخيرٍ منها أَو مِثْلَها »[1] .

فقالوا : ما جازَ أَن يكونَ بعضُهُ خَيْراً من بعضٍ ، فهو مَخْلُوقٌ ، لأَنه اذا كان شيءٌ هو خَيْرٌ من شيءٍ ، فقد فَضَلَهُ ، والآخَرُ منقوصَ ، وقال : « او مثلها » قالوا وما كان له مِثْلٌ ، فهو مَخْلُوقٌ ، لأَنَّ المثل يشتبهُ بمثله ، وما جاز أَن يأَتي به الله جل وعز فيحدثُهُ فهو مخلوقٌ ، وكُلُّ مخلوقٍ فَمِثْلُهُ مخلوقٌ ، لأَنَّ حُكْمَ المِثْلِ حُكْمُ مِثْلِهِ .

وجهلوا التأَويلَ !! انما قولُهُ جل وعز « نأَتِ بخيرٍ منها » بخيرٍ بمأَمورٍ به[2] ، هو أَوسعُ لكم وأَخفُّ عليكم ، او مثلُهُ في الخِفةِ والسَعَةِ . وكذلك قولُهُ عزَّ وجَلَّ : « مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ فله خيرٌ منها »[3] لا يعني خيراً من التَوْحِيدِ ،

---

(١) البقرة : ١٠٦ .

(٢) مجاز القرآن ١ / ٥٠ : أي نأتيك منها بخير .

(٣) القصص : ٨٤ ، النحل ٨٩ .

وانما يعني له منها خَيْرٌ ، كما يقال : الدراهم خَيْرٌ من المالِ ، لا يُريدُ أَفضَلَ من المال ، وانما يُريدُ : الدراهم من المالِ خَيْرٌ ، فإن قالوا بِظَاهِرِ التِلاوة ، فقد جامعونا انَّ اللهَ جلَّ وعَزَّ (عندما) أمر بالوصيةِ للوالدين؛ أمرَ بمأمورٍ به أوسع من الأَول ، وجامعونا أَنَّ اللهَ جَلَّ وعَزَّ ، لمَّا أَمر بالمالِ لورثةٍ معلومِيْنَ ، فالمأمورُ به الآخرُ أَوسعُ ، وما نَسَخَ اللهَ جل وعز من تَقْدِمَةِ النَجْوى بين يدي كلامهم لرسولِهِ عليه السلام ، وما نسخ من قيام الليل ، ونحو ذلك ...

ومما يَدُلُّ على بُطْلانِ قولِهِمْ أَنَّ قائلا لو قال : تَرْكُ قيامِ الليل أَن يكونَ علينا واجباً ، هو أَرْفَقُ بنا ، وأَوسعُ لنا من قِبَلِ اتساعِهِ لنا ، كان صادقا . ولو قال إِنَّ قوله « فاقرؤوا ما تيسر منه »[1] خيرٌ من قوله « يا أَيها المُزَّمِّلُ؛ قُمِ اللَيْلَ إِلاَّ قَلِيلا »[2]. فأَرَاد أَنَّ الكلامَ الآخَرَ من اللهِ جَلَّ ذِكْرُهُ ، خَيْرٌ وأَفْضَلُ ، والكلامُ الأَوّلُ انقصُ وأَدْنى ، كان كافراً باللهِ عَزَّ وجَلَّ ، إِذ ازدرى كَلاَمَ اللهِ ، وزعم أَنه منقوصٌ دَنِيٌّ .

---

(١) المزمل : ٢٠ . (٢) المزمل : ١ .

مع المعتزلة : دفاع والزامات

دفاع عن أهل السنة

دعوى المعتزلة

وقد ادّعى علينا بعضُ أَهْلِ البِدَعِ من المعتزلةِ ، أَنَّا نَزْعُمُ أَنَّ اللهَ عَزَّ وجلَّ ينسخُ أَخْبارَهُ ، وصفاتِهِ ، فقالوا : إِنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ ، أَخبرَ أَنه يعذِّبُ القَاتِلَ ، والزانيَ ، وشارِبَ الخَمْرِ ، وآكِلَ مالِ اليتيمِ ظُلماً ولم يَستَثْنِ منهم أَحداً ، فزعمتُم أَنه جائزٌ أَن يغفرَ اللهُ لبعضِ أَهلِ الكبائِرِ ، وأَنه لا يغفرُ لبعضِهم .

وقال بعضُهُم إِنه يَغْفرُ لهم كُلِّهِمْ .

وأَخبر أَنَّ الفُجَّارَ لاَ يَغيبونَ عن النارِ ، فزعمْتُم أَنَّ اللهَ جَلَّ ذِكْرُهُ يُخْرِجُ قوماً من الفُجَّارِ المقِرِّيْنَ ، بعدما احتَرقُوا ، ويُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ .

وزعم بعضُكُمْ ، أَنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ يُخْرِجُ كُلَّ فاجِرٍ مُقِرٍّ قاتِلٍ كان ، او زانٍ ، أَو سارقٍ ، أَو مَنْ أَتى بأَعْظَمِ الذُنوبِ ، إِلاَّ بالكُفْرِ باللهِ جَلَّ ثناؤُهُ .

وزعمتم أَنَّ اللهَ جَلَّ وَعزَّ نَسَخَ خَبَرَهُ ، وأَخْلَفَ وعيدَهُ . وأَكذَبَ قولَهُ ، في بعضِ ما أَخبر أَنه معذِّبُهُ ، وبعضِ مَنْ أَخبر أَنَّه مُخَلَّدٌ في النار ، وهذا تكذيبٌ وخُلْفٌ من القول .

وكذلكَ قالوا في الصِفاتِ ؛ قالوا : زعمتم أَنَّ اللهَ جلَّ وعزَّ امتَدَحَ بأَنَّ الأَبْصار لا تُدركُهُ . ثم زعمتُم أَنَّ هذه المِدحةَ تُبَدَّلُ في الاخرةِ ، فتراهُ العُيون ، وهذا نَسْخُ المَدْح ، لأَنه امتَدَحَ بأَنَّ الأَبْصارَ لا تُدْركه ، ولم يَستثنِ في الدنيا ، فزعمتم أَنها تُدركُهُ في الآخِرة نظراً .

قالوا : ولو جازَ أَن يَغْفِرَ اللهُ لأَهْلِ الكبائرِ بعد ما قال ، إِنِّي معذِّبُهُمْ ، وان جزاءَهم النارُ لَجَاز أَن يَغْفِرَ لأَهْلِ الكُفْر ، لأَنَّه كذلك قال إِني أُعذِّبُهُم ، وإِنَّ جَزَاءَهُمُ النارُ . ولو جَازَ أَن تَرَاهُ الأَبْصارُ بعدما نفى الرؤيةَ لَجَازَ في قولِه « وهو يُطْعِمْ ولا يُطْعَمُ » [1] أَن يطعِمَ في الآخِرة ولا يطعِمَ (١٠٧) في الدنيا ،

وكذلك قولُهُ : « لا تأْخُذُهُ سَنةٌ ولا نَوْمٌ » [2] لجاز أَن

---

(١) الانعام ١٤ . (٢) البقرة ٢٥٥ .

تـأَخُذَهُ السِنَةُ والنومُ في الآخِرةِ ، وقولُهُ « لا يخفى عليه شيءٌ » ، أَنَّه يخفى عليه في الآخِرةِ لا فُرْقَان بينَ ذَلِكَ – زعموا !!

في الوعد والوعيد :

وقال أبو عبدالله رحمه الله : وقد أَبْعَدُوا القِيَاسَ ، وادَّعَوْا علينا ما لم نَقُلْهُ مَعاذَ الله أَن نقول : إِنَّ أَخبارَ اللهَ وَمِدَحَهُ تُنْسَخُ ؛ وهو الصَادِقُ في كُلِّ حالٍ ، والكامِلُ لم يَزَلْ ، ولا يزولُ ، ولكنَّا نقولُ : إِنَّ لله جَلَّ ذِكْرُهُ أَخباراً عامَّةً ، وإِن اتَّفقَ ظاهِرُ تلاوتِها في العُمومِ ، فهو مختلِفٌ في معاني الخُصوصِ ، والعُموم .

فأَمّا ما ادَّعَوْا علينا في الوعيد ، فهذه دعوى باطل .

ولكنَّ الله جَلَّ وعَزَّ أَوجَبَ لآكِلِ مالِ اليتيمِ ، والزاني ، والسارقِ ، وشاربِ الخَمْرِ ، والقاتِلِ ، وهو يُريدُ أَنَّ ذلك عليهم أَجمعين واجِبٌ ، وأَنَّهم له مستحقُّون ، ولم يُرِدْ أَنْ يعذِّبَهُمْ أَجْمعِين ، ولو أَرادَ أَن يعذِّبَهُمْ أَجمعين ، فإِنْ أَرادَ أَن يعذِّبَ بعضَ مَن استوجَبَ ، فيعذِّبهُ بعدلِهِ ،

ويعفو عن بعضِ مَنْ وَجَبَ عليه ، فيعفو عنه بِفَضْلِ رحمتهِ لِزَلاَّتِهِ ، يقول : « إِنَّ الله لا يَغْفِرْ أَنْ يُشْرَكَ به ويغفِرُ ما دون ذلك لِمَنْ يَشاءُ » [1] .

فأَخبر أَنه لا مشيئةَ له في مَغْفَرةِ أَحَدٍ من المُشْرِكِينَ ، وله المشيئةُ فيما دونَ الشِرْكِ بالمَغْفِرَةِ عمن يشاءُ منهم ، فأَخبر انه لم يُرِدْ أَن يعذِّبَهُمْ كُلَّهُمْ ، وأَن يغفر لبعضِ مَنْ يشاءُ منهم .

وأَخبر أَنهم جميعاً مستحقون للعذابِ ، وأَنَّ له مشيئةً في بعضِ من استحَقَّ منهم العذابَ ، الذي وجب عليهم في حُكْمِهِ ، ولم يُعْلِمْنَا مَنْ يُغْفَرُ له ، فقطعنا بما قَطَعَ ، وأَيِسْنا مِنْ عَفْوِهِ عمنْ آيَسَنَا منهم من المغفرةِ للمُشْركين ، وأَوقفْنا ما أَوقفَ من عذابِ المستحقِّين من المؤمنين ، إِلاَّ أَنَّا نعلَمُ أَنه سيعذِّبُ بَعْضَهُم ، ولا يَكْذِبُ قولهُ ، لأَنَّه أَخبر أَنه يعذِّبُ ، وأَنَّ له مشيئةً فيهم ، فيمن يَشاءُ منهم أَن يغفِرَ له .

فكان ما أَخبر اللهُ جَلَّ وعزَّ به من عذابِ الموحِّدين

---

(١) النساء : ٤٨ .

خصوصاً ، لا عُموماً ، اذ أَخبر انه يَغْفِرُ لمن يشاءُ منهم ، وأَنَّ خَبَرَهُ أَنهم مستوجِبون عمومٌ .

وإِذا أَخْبَرَ أَنَّه له مشيئةٌ فيمكن مشيئتُهُ فيمن استوجَبَ العذابَ منهم .

وأما ما ادعوا به علينا ، فزعموا أَنه يَلْزَمُنَا أَن نَشُكَّ في عذابِ الكُفَّار ، فلا ندري يَغْفِرُ لبعضِهم ؟ لأَنَّه قال لليهودِ والنصاري « بل أَنتم بَشَرٌ ممَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يشاءُ ويعذِّبُ مَنْ يشاءُ » [1] .

فقالوا : قد استَثْنَى في هاتينِ الآيتينِ كما استَثْنى فيما دَونَ الشِرْكِ فإِنه يُقالُ لهم : أَبعدْتُمْ في القياسِ والتمْييز . إِنَّ الله جلَّ وعز لم يَقُلْ لليهودِ والنصارى « بل أَنتم بَشَرٌ ممن خلق يَغْفِرُ لمن يشاءُ » منكم ، فيَكُون قد استَثْنى بعضَهُمْ فيلزمُنا ذلك فلو قالَ ذلك ، كان يلزمُنا كما قلتم ، وكذلك قولُهُ عزَّ وجَلَّ « يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ » عمومٌ ، لم يَخُصّ قوماً بأَعيانِهِمْ فقد عرفْنا مَنْ يشاءُ مغفِرَتَهُ بعد عمومِ هذا الخَبَر ، بأَخبار خاصةً ؛ ولولا الأَخبارُ الخاصَّةُ

---

(١) المائدة : ١٨ .

بعد ذلِكَ لكان علينا أَن نَقِفَ حتَّى نعلَمَ مَنْ يَشاءُ عذابَهُ ، فلمَّا أَخبَرَنَا انه لا يَغْفِرُ لِمَنْ أَشْرَكَ ؛ قطعْنا بذلك .

وأَخبَرَنا أَنه يغفِرُ لِمَنْ يشاءُ (ممن) تَابَ ، قال تعالى : « وإِني لغفَّارٌ لمن تابَ وآمَنَ وعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى [1] وقال تعالى « ولله ما في السموات وما في الأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يشاءُ ويعذِّبُ مَنْ يشاءُ » [2] فقطَعْنا بذلك ، وعلِمْنا أَنه قد شَاءَ عَذَابَ الكَافِرِيْنَ ، وشاءَ مَغْفِرَةَ التائِبِيْنَ ، ولمّا أَرْخَى (كذا) مغفرتَهُ مَنْ يَشَاءُ من المُصِرِّيْنَ من الموحِّدِين ، وقفْنا ، ولم نَقْطَعْ ، وعلِمْنا أَنه يشاءُ أَن يَغْفِرَ لبعضِهِمْ ، وأَنه يعذِّبُ بعضَهُمْ ، إِذ أَخبر انه سيعذِّبُهُم إِلاَّ مَنْ يشاءُ مغفرتَهُ منهم ، فجعل مشيئتَهُ في مغفرةِ بعضِهِم خصوصاً ، والآخرونَ معذَّبونَ بقولِهِ : أُعذِّبُ وأَغفِرُ ، لِمَنْ شئتُ منهم . فعلِمْنا أَنَّ من يَشَاءُ اللهُ مِنْ خَلْقِهِ بعد قولِه « يغفر لمن يشاءُ ويعذب من يشاءُ » [3] أَن يعذِّبَهُمْ ، وأَن يغفِرَ لَهم . ولم نَعْلَمْ مَنْ يغفرُ له مِنَ المُصِرِّيْنَ من الموحِّدِين ،

---

(١) طه : ٨٢ .
(٢) آل عمران : ١٢٩ .
(٣) آل عمران ١٢٩ .

ولا مَنْ يعذِّبُ مِنْهُمْ إلاَّ أَنَّه سَيُعَذِّبُ بعضَهُمْ ، ويغفِرُ لمن يَشاءُ منهم .

وأما قولهم لا يخلو من ثلاث خلال :

إِمَّا أَن يكونَ قال أُعذِّبُهُم ، وهو يعلمُ انه سيعذِّبُهُم .

أَو كان لا يَعْلَمُ من يعذِّبُهُ منهم .

أَو كان يعْلَمُ أَنه يعذِّبُهُمْ .

فالشَّكُّ في عِلْمِ عذابِهِم كُفْرٌ .

وقولُهُ أُعَذِّبُهُمْ وهو يَعْلَمُ (١٠٨) أَنه لا يعذِّبُهُمْ كَذِبٌ .

فقد جامَعْنَاهُمْ على ذلك إلاَّ الفَصْلَ الأَوَّلَ ، وهو قولُهُم إِنَّه قال ذلك ، وهو يعلَمُ أَنه يعذِّبُهُم .

فجوابنا أَنه قال ذلك وهو يَعْلَمُ أَنه سيعذِّبُ بَعْضَهُمْ ، ويعفُو عمن شاءَ أَن يعفُوَ عنه . وكذلك استَثْنى لِما عَلِمَ ، ولا يلحَقُهُ في ذلك شَكٌّ ، ولا كَذِبٌ ، ولا خُلْفٌ ، والآيةُ في الاستثناءِ مَنْ شاءَ أَن يغفِرَ له من الموحِّدين ، لا يخلُو من أَنْ تكونَ الآيةُ من أَوَّلِها إلى آخِرِها في المُصِرِّينَ أَو في التَّائِبِينَ ، أَو هِيَ مخصَّصةٌ . أَوَّلُها وآخِرُها في التَّائِبِينَ ،

فهذا لا يقولُهُ أَحَدٌ ؛ انه (من) تابَ من الشِرْكِ (لم) يَغْفِرْ له ، ومن تَابَ من الذنوبِ غَفَرَ لمن شاءَ مِنْهُم ، وان كانت في المُصَرِّيْنَ فهذا عندنا هو الحَقُّ لأَنَّ اللهَ جلّ ذِكْرُهُ لا يَغْفِرُ لِمَنْ مات مصرّاً على الشِّرك ، ويغفرُ لمن يشاءُ من مات مصراً على الذُنوبِ مع التوحيدِ . وان كان أَوَّلُها في بَعض دونَ بعضٍ ، فهذا على مَعَانِي شَتَّى ، وآخِرُها في التائبينِ ، فهذا التحَكُّمُ في الدَّعْوى ، لأَنهم جَامَعُونا على أَنَّ أَوَّلَها في المصِرِّيْنَ . وقولُهُم إِنَّ أَوّلَهَا في المصرين على ما ابْتَدَأَهَا اللهُ عَزَّ وجَلَّ أَو يأْتوا بِبُرْهانٍ على قولِهِمْ ؛

وقولُهُم إِنَّ آخِرَهَا في التائِبيْنَ ، فلو كان كذلك لم يَكُنِ التائِبونَ مَغْفوراً لهم أَجمعِين ، إِنَّما الغُفْران (ان) يَغْفِرَ لبعضِهم ؛ لِمَنْ شاءَ منهم ، لأَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ استَثْنى خصوصاً ، ولم يَعُمَّ ، وقد عَمَّتْهَا الأَخبار عنه أَنه يَغْفِرُ للتَّائِبِيْنَ جميعاً ، ولم يَخُصّ أَحداً منهم بالمغفرةِ دون أَحدٍ ، كما خَصَّ فيما دون الشِرْكِ انه يَغْفِرُ ما دونَ ذلك لمن يشاءُ .

فإِنْ أَبوا في آياتِ الوعَيدِ إِلاَّ ظاهِرَ التِّلاوةِ ؛ أَنَّ اللهَ عزّ وجَلَّ أَخبر انه معذِّبٌ جميعَ مَنْ فَعَلَ ذلك ، وكُلُّ مَن

فعله منهم ، فهو في ظاهرِ التِّلاوة معذَّبٌ ، وأَنه إِنما استَثْنى في آيةِ الاستثناءِ مَنْ يأَتي دون غيرهم (كذا) وأَنه مَنْ أَخبر أَنه معذِّبُهُ من الموحدين فالخَبَرُ فيه عَامٌّ ، ولم يُرِدْ بعضاً دون بعضٍ ، فعليهم في الظاهرِ مثلُ ذلك إِنْ كان أَراد أَن يعذِّبَ من قال : إِنِّي أُعذِّبُهُ على العُمُوم ، ولم يُرْد بعضاً دون بَعْضٍ ، فقد قال الله جَلَّ وعَزَّ : « ومَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسولَهُ فإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّم »[1] وقال : « واللهُ لا يُحِبُّ الظالمين [2] » وقال : « إِنَّ الظالمِيْنَ في عذابٍ مُقيم »[3] وقال : « وَمَنْ جاءَ بالسِّيئةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ في النَّارِ »[4] .

فكُلُّ مَنْ جاء بسيئةٍ ، أَو ظَلَم نفسَهُ بذنْبٍ صغيرٍ ، ومات مُصِرّاً عليه ، أَو عَصَى بذنبٍ كبيرٍ ، وتابَ منه ، فَهُوَ في النار ، لأَنه لم يَسْتَثْنِ في هذه الآي تائباً من مُصِرٍّ ، لا من كبيرة ، ولا من صغيرةٍ .

فان قالوا : إِنه لا يُريدُ التائِبينَ ، ولا المُجْتَنِبينَ للكبائِرِ ، ولا النبيِّيْنَ ، قيل لهم : تركْتُمْ ظاهِرَ التِّلاوةِ .

---

(١) الجن : ٢٣ .
(٢) آل عمران : ٥٧ ، ١٤٠ .
(٣) الشورى : ٤٥ .
(٤) النحل : ٩٠ .

وكذلك قلنا : نحن لم نُرِدْ مَنْ شاءَ أَن يغفِرَ له من أَهْلِ الكبائر والصغائرِ المُصِرِّيْنَ .

وكذلك قولُهُ عزَّ وجَلَّ « كُلَّما أُلْقِيَ فيها فوجٌ سأَلهم خزنتُهَا »[1] إلى قوله « فكذَّبْنَا وقُلنا ما نَزَّل اللهُ مِنْ شيءٍ[2] ».

وكُلُّ مَنْ دَخَلَ النَارَ ، فقد كَذَّبَ بما أَنزلَ اللهُ جَلَّ ثناؤُهُ .

وقالوا : مَا أَنزلَ اللهُ على بَشَرٍ من شَيْءٍ ، فلن يَدْخُلَ النارَ أَبداً (كذا) على قول مَنْ حَمَلَ الآيةَ على ظاهِرها ، إلاَّ مَنْ قال : ما أَنزل اللهُ على بَشَرٍ مِنْ شيءٍ ، وَكَذَّبَ النُذُرَ ، وأَنه لا يدخُلُها أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الكبائرِ المُقِرِّيْنَ باللهِ ورسولِهِ ، فإِنْ قالوا ذلك ، ضادُّوا قولَهُمْ ، وكَذَّبوا اللهَ تعالى فِيما سِوى ذلك من الأَخْبار .

وإِنْ قالوا إِنَّما أَراد المكذِّبين خاصّةً ، قُلنا لهم : هذا أَبْيَنُ في العُموم من الآياتِ الموجِبَاتِ للموحِّدين على الذنوب النارَ لأَنه قال : « كلما أُلْقِيَ فيها فوجٌ »[3] فَعَمَّ كُلَّ فَوْجٍ ، يُلْقَى فيها ، وكذلك قولُهُ « لا يصلاها

(١) الملك : ٨ . (٢) الملك : ٩ (٣) الملك : ٨ .

إِلاَّ الأَشْقَى الذي كَذَّبَ وتولَّ » [1] وقد نفى أَنْ يَصْلاها إِلاَّ مَنْ كَذَّبَ وتَوَلَّ . وأَوجَبَ أَنَّ مَنْ صَدَّقَ لا يدخُلُها وإِنْ أَتى بِكُلِّ ذَنْبٍ ، لأَنِ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ نفى أَنْ يَصْلاَها إِلاَّ من كَذَّب وتولى .

فإِنْ قالوا : إِنَّما عنى به باباً من أَبْوابِها دون غيرِهِ من الأَبْواب .

قيل لهم : فهذا على غَيْر ظاهِرِه ، كما قُلْتُم في الآياتِ الموجِبات لمن أَذْنَبَ من أَهلِ التوحيد ، وقد قال جَلَّ وعَزَّ : « مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ منها ، وهم مِنْ فَزَعٍ يومئذٍ آمِنُون » [2] وقال جَلَّ مِنْ قائل : « واللهُ يُحِبُّ المُحْسِنِين » [3] وقال : (١٠٩) « إِنَّا لا نُضيعُ أَجْرَ مَنْ أَحسنَ عَمَلاً » [4] ؛

وأحسنُ الأعمالِ التوحيدُ

فإِنْ قالوا : أَراد مَن اجتَنَبَ الكبائِرَ من الموحِّدِيْنَ .

---

(١) الليل ١٥ ، ١٦ . (٢) النمل : ٨٩ .
(٣) آل عمران ١٣٤ ، ١٤٨ ، المائدة : ٩٣ . (٤) الكهف ٣٠ .

قيل لهم : هذا غيرُ ظاهِرِ التلاوةِ[1]... فإنَّ اللهَ تعالى يقولُ « انما يتقبَّلُ الله من المتَّقين »[2].

قيل لهم : فَهَذا عليكم ، لأَنَّ كُلَّ مَن اتَّقى الشِرْكَ فقد وَقَعَ عليه اسمُ المُتَّقِيْنَ ، كما مَنْ فَجَرَ فَجْرَةً فقد وَقَعَ عليه اسمُ الفاجِرِيْنَ ، فقد لَزِمَكُمُ القَولُ بأَنَّ اللهَ تعالى ، يَنْسَخُ أَخبارَهُ ، لأَنَّا نقولُ : زعمتم في دعواكم علينا أَنَّ أَخبارَ اللهِ جل وعز تَتَنَاسَخُ لأَنه يقول : « إِنَّ الظالِمِيْنَ لهم عذابٌ مُقيمٌ »[3] « إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظالِمِيْنَ »[4] فَكُلُّ مَنْ عَصَى اللهَ من النبيِّينَ ، والصِّدّيْقِيْنَ ، وأَصحابِ الأَنبياءِ ، فقد ظَلَمَ نَفْسَهُ .

وقال موسى عليه السلام : « ربِّ إِني ظلمْتُ نفسي »[5] وقال يونُسُ عليه السلام : « إِني كُنْتُ من الظالمين »[6] . وقال آدمُ عليه السلام : « ربَّنا ظلمْنا أَنْفُسَنَا »[7] . وقال الله جل وعز « مَنْ يعمَلْ سُوءاً يُجْزَ به ولاَ يجِد لَهُ مِنْ دونِ

---

(١) هنا سقط ، ربما كان : فان قالوا إن الله تعالى يقول ...

(٢) المائدة : ٢٧ . (٣) آل عمران : ١٤٠ ، ٢٥٧ . (٤) الشورى : ٤٠

(٥) النمل : ٤٤ . (٦) الأنبياء : ٨٧ . (٧) الأعراف : ٢٣ .

الله وَلِيّاً ولا نَصِيرا »[1] ومَنْ عَصَى اللهَ ، فقد عمِلَ سوءاً ، لأَنَّ المعصيةَ سوءٌ كائنةً ما كانت ، فإِنْ قالوا : لم يُرِدِ النبيين ، ولا التائبينَ ، ولا من اجتنَبَ الكبائِرَ ؛

قيل لهم : فلو عَارَضَكُمْ مُعَارِضٌ فقال : إِنَّما أَرادَ بقولِهِ إِلاَّ مَنْ تاب مِنْ أَصحابِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمُ ، دون غَيْرِهِمْ ، لأَنَّ الآيةَ عليهم أُنزلت فهي لهم خاصَةً ما كُنتم تردُّون عليه ؟ فإِنْ قالوا : أَراد كُلَّ تائبٍ . قيل لهم : يقولُ لكم كذلك أَراد كُلَّ مَنْ أَذْنَبَ ذنباً دون الشْركِ ، مُصرّاً كان أَو غَيْرهُ ، **ويقال لهم** : أَرأَيتم لو قال لكم قائل : إِنَّ قولَهُ « إِن تَجْتَنِبوا كَبَائِرَ ما تُنْهَوْنَ عنه »[2] ؟ إِنما أَرادَ به مَن اجْتَنَبَهَا ، فلم يَعْمَلْها قَطُّ ؛ يُريدُ مَنْ لَم يَكُنْ له صَبْوةٌ ، واحْتَجّ بِظَاهِرِ التِّلاوة عَلى الذي يَحْتَجُّونَ عليه .

فإِن قالوا : قد استَثْنى مَنْ تاب . قِيل لهم : وكذلك قد استَثْنى ما دون الشِرْكِ مِنَ الذُّنوبِ ، فقد ذهبْتُم إِلى ما خصّ دون مَا عَمَّ .

---

(١) النساء : ١٢٣ . (٢) النساء : ٣١ .

ولو قال لكم قائل : بل إنما أَرادَ به مَنْ لم يرتَكِبْ كَبيرةً قَطُّ ، فإن كانت منه كبيرةٌ ، ثُمَّ تاب ، ثم لَقِيَهُ بالصَغائِرِ مُصِرّاً عليها ، غَفَرَ له ما تابَ منه من الكبائرِ ، كما قال تعالى : « وإني لغفَّارٌ لِمَنْ تابَ وآمَنَ وَعَمِلَ صالحاً » (١) ، وأَخَذَهُ بالصَّغائِرِ ، لأَنه إنما أراد أَن يغفِرَ الصغائِرَ اذا لم يَتُبْ منها ، ممن اجتنبَ الكَبَائِرَ ، فلم يَأْتِها قطُّ ، (فمن) قال بِظَاهِرِ الآيَتَيْنِ أَوجَبَ المَغْفِرَةَ لَمن لَقِيَهُ مُصِرّاً عليها ، وهذا ظَاهِرُ الآيَتَيْنِ . فإنْ قالوا : أَراد منَ اجتنَبَ الكبائِرَ بالتَوْبةِ ، ومن لم يكن له صغيرةٌ ، قيل : إنَّ ظَاهِرَ الآيةِ إنما هو على الاجْتِنابِ ، وهو أَلاَّ يكونَ أَتاها قَطُّ ، فقد تركْتُمْ ظاهِرَ التِّلاوةِ ، والعُمومِ ، فإنْ كان مَنْ رجَا لمن استثنى الله جَلَّ ذِكْرُهُ مشيئةَ مغفرتِهِ ، قال بتَنَاسُخِ الأَخْبار فقد قلتم بتَنَاسُخِ الأَخبار ، وأَنتم عِبْتُم تَرْكَ ظاهِرِ التلاوة في الآياتِ الموجباتِ على الكبائِرِ لأَهل التوحيد (النار) ، وتركتم ظاهِرَ الآيةِ في استثناءِ كُلِّ ما دونَ الشِرْكِ من الذُنُوبِ ، فزعَمْتُمْ أَنه أَرادَ التائِبِيْنَ مِمَنْ أَخطأَ مِمَنْ قال بمثلِ ما عابَ على غَيْرِهِ ، فقال :

(١) طه : ٨٢ .

يَغْفِرُ لبعضِهم ، فقلتم : يَغْفِر لِكُلِّهِمْ ، هو ظاهِرُ الاستِثْنَاءِ لِمَنْ شاءَ ، فَخَصَّ ولم يَعُمَّ فاحكُمُوا على أَنْفُسِكُمْ أنكم تقولون بتناسُخِ الأَخبار .

وقد قال بعضُ الامّةِ بغير قولِنا ، وقولِكُمْ ، قالوا : إنما أَرَادَ بالوَعيدِ على الكَبَائِرِ (المشركين) ولم يُرِدِ المؤمنين ، لأَنَّ المؤمنينَ مَغْفورٌ لهم ، لأَنه يقُول : « ومن يؤمِنْ بربِّهِ فلا يخافَ بَخْساً ولا رَهَقاً » [1] وقال عز وجل : « وبشِّرِ المؤمنينَ بأَنَّ لهم مِنَ الله فَضْلاً كبيراً » [2] وقال عَزَّ وجَلَّ : « والذينِ آمنوا باللهِ ورُسُله أَولئكَ هم الصِّدِّيْقونَ والشُّهَداءُ عند رَبِّهِمْ » [3] .

فكل من أقر فقد آمن .

وقولُكُم إذا أَتَى كَبيرةً فليس بمؤمنٍ دَعْوى منكم ، لا بُرْهَانَ لَكُمْ عليها . وقد قَالَتِ الخَوَارِجْ إنَّه إنما أَرادَ به مَنْ أَتَى كَبيرةً فهو كَافِرٌ ، فما دعواكم إلاَّ كَدَعْوَاهُمْ ، أَو تَرجعونَ جَميعاً إلى قولِ أَهْلِ الحَقِّ فتَقْطَعُونَ بما قَطَعَ اللهُ جَلَّ وعَزَّ من عذابٍ للجاحِدِين ، ومغفرةٍ للتائِبين ،

---

(١) الجن : ١٣ . (٢) الأحزاب : ٤٧ . (٣) الحديد : ١٩ .

والوُقُوف عندَ مَنِ استَثْنَى من الموحِّدِين ، فيما دون الشِّرْكِ ، وإلاَّ كُنْتُم مُدَّعِيْنَ مُبْطِلِيْنَ ، ونحن نسأَلُكُم عن معنى قولكم حتى نُقَرِّرَكُمْ بأَنَّ قولَكُم خلافُ الكتابِ والسنةِ ، وإِجْماع الامة ، وإِجماعكم معهم .

امتناع الخوف والرجاء :

فنقولُ لكم : أَرأَيتُم يخلُو العِبادُ أَجمعونَ من أَنْ يكونَ لا ينفكُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَن يكونَ صاحِبَ كبيرةٍ ، أَو صَاحِبَ صغيرةٍ مُجْتَنِباً للكبائر ؟ فإِنْ (١١٠) قالوا لا ، قلنا : فَمَنْ كان منهم صاحبَ كبيرةٍ هل يَجِبُ عليه واجبٌ أَن يعلَمَ أَنَّه إِنْ ماتَ عليها ، ولم يَتُبْ ، أَنَّه في النارِ لا مَحَالَةَ؟. (فإِن) قالوا كذلك يَجِبُ عليه. قيل لَهُمْ : هل يَجِبُ عليه أَن يَخَافَ اللهَ عز وجل إِنْ مات عليها أَن يعذِّبَهُ بعدَ موتِهِ ؟ (فإِن) قالوا نعم. قلنا : إِنما الخَوفُ على الشَّكِّ ، فأَمّا مَنْ عَلِمَ أَنه معذَّبٌ لا مَحالَةَ ، فلا مَعْنَى لخوفِهِ لأَنَّهُ مُستيقِنٌ بالعذاب لا شَكَّ فيه ، فكيف يكونُ خائفاً أَن يعذَّبَ وهو مُستيقِنٌ بالعَذَابِ إِنْ مات على ذَلِكَ ؟

ولو جَازَ له ذَلِكَ لَجازَ أَنْ يقولوا : إِنَّا نَخَافُ أَن يعذِّبَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ فِرْعونَ وهامانَ . قالوا لا يجوزُ ذلك لأَنَّا مُستيقِنونَ بعذابِ فِرْعَوْنَ وهَامَانَ .

وقيل : يجوزُ أَن يقولوا : إِنْ ماتَ الكافِرُ مُصِرّاً ، خِفْنا عليه العَذَابَ ، فإِن قالوا : لا يَجُوزُ لأَنَّا مُستيقِنونَ ذلك ، قيل لهم : فَكَذَلِكَ صَاحِبُ الكبيرةِ ، لا يَجُوزُ أَن يَخَافَ اللهَ عزّ وجلّ أَن يعذِّبَهُ عليها ، فيكونُ شاكّاً في وَعيدِ اللهِ عليها فَيَكْفُر .

ويُقالُ لهم : هل يَجُوز أَن يرجُوَ أَنْ يَعْفُوَ اللهُ عنه ، وهو مُصِرٌّ عليها ولم يَتُبْ بَعْدُ ؟ فإِن قالوا لا ، لأَنَّ رجاءَهُ أَن يعفُوَ اللهُ عنه ولم يَتُبْ ؛ شَكٌّ في وعيدِ الله ، وصِدْقِهِ ، وَرَجَا أَن يُخْلِفَ وعْدَهُ ، ويَكْذِبَ قولَهُ . قيل لهم : فالخَوْفُ والرجاءُ من صاحِبِ الكَبِيرةِ ضَلالٌ إِذن .

ويُقالُ لهم : أَرأَيتُم إِنْ كان مُجْتنِباً الكبائِرَ هل يَجُوز أَن يخافَهُ ؟ قالوا : نعم عليه أَن يخافَ الله . قيل لهم : يخافُ اللهَ أَن يعذِّبَهُ وهو وَعَدَهُ المغفِرةَ والرِضَى والمَدْخَلَ الكَريمَ (و) هو الجَنَّةُ ؟

فإن قالوا : لا يَخَافُ أَن يعذِّبَهُ اللهُ إذا لَقِيَهُ بالصَّغائِرِ مجتنِباً للكَبائِرِ .

قلنا فلو جَوّزْتُمْ له الخَوْفَ أَنْ يعذِّبَهُ اللهُ وقد لَقِيَهُ مُجْتنِباً للكبائِرِ لكان خوفُهُ ضَلالاً ، لأَنَّ ذلك يُوجِبُ عليه الشَّكَّ في وَعْدِ الله تعالى ، ولا يأَمَنُ أَنْ يُخْلِفَ وَعْدَهُ ، ويكذب قوله . جلّ وعزّ عما يقولُ الظالمون عُلوّاً كبيراً .

ويقالُ لهم : يَجُوزُ أَنْ يرجُوَ أَنْ يُكَفِّرَ اللهُ عنه سَيئاتِهِ ، ويُدْخِلَهُ الجَنَّةَ ، وهو مُجْتَنِبٌ للكَبائِرِ والصَّغائِرِ ، ولو اجتنب الكبائِرَ والصَغائِرَ لكان مَغْفُوراً له فنسأَلُكُمْ (كذا) عنه ، ولو اجتنبَ الكبائِرَ ، وأَتى الصَغائِرَ أَو كان مُجْتنِباً للذنوب كُلِّها ، هل يَجُوزُ له أَن يرجُوَ العَفْوَ والمَغْفِرَةَ من الله جَلَّ وَعَز ؟

فإِنْ قالوا لا يَجِبُ ذَلِكَ عليه ، فقد زعموا أَنَّهُ لا يَنْبغي لأَحَدٍ أَن يَرْجُوَ المغفرةَ من الله ، لأَنَّ صاحِبَ الكبائِرِ عندهم مُؤْيِسٌ من رحمةِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ ، وصاحِبُ الصغائر ، وَمَنْ لم يأَتِ شيئاً من الذُنُوبِ مُوقِنٌ بمغفرةٍ ، فلا ينبغي لأَحدٍ أَن يخافَ الله ، ولا يَرْجُوهُ بزعْمِهِمْ ، فإِنْ قَالُوا :

لا ينبغي له أَن ييأَس من اللهِ ، قيل : إِنَّ الرجاءَ عندكم لا يكونُ إِلاَّ على الشَّكِّ ، لا على اليَقِيْنِ ، فكيف يَجُوزُ أَن يَرْجُوَ أَن يَغْفِرَ اللهُ له ، ويُدْخِلَهُ الجَنَّةَ ، وقد وَعَدَهُ ذلك ؟ لئن جازَ له ذلك ليجوزَنَّ لك أَن تَرْجُوَ اللهَ أَن يُدْخِلَ رُسُلَهُ الجَنَّةَ وأَن يُؤَاخِذَهُم بِذُنوبِ غيرِهِمْ ، ويَرْجُوَ أَن لا يعذِّبَهُمْ بِكُفْرِ غيرِهم من الكُفَّارِ ، ويَرْجُو أَن لا يعذِّبَكُمْ على الكُفْرِ به وأَنتم به مُؤْمِنونَ . ولو جاز ذلك لَجَازَ أَن يَرْجُوَ أَن يكونوا رجالاً ، وأَن يكونوا نِساءً ، وهذا كُلُّهُ غيرُ جَائِزٍ عندهم ، لأَنَّ الرجاءَ والخوفَ عندهم ، لا يكونُ إِلاَّ على الشَّكِّ ، ولا يكونُ على اليَقين ، فإِنْ قالوا : لا يجوزُ ذلك لأَنَّ اللهَ جَلَّ ذِكْرُهُ أَخْبَرَ أَنه مُدْخِلٌ رُسُلَهُ الجَنَّةَ ، وأَنه لا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى ، وأَنه لا يُجْزَى العِبادُ إِلاَّ بما كَسَبُوا ، ولا يُعَذِّبُهُمْ بما لم يُذْنِبُوا .

قيل لهم : وكذلك المُجْتَنِبُ للكَبَائِرِ لا يَجُوزُ له أَنْ يَرْجُوَ اللهَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ له وقد وَعَدَهُ ذلك ، بل يَسْتَيْقِنُ ذلك ، والموحِّدُون لا يَخْلو أَحدٌ منهم من أَن يكونَ مُجْتَنِباً

للكبائرِ ، أَو مُصِرّاً على بَعْضِ الكَبَائِرِ ، أَو دونَ ذلك ، أَوْ كِلاهُما ، فحرامٌ عليهم على قولِكُمُ الرجاءُ ، والخوف ، فحرامٌ على العِباد كُلِّهِمْ بزعْمِكُمْ الرجَاءُ والخوفُ لأَنَّهُ لا يَخْلُو أَحدٌ منهم من أَن يكونَ من إِحدي المنزِلَتَيْنِ . وهذا الخُروجُ من الكِتَابِ والسُّنَّةِ وإِجْماعِ الأَوّلين والآخرين !!

امتناع العفو :

وَكَذَلِكَ العَفْوُ في الآخِرَةِ لا يَجُوزُ أَنْ يكونَ مِنَ اللهِ جَلَّ ذِكْرُهُ على مَذْهَبِكُمْ لأَنه لا يَلْقَى اللهَ إِلاَّ صَاحِبُ كبيرةٍ ، قد أَوجَبَ في الدنيا أَلاَّ يَعْفُوَ عنه ، وذلك عندكم كُفْرٌ إِن اعتقَدَهُ لأَنَّ اللهَ جَلَّ ذِكْرُهُ ، قد آيَسَهُ من ذلك ؛

أَو صاحِبُ صغيرة غَيْرُ مُصِرٍّ (١١١) على كَبيرةٍ ، يُعَدُّ مُجْتنِباً للكبائر كُلِّها فقد عفى (عفا) اللهُ عنه في الدُّنْيا ، وقد مات يومَ ماتَ ، وهو مَغْفُورٌ له من أَهْلِ الجنة ، فلا يحتاجُ إِلى العَفْو والصَفْحِ عنه في القِيامةِ ، وقد فُعِلَ ذلك به في الدُّنْيا . وهو في الدنيا يوم مات ،

لأَنه قد لَقِيَ اللهَ عز وجل ولا ذَنْبَ له تَجِبُ عليه به العُقوبةُ في الآخرة . وإِنما العَفْوُ والصَفْحُ في الآخِرَةِ عمن لَقِيَهُ ، وهو مستحِقٌّ للعُقُوبَةِ ، فَصَفَحَ عنه تفضُّلاً عليه ، وذلك عندكم كَذِبٌ منه لو فَعَلَه. فأَمَّا مَنْ لَقِيَهُ ولا ذَنْبَ له يستوجِبُ به العُقوبةَ ، فلا يَحْتاجُ إِلى العَفْو ، والله عزَّ وجَلَّ لا يَلْقَاهُ في القيامةِ كافِرٌ ، ولا موحِّدٌ ، إِلاَّ صاحِب كَبيرةٍ ، او مُجْتَنِبٌ لها ، والعَفْوُ في القِيامةِ عن هَذَيْنِ ساقِطٌ ، فلا عَفْوَ للهِ جَلَّ ذِكْرُهُ في الآخِرَةِ على مَذْهَبِكُمْ عن أَحَدٍ .

وهذا الخُرُوجُ من الكتابِ والسنةِ ، وإِجْماعِ القرونِ من الأَوّلِيْن والآخِرين .

امتناع شفاعة النبي :

وكذلك شفاعةُ النبيِّ صلَّى الله عليه وسلم ، لا تَجُوزُ على قولِكُمْ في الآخِرَةِ ، لأَنَّ صاحِبَ الكبيرةِ ؛ اللهُ معذِّبُهُ لا مَحَالَةَ ، ولا يَسْتَحِلُّ النبيُّ صلى الله عليه وسلم أَن يَشْفَع فيه ، فيكونُ يطلُبُ إِلى اللهِ عَزَّ وجَلَّ ان يُخْلِفَ قَوْلَهُ ، ويَكْذِبَ وَعِيدَهُ على دَعْوَاكُمْ ؛

وكذلك المجتنبُ للكبائرِ ، يَلْقَى اللهَ وقد استوجَبَ الإجارةَ من العَذَابِ ، وقد غَفَرَ اللهُ له ، وأَخبَرَهُ أَنه مُدْخِلُهُ الجَنَّةَ وعداً عليه مؤكَّداً ، فلا يَحْتَاجُ إلى الشَّفاعَةِ ، وإنما يَحْتَاجُ إلى الشَفَاعةِ المستوجبُ للعذاب ، فَمَنْ ضَمِنَ اللهُ له المَغْفِرَةَ ، وأَخبره أَنه من أَوليائِهِ ، وأَنه مُدْخِلُهُ الجَنَّةَ ، وأَنه لا يُعَذِّبُهُ ، فلا يَحْتَاجُ إلى الشفاعةِ ولو جاز أَن يَشْفَعَ في هذا ، لَجَازَ أَنْ يَشْفَعَ في إبراهيمَ عليه السَّلامُ أَلاَّ يُعَذَّبَ ، وفي مُوسى ويَحْيى وجميعِ رُسُلِهِ . واختصَّ محمَّداً بأَفْضَلِ الصَّلاةِ والتَّسْلِيمِ ، لأَنَّ الوَعْدَ مِنَ اللهِ عَزَّ وجَلَّ للمُجْتَنِبِ للكَبَائِرِ ، وَلِرُسُلِهِ أَكْبَر دَرَجَاتٍ في الجَنَّةِ ، وأَعظم مَنْزِلةٍ عندَ اللهِ جَلَّ ذِكْرُهُ ، قد وَعَدَهُمْ جميعاً أَلاَّ يعذِّبَهُمْ ، ويُدْخِلَهُمُ الجَنَّةَ ، وقد تَولاَّهُمْ أَجمعين ، فلا شفاعة للنَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلم في القِيامةِ على قَوْلِكُمْ . وهذا رَدٌّ للآثار المستفيضةِ عن النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم . والأُمَّةِ كُلِّها جاهِلها وعالِمها ، كُلُّهُم يَرْجُونَ شفاعةَ النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم ، ولا يَجُوزُ في قَولِكُمْ ، لأَحدٍ في الدنيا (أَن) يَرْجُو شفاعةَ النبيِّ عليه السَلاَمُ ، ولا أَن يسأَلَها ، لأَنَّه إِنْ كانَ صاحِبَ كبيرةٍ ،

فعليه أَن يَعْلَمَ أَنَّ النبيَّ عليه السَلَامُ ، لا يَشْفَعُ إِلى الله عز وجل فيه ، لأَن (في) ذلك طلباً ان يكْذِبَ قَوْلَهُ ، ويرجعَ عن وعيده .

و إِنْ كان مُجْتَنباً للكبائرِ ، لم يَجُزْ له ذلك لأَنَّ عليه أَنْ يَعْلَم أَنَّ شفاعةَ النبيِّ صَلَّى الله عليه وسَلَّم في القِيامةِ لا تَجوزُ بزعمِكُمْ ، وحرامٌ على أَحدٍ من العِبادِ ، أَن يَرْجُوَهَا ، أَو يَطْلُبَهَا إِلى الله عَزَّ وجَلَّ في قولِكُمْ .

فإِنَّما أَنتُمْ قومٌ غَلِطْتُم فجعلتُمُ الخَاصّ عاماً ، والعَامَّ خَاصّاً ، وادَّعَيْتُم على مَنْ خَالَفَكُمْ ، أَنه قد وَصَفَ الله جَلَّ وعَزَّ أَنَّ أَخباره تَتَنَاسَخُ ، وقد دخلْتُمْ في مثل ما عِبْتُم ، وَجَوَّزْتُمْ تَعْذيبَ الرُسُلِ عليهمُ السَلَامُ والتائبينَ ، لأَنه وَعَدَ مَنْ عَصَاهُ النَّارَ ، ولم يُسْتَثْنِ أَحَدٌ ، إِلاَّ أَنْ يَقولُوا إِنَّه أَخبر في آياتٍ أُخَرَ أَنَّه لا يعذِّبُ الرُسُلَ عليهم السلامُ ، ولا التَّائبين من المُذْنِبِيْنَ . فيُقالُ لَكُمْ : وكذلِكَ قد أَخبر أَنه يَغْفِرُ ما دون الشِرْكِ لِمَنْ يَشَاءُ من المذنبين ، وقد قُلْتُمْ فيمن أَوْجَبَ الله لهم العذابَ على الظُلْمِ ، انَّه لم يُرِدِ الرُسُلَ عليهم السلامُ ، ولا التَّائِبِيْنَ

ولا أَهْلَ الصَّغَائِرِ ، وان كانت الآيةُ في ظاهرِ تِلاوتِها عامَّةً ، فلم يَعُمَّهُمْ ، إذ أخبر في آياتٍ أُخَرَ أنه لا يُعَذِّبُهُمْ . وكذلك قولُهُ : « ما على المُحْسِنِين مِنْ سَبِيلٍ » [1] وقولُهُ : « إنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً » [2] فَلَزِمَكُمْ أنَّ مَنْ أَحْسَنَ مِنْ جميعِ الخَلْقِ ، ولو مثقالَ ذَرَّةٍ ، أَنَّ اللهَ يُدْخِلُهُ الجَنَّةَ ، فقلتم : إنَّ اللهَ قد أَخبر أَنه إنما يتقبَّلُ اللهُ من المُتَّقِيْنَ ، فقيل لكم : فَمَنِ اتَّقاهُ بِأَقَلِّ التَقْوى ، فقد دَخَلَ في العُمُوم بالقول . (فإنْ) قُلْتُم : إنَّما أَرادَ التائبينَ. قيل لكم : وكذلك إنما أَراد أَن يعذِّبَ على الكبائر مَنْ يَشاءُ ، أَو يَغْفِرُ له ، لأَنه قد أَخبر بَعْدَ خَبَرِه عن عذابِهِمْ أَنَّه يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ أَنْ يَغْفِرَ له منهم ، ولم يُعْلِمْنَا بهم ، فَمَن استَثْنَاهُ فهو لا مَحَالَةَ مَغْفورٌ (١١٢) له ، وإن كان الاستِثْنَاءُ لم يَقَعْ على أَحدٍ بعينِهِ ، إلاَّ أَنَّا نَعْلَمُ أَنَّ بَعْضَهُمْ يُغْفَرُ لهم كما قال ، فعلينا أَنْ نَقْطَعَ بما بيَّنَهُ ، ونوقِفَ ما أَوقَفَهُ ، وهو عالِمٌ بِمَنْ يَشَاءُ مغفرتَهُ ، ومَنْ يَشَاءُ عَذَابَهُ .

---

(١) التوبة : ٩١ .
(٢) الكهف : ٣٠ .

القسم السادس

ذكر الناسخ والمنسوخ في الاحكام

فأَوَّلُ ذلِكَ معرفةُ السُّورَ المَكِّيّةِ والمَدَنيّةِ ، لِيُعْرَفَ أَنَّ ما فيها مِنَ الأَمْرِ ، والأَحْكَامِ نَزَل بمكَّةَ (أَو بالمدينة [1]) فإذا اخْتَلَفَ ، كان الذي نَزَلَ بالمدينةِ هو النَاسِخُ ، لأَنَّه الآخرُ في النُزُول .

حَدّثَنَا شُرَيحُ بنُ يونس [2] قال : حَدّثنا أَبو مُعاوية [3] ، عن هشامِ بنِ عُروةَ [4] ، عن أَبيه [5] قال :مَا كَانَ من حدٍّ أَو فريضةٍ أَنْزَلَهَا اللهُ عُزّ وجَلَّ بالمَدِينةِ ، وما كان مِنْ ذِكْرِ الأُمَمِ والقُرُونِ أُنزِلَ بمكَّةَ .

---

(١) في الأصل : بعدما نزل بمكة .

(٢) شريح : ترجمنا له عند الحديث عن شيوخ الحارث ، ص ١٦ .

(٣) أبو معاوية (١١٣ – ١٩٥ هـ) محمد بن خازم التميمي السعدي ، مولاهم : أبو معاوية الضرير الكوفي . روى عن خلق منهم هشام بن عروة . وكان ثقة ثبتاً ، وإن شكا المحدثون من إرجائه : تهذيب التهذيب ١٣٧/٩ .

(٤) هشام بن عروة بن الزبير (٦٠ – ١٤٥ هـ) أبو بكر . جالس ابن الزبير ، ورأى جابراً وابن عمر . من حفاظ أهل المدينة ومتقنيهم ، ومن الفقهاء السبعة ، وأهل الورع والدين : مشاهير علماء الأمصار ٨٠ .

(٥) عروة بن الزبير (٢٨ – ٩٤ هـ) ابن العوام ابن خويلد . أمه أسماء بنت أبي بكر ، رضي الله عنهم . كان فقيه المدينة ، وعالمها ، ومن أفاضل التابعين ، وعباد قريش . كان يقرأ كل يوم ربع القرآن في المصحف نظراً بالتدبر والتفكر فيذهب فيه عامة يومه : مشاهير علماء الأمصار ٦٤ ، طبقات ابن خياط ٦٠٣/٢ .

قال : وحدّثَنَا شُرَيح ، قال : حدّثنا سُفيانُ عن مَعْمَرٍ ، عن قَتَادَةَ قَال : السُّوَرُ المدنيَّةُ : البَقَرَةُ ، وآلُ عِمْرَانَ ، والنِساءُ ، والمائِدةُ ، والأَنْفَالُ ، والتَوْبَةُ ، والرَّعْدُ ، والحِجْرُ ، والنَحْلُ ، والنُورُ ، والأَحزَابُ ، وسورةُ محمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلم ، والفَتْحُ ، والحُجُراتُ ، والحَديدُ ، والمُجَادَلَةُ ، والممتحنةُ ، والصَّفُّ ، والجُمُعَةُ ، والمُنَافِقونَ ، والتَّغَابُنُ ، والنِّساءُ القُصْرَى . ويا أَيُّها النَّبيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ، (١) ولم يَكُن (٢) ، وإذا جاءَ نَصْرُ الله والفَتْحُ ، (٣) وقُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ، (٤) وهو يَشُكُّ في أَرأَيْتَ (٥) .

حَدّثَنَا عبدُ الله بنُ بكر قال : حَدَّثنَا سعيدٌ عن قَتَادَةَ قال : إنَّ الذي أُنزِلَ بالمدينةِ : البقرةُ ، وآلُ عِمْرانَ ، والنِساءُ ، والمائدةُ ، وآيةٌ مِنَ الأَعْراف « واسأَلْهُمْ عن القَرْيَةِ التي كانت حاضِرَةَ البحر » (٦) والأَنْفَالُ ، وبراءَةُ ، والرَعْدُ ، غير آيةٍ منها مَكِّية « ولو أَنَّ قرآناً سُيِّرَتْ به الجِبالُ » (٧) إلى آخِرِ الآية . ومن إبراهيم إلى قوله :

---

(١) سورة التحريم . (٢) سورة البينة . (٣) سورة النصر .
(٤) سورة الاخلاص . (٥) سورة الماعون . والشاك قتادة .
(٦) الاعراف : ١٦٣ . (٧) الرعد : ٣١ .

« أَلَمْ تَرَ إِلى الذين بَدّلوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْراً » [1] إلى آخرِ الآيةِ ، والحجُّ [2] ، غير أربعِ آياتٍ منها مَكِّيّةٍ أَوّلُهُنَّ « وما أَرْسَلنَا من قَبْلِكَ من رسولٍ ولا نبيٍّ إلاَّ اذا تَمَنَّى أَلْقَى الشَيْطانُ في أُمْنِيَّتِهِ » [3] إلى عذابِ يومٍ عقيم ، والنورُ ، وعشرُ آياتٍ من العَنْكَبُوتَ ، والأَحْزابُ ، وسُورةُ مُحمَّدٍ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ ، والفَتْحُ ، والحُجُراتُ ، والرحمنُ ، والمُجَادَلَةُ ، والحَشْرُ ، والممتحنةُ ، والصَّفُّ ، والجُمُعَةُ ، والمُنَافقُون ، « ويا أَيُّها النَّبيُّ إذا طَلَّقْتُمُ النِساءَ » [4] ويا أَيُّها النبيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ، [5] ولم يَكُنْ الذين كَفَرُوا من أَهْلِ الكِتَابِ [6] ، وإذا زُلْزِلَت ، [7] وإذا جَاءَ نَصْرُ اللهِ ، [8] ، وبقيةُ السُّورِ مَكِّيٌّ [9] .

قال وحَدَّثَنَا عبد الله [10] قال : حَدّثَنَا أُسامةُ [11] عن

---

(١) ابراهيم : ٢٨ .
(٢) أي سورة الحج .
(٣) الحج : ٥٢ .
(٤) الطلاق : ١
(٥) التحريم : ١
(٦) سورة البينة
(٧) سورة الزلزلة
(٨) سورة النصر
(٩) الإتقان ١١/١ : نزلت بالمدنية سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنفال والتوبة والحج والنور والأحزاب ومحمد والفتح والحجرات والحديد والرحمن والمجادلة والحشر والممتحنة والصف والجمعة والمنافقون والتغابن والطلاق ويا أيها النبي لم تحرم إلى رأس العشر ، وإذا زلزلت واذا جاء نصر الله ، وسائر القرآن نزل بمكة .
(١٠) هو عبد الله بن بكر .
(١١) أسامة بن زيد الليثي (٧٩ – ١٥٣ هـ) أبو زيد المدني. روى عن جماعة من التابعين. وروى عنه الا ئمة ، الا أنه حفظه تغير في آخر عمره . قال ابن حبان : يخطىء ، وهو مستقيم الأمر ، صحيح الكتاب : تهذيب التهذيب ٢٠٨/١ .

الأَعْمَش عن المُسَيِّبِ [1] ، عنِ عَلْقَمَةَ قال : ما كان في القرآنِ « يا أَيُّها الناسُ » فهو مكِّيٌّ ، وما كان « يا أَيُّها الذين آمنوا » ، فهو مَدَنِيٌّ .

قال : ذَكَرَ سُفيانُ ، عن الأَعْمشِ ، عن ابراهيمَ ، عن عَلْقَمَةَ ، بِنَحْوه .

قال : حدثنا شُريح قال : حدَّثنا مروانُ بنُ معاوية [2] عن سلمةَ بن نبيط [3] عن الضَّحَّاكِ [4] ، قال : كُلُّ آيةٍ أُنزِلَتْ : « يا أَيُّها الذين آمنوا » بالمدينة ، و « يا أَيُّها الناسُ » بِمَكَّةَ [5] .

* * *

---

(١) المسيب بن شريك : أبو سعيد التميمي الشقري الكوفي . عن الأعمش. تركه يحيى وأحمد والبخاري ومسلم والدارقطني . روى بعض المناكير : ميزان الاعتدال ٣/١١٤ .

(٢) مروان بن معاوية (– ١٩٣ هـ) ابن الحارث بن أسماء بن خارجة الفزاري الكوفي ، نزيل دمشق . وثقه أكثر الأئمة : تذكرة الحفاظ ١/٢٩٥ .

(٣) سلمة بن نبيط : بن شريط الأشجعي ، عن أبيه . قال البخاري : يقال اختلط بأخرة . وقال وكيع وجماعة : ثقة . وقد لحقه أبو نعيم وكان يفتخر بلقيه . روى عن جماعة بينهم الضحاك بن مزاحم : ميزان الاعتدال ٢/١٩٣ .

(٤) الضحاك بن مزاحم (– ١٠٥ هـ) مختلف في سماعه عن الصحابة . وثقة الأئمة . واشتهر بالتفسير . وروى عنه البخاري في تفسير قوله تعالى : ثلاثة أيام إلا رمزاً ، وكان معلم صبيان . ابن سعد ٧/١٠١ ، مشاهير علماء الأمصار ١٩٤ ، تهذيب ٤/٤٥٣ ، المحبر ٤٧٥ .

(٥) الإتقان ١/١٧ : قال ابن الحصار : اعتنى المتشاغلون بالنسخ بهذا الحديث ، واعتمدوه على ضعفه ، وقد اتفق الناس على أن النساء مدنية ، وأولها يا أيها الناس ، وعلى ان الحج مكية وفيها =

فأما الناسخ والمنسوخ في الأحكام فهُو على وُجوهٍ شَتَّى ، منها خُصوصٌ ، ومنها عُمومٌ ، حدّثنا سعيد قال : حدّثنا أَبو سُفيان ، عن مَعْمر ، عن قَتَادَةَ في قولِهِ عَزّ وجَلَّ : « نـأْتِ بخيرٍ مِنْها أَو مِثْلَهَا »[1] يقول : فيها تَخْفيفٌ ، وفيها رُخْصةٌ ، وفيها أَمْرٌ ، وفيها نَهْيٌ .

قال : وحدَّثَنَا حَجّاج عن ابن جُرَيْج ، عن مُجَاهِد في قولِهِ تعالى : « ما نَنْسخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا »[2] نُثْبِتُ خَطَّها ، ونُبدِّلُ حُكْمَهَا .

فالباب الأول : ما رُفِعَ رسمُهُ من الكِتاب ، ولم يُرفَعُ حفظُهُ من القُلُوب ، فأَثْبتَ حُكْمَـــهُ بِسُنَّةِ نَبيِّهِ عليه السلام ، مِنْ ذلكَ آيةُ الرَجْم . قال عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عنه : إِنَّا كُنَّا نَقْرأُ : « الشيخُ والشَيْخةُ إِذا زَنَيَا فارجُمُوهُما أَلبَتَّة » .

= يا أيها الذين آمنوا ... وقال الجعبري : لمعرفة المكي والمدني طريقان سماعي وقياسي. فالسماعي : ما وصل الينا نزوله بأحدهما . والقياسي : كل سورة فيها يا أيها الناس فقط ، أوكلا ، أو أولها حرف تهج سوى الزهراوين والرعد ، وفيها قصة آدم وإبليس ؛ سوى البقرة ، فهي مكية ، وكل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الخالية مكية . وكل سورة فيها فريضة أوحد مدنية .

(١) سورة البقرة : ١٠٦ .

(٢) سورة البقرة : ١٠٦ .

قال : وحَدَّثَنَا مُعاوية [1] ، عن أَبي إِسحاق [2] : عن الأَوزاعي [3] عن إِسحاق بنِ عبدِ اللهِ بن أَبي طلحة [4] : قال : سَمِعْتُ أَنَسَ بنَ مالِكٍ [5] يقول : كُنَّا نَقولُ فيما نُسِخَ « أَنْ بَلِّغُوا إِخْوانَنَا أَنَّا قد لَقِيْنَا رَبَّنا فَرَضِيَ عَنَّا ورضِيْنا عنه . »

وقولُهُ : « إِنَّا أَنْزَلْنَا هذا المَالَ لإِقامِ الصَلاَةِ ، وإِيتاءِ الزَّكاةِ . »

---

(١) معاوية (١٢٨ – ٢١٤ هـ) ابن عمرو بن المهلب الأزدي الكوفي ، أبو عمرو البغدادي . روى عن جملة من الثقات . وعنه : البخاري وكثيرون منهم الحارث المحاسبي. وأخطأ ابن حجر فقال : الحارث بن أبي أسامة : تهذيب التهذيب ١٠/٢١٥ .

(٢) أبو إسحاق الفزاري (– ١٨٨ هـ) ابراهيم بن محمد بن الحارث بن أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري ، أبو إسحاق الكوفي . كان مولده بواسط . سكن الشام ، ورابط في المصيصة . روى عن مالك وشعبة والثوري والأوزاعي ... والأوزاعي تبادل معه الأخذ والعطاء ، كان ثقة ، ثبتاً ، حجة : مشاهير علماء الأمصار ١٨٢ ، تهذيب التهذيب ١/١٥١ .

(٣) الأوزاعي (٨٨ – ١٥٧ هـ) عبد الرحمن بن عمرو . والأوزاع : بطن من همدان ، وهو من أنفسهم . كان ثقة مأموناً صدوقاً فاضلا خيراً ، كثير الحديث والعلم والفقه ، حجة . سمع من خلق من الثقات . وكان شديدا في دينه . رابط في بيروت . وتوفي فيها . وقبره مشهور يزار : طبقات ابن سعد ٧/١٨٥ ، طبقات ابن خياط ٢/٨٠٨ ، تاريخ ابن خياط ٢/٦٦٦ ، مشاهير علماء الأمصار ١٨٠ ، حلية الأولياء ٦/١٣٥ ، ميزان الاعتدال ٣/٥٨٠ ، تاريخ الإسلام ٦/٢٢٥ ، تذكرة الحفاظ ١/١٧٨ ، العلو للعلي الغفار ١٠٢ ، العبر ١/٢٢٧ ، البداية والنهاية ١٠/١١٥ ، تهذيب التهذيب ٦/٢٣٨ ، حسن المساعي في مناقب الأوزاعي لابن زيد الحنبلي ، الرد على سير الأوزاعي لأبي يوسف .

(٤) اسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة (– ١٣٢ هـ) الأنصاري . من حفاظ أهل المدينة ، ومات بها . روى عنه خلق منهم الأوزاعي : مشاهير علماء علماء الأمصار ٦٧ .

(٥) أنس بن مالك (٨ ق . هـ – ٩٣ هـ) خادم رسول الله (ص) وأحد المكثرين في الرواية عنه : الإصابة ١/٧١ .

وفي مُصْحَفِ عائِشَةَ قَبْلَ أَن يُغَيِّرَ عُثمانُ رَضيَ الله عنهُما المَصَاحِفَ ، إلى مُصْحَفٍ واحِدٍ « إنَّ اللهَ وملائكَتَه يُصَلُّون على الصَّفِّ ، (١١٣) الأَوَّل » بعد قوله « وسَلِّموا تَسْليماً » (١) .

وقال كُنَّا نَقْرأُ « لا تَرْغَبُوا عن آبائِكُمْ ؛ فإنَّه كُفْرٌ بِكُمْ أَن تَرْغَبُوا عن آبائِكُم » . ومن ذلك ما رُوِي : « النَّبيُّ أَولى بالمؤمنينَ من أَنفُسِهِم - وهو أَبٌ لهم - وأَزواجُهُ امَّهاتُهم » وكانت فيما أُسقِط ، وفي حرف أُبَيٍّ : وهو أَبٌ لَهُمْ ، فليس ذَلِكَ في الرَغْبةِ ، وإنما ذلك في الوِلايةِ ، ولا يكونُ في الرغبةِ إلاَّ ما كان مِنْ صُلْبِ الرَجُلِ .

وقال النبيُّ عليه السلامُ « مَنْ تَرَكَ مالاً فِلوَرَثَتِهِ ، وَمَنْ تَرَكَ كَلاًّ فَعَلَيَّ » .

وقوله : اللَّهُمَّ إنَّا نستعينُكَ ، ونستهديْكَ ونَسْتَغْفِرُكَ : إلى قولِهِ « الجِدّ » (٢) ، ولو أَن لابن آدَمَ وادِيَيْنِ مِنْ مالٍ

---

(١) الاحزاب : ٥٦ .

(٢) فتح القدير ١/٣٠٦ : اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونؤمن بك ونخضع لك ونخلع ونترك من يكفرك . اللهم إياك نعبد ، ولك نصلي ونسجد ، وإليك نسعى ونحفد ؛ نرجو رحمتك ، ونخاف عذابك . إن عذابك الجد ، بالكفر ملحق .

(لابْتَغَا) إليهما ثالِثاً . وكان بعد ذلِكَ هذا الكلامُ مُثْبَتاً في مُصْحَفِ أُبَيٍّ . وقوله : « حافِظُوا على الصَّلَوَاتِ والصَلاَةِ الوُسْطى » ، صلاةِ العصر .

وفي مصحف عائشةَ رضيَ اللهُ عنها : « وجاهِدُوا في الله حَقّ جِهادِهِ » ، كما جاهَدْتُم أَوَّلَ مَرَّة . فَنُسخ ذلك كُلُّهُ وأُبْدَلَ أَحكامُهُ بالسُّنَّة .

ثَبَت الرَجْمُ بالسُّنَّة . وأَوجَبَ النبيُّ عليه السلامُ على أُمَّتِهِ ، أَلاَّ ينتفيَ أَحدٌ من والِدِهِ ، فقال « من انْتَفَى من أَبيه أَو ادّعى إلى غير موالِيهِ فعليه لَعْنَةُ الله » .

ونهى عليه السلامُ عن الحِرْص الذي يُخْرِجُ إلى طَلَبِ ما لا يَحِلُّ . وقوله « انَّا نستعينُكَ ونستغفِرُك » يقْنُتُ بها المُسْلِمونَ في صَلاَتِهِمْ . وكذلك « وجاهِدُوا في الله حَقّ جِهادِه » وأَوجَبَ على العِبَادِ أَن يَفْعَلُوهُ ، وأَن يقوموا بذلك لله جَلَّ ذِكْرُهُ ، وقد جاءَتْ بذلك أَحاديثُ عن رسولِ الله صلَّى الله عليه وَسَلَّمَ أَنَّهم شَهِدوا أَنَّ هذِهِ الآياتِ ، كانت مما أَنْزَلَهَا اللهُ عَزَّ وجَلَّ .

قال وحدَّثَنَا شُرَيحُ ، قال : حَدَّثَنَا يَحْيى بن أَبي

بُكير ، عن فُضَيلِ بنِ مرزوق[1] ، عن شَقيقِ بن عُقْبة[2] ، عن البراءِ بن عازِبٍ[3] قال : أُنزلَتْ هذه الآيةُ « حافظوا على الصَلَواتِ وصلاة العصر » وقرأْناهَا على عهدِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، ما شاءَ اللهُ أَنْ نقرأَ ثم نَسَخَها ، فأَنزل الله : « حافِظُوا على الصلوَاتِ والصلاةِ الوُسْطَى »[4] فحفظَتْهَا الأُمّةُ . فَمِنْهُم مَنْ قال : نَزَلَتْ ، ثم رُفِعَتْ ، وهي ثابِتَةٌ في السُّنَّةِ أَنها صلاةُ العَصْرِ ، ومنهم مَنْ يَقولُ : بل رُفِعْتْ ، وصلاة الوسطى غيرُها ، ثُمَّ اختلفوا أَيَّ صلاةٍ هي : إِلاَّ أَنه قد رُوِيَ عن عليٍّ ، وعبدِ الله ، عن النبي صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّم ، أَنَّها صَلاَةُ العَصْر .

وقال « وجاهِدُوا في اللهِ حَقَّ جِهادِهِ» كما جاهدْتُم أَوّلَ مَرَّة . فالجهادُ ثَابِتٌ ، والحُكْمُ به ثابتٌ ، والرَسْمُ من الكِتابِ مَرْفوعٌ .

---

(١) فضيل بن مرزوق : الأغر الرقاشي . الكوفي ، مولى بني عنزة . روى عن السبيعي وعطية العوفي وشقيق بن عقبة . وعنه خلق . أخرج له مسلم ، ووثقه أكبر الأئمة : تهذيب التهذيب ٢٩٨/٨ . في الأصل : ابن مروان .

(٢) شقيق بن عقبة العبدي الكوفي : روى عن البراء وقرة بن شريك . وعنه الأسود بن قيس وفضيل بن مرزوق ومسعر . له في مسلم هذا الحديث الذي رواه الحارث . وثقه أبو داود وابن حبان : تهذيب التهذيب ٣٦٣/٤ .

(٣) البراء بن عازب (١١ ق . هـ – ٧٢ هـ) شهد المشاهد كلها مع رسول الله (ص) باستثناء بدر الصغرى : الإصابة ١٤٧/١ .

(٤) البقرة : ٢٣٨ .

قالَ وحَدَّثَنَا ابنُ أَبي مَرْيم [1] ، عن نافِعِ بن عُمَر [2] ، عن ابن أَبي مُلَيْكَة [3] ، عن المِسْوَرِ بنِ مَخْرَمَةَ [4] ، أَنَّ عمر [5] قال لعبد الرحمنِ بنِ عَوف [6] : أَلم تَجِدْ فيما أَنزلَ اللهُ أَنْ « جاهِدُوا كما جاهدْتُم أَوّلَ مرة » ؟ قال بلى ، ولكن أُسقط من القرآن .

والباب الثاني : أَن يُرْفَعَ حُكْمُهُ من الآيةِ بآيةٍ أُخرى ، ويَبْقَى رَسْمُهُ فيما أُسْقِطَ ثابتاً في كتابِ اللهِ عَزَّ وجلَّ ، من ذلك قولُهُ عَزَّ وجَلَّ : « وصيةً لأَزواجِهِمْ مَتاعاً إِلى الحول غيرَ إِخْرَاج » [7] . ومنه « إِنْ يَكُنْ منكم عِشرونَ صَابِرُون »[8]

---

(١) ابن أبي مريم : نوح بن جعونة المروزي ، أبو عصمة القاضي ، المعروف بنوح الجامع ، أخذ عن أبي حنيفة ، وولي القضاء في حياته . قال الخليلي : أجمعوا على ضعفه ، وكذبه ابن معين : تهذيب التهذيب ١٠/٤٨٩ .

(٢) نافع بن عمر الجمحي : الحافظ المكي . روى عن جماعة بينهم ابن أبي مليكة . وعنه يزيد بن هارون وابن المبارك والقطان . وكان إماماً ، ثبتاً ، حجة : تهذيب التهذيب ١٠/٤٠٩ .

(٣) ابن أبي مليكة (– ١١٧ هـ) عبد الله بن عبيد الله ابن أبي مليكة التيمي المكي . كان قاضيا لابن الزبير ومؤذناً له . روى عن العبادلة الأربعة . وأدرك أربعين من الصحابة . وأخذ عنه خلق بينهم نافع بن عمر الجمحي ، وثقه الأئمة : تهذيب التهذيب ٥/٣٠٦ .

(٤) مسور بن مخرمة (٢ – ٧٤ هـ) حج مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وحفظ جوامع أحكام الحج ، واستوطن المدينة ، وتوفي فيها : مشاهير علماء الأمصار ٢١ .

(٥) عمر بن الخطاب (٤١ ق . هـ – ٢٢ هـ) أمير المؤمنين ، منشىء الدولة الإسلامية ، أحد العشرة المبشرين بالجنة : مشاهير علماء الأمصار ٥ .

(٦) عبد الرحمن بن عوف (٤٧ ق . هـ – ٢٨ هـ) الصحابي الجليل . أحد العشرة : مشاهير علماء الأمصار ٨ .

(٧) البقرة : ٢٤٠ . (٨) الانفال : ٦٥ .

(الآية) . وقوله « فأَمسِكُوهُنَّ في البُيُوتِ » [1] . وقولُهُ : « ثَلاثَة قُرُوء» [2] ، « وأَولاتُ الأَحمالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يضعْنَ حَمْلَهُنَّ » [3] . وقولُهُ : « إِنْ تَرَكَ خيراً الوصيّة للوالِدَيْنِ والأَقْرَبِيْنَ » [4] .

وَكَذَلِكَ قوله : « فَذَرْهُم » و « اصفَحْ عنهم » و « أَعْرِضْ عنهُم » و « ما أَرسلْنَاكَ عليهم وَكِيلا » [5] و « ما أَرسلْناك عليهِم حَفِيظاً »[6] و « لستَ عليهم بِمُسَيطِر [7] » ، وقولُهُ عزَّ وجَلَّ : « فإِن اعتَزَلُوكُمْ فلم يُقاتِلُوكُمْ ، وأَلقوا إِليكم السَلَمَ فما جَعَلَ اللهُ لكُم عليهم سبيلاً » [8] فَنَسَخَ ذلك قَوْلَهُ تبارك وتعالى « واقتُلُوهم حيث وجدْتُمُوهُمْ » [9] ، « وقاتِلوا الذين لا يؤمِنون بالله ولا باليوم الآخر [10] » ، « أُذِنَ للذين يُقَاتلُون بأَنَّهُم ظُلِمُوا » [11] .

والباب الثالث : أَن يُرْفَعَ رَسْمُهُ من الكِتابِ ، ويُرفَعَ حِفْظُهُ مِنَ القُلُوبِ وَحُكْمُهُ ، فمن ذَلِكَ ما حدّثنا اسمعيلُ

---

(١) النساء : ١٥ . (٢) البقرة : ٢٢٨ . (٣) الطلاق : ٤ .
(٤) البقرة : ٨٠ . (٥) الاسراء : ٥٤ . (٦) النساء : ٨٠ ، الشورى ٤٨ .
(٧) الغاشية : ٢٢ . (٨) النساء : ٩٠ . (٩) النساء : ٨٩ .
(١٠) التوبة : ٢٩. (١١) الحج : ٣٩ .

بنُ سليمانَ بنِ داود الهاشمي [1] قال : حدّثنا ابنُ جعفر ، عن المُبَارَك [2] ، عن عاصِم عن زرٍّ [3] عن أَبَيٍّ قال : قال لي أُبَيٌّ : يا زرّ إِنْ كانت سُورَة الأَحزابِ لَتَعْدِلُ سُورةَ البَقَرةِ .

قال : وحدَّثَنَا حَجّاجُ بنُ حَمَّادِ بن سَلَمَةَ ، عن عليّ بن زيدٍ [4] ، عن أَبي حَرْبٍ [5] ، عن أَبي الأَسْودِ [6] ، عن أَبي مُوسى الأَشعريِّ [7] ، قال : أُنزِلَتْ سُورةٌ نَحْوَ بَرَاءَةَ ، ثُمَّ رُفِعَتْ ، وحُفِظَ منها : إِنَّ اللهَ سيؤيِّدُ هذا الدِّينَ بقومٍ لا خَلاَقَ لَهُمْ .

---

(١) لا يعرف .

(٢) المبارك (– ١٦٤ هـ) بن فضالة القرشي ، مولى عمر بن الخطاب . من صالحي أهل البصرة وقرائهم ، وكان رديء الحفظ : مشاهير علماء الأمصار ١٥٨ .

(٣) زر بن حبيش (٣٧ ق . هـ – ٨٣ هـ) مخضرم ، لقي عمر وعلياً وابن عوف وأبياً . وكان ثقة ، كثير الحديث : ابن سعد ٧/٧١ ، تذكرة الحفاظ ١/٥٧ .

(٤) علي بن زيد بن جدعان (– ١٣١ هـ) أبو الحسن القرشي التيمي البصري . أحد علماء التابعين . روى عن أنس وأبي عثمان النهدي وسعيد بن المسيب . وعن شعبة وعبد الوارث وخلق . ضعف في آخر عمره : الميزان ٣/١٢٧ .

(٥) أبو حرب (– ١٠٨ هـ) ابن أبي الأسود الدؤلي البصري . روى عن أبيه وجماعة . وعنه قتادة والقطان وابن جريج . قال ابن عبد البر : هو بصري ثقة : تهذيب التهذيب ١٢/٦٩ .

(٦) أبو الأسود (– ٦٩ هـ) الدؤلي . ظالم بن عمرو بن سفيان . روى عن الصحابة كعمر وعلي وابن عباس وأبي موسى. هو الشيخ الأول لرجال النحو المسلمين . وثقه الأئمة : مشاهير علماء الأمصار ٩٤ .

(٧) أبو موسى الأشعري (٢١ ق . هـ – ٤٤ هـ) الصحابي الجليل ، ولي البصرة والكوفة زماناً : مشاهير علماء الأمصار ٣٧ .

حَدَّثَنَا القَاسِمُ بن سَلاَّم قال : حدّثنا عبدُ الله بنُ صالح ، (١١٤) عن ليث [١] ، عن عُقيل [٢] ، عن ابنِ شهاب [٣] ، عن أَبي أُمـامة [٤] ، أَنَّ رجُلاً كانتْ معه سورةٌ فقام يقرأُ من الليلِ فلم يَقْدِرْ عليها ، وقام آخر يقرؤُها فلم يقدِرْ عليها ، فقال النبيُّ عليه السلامُ : إِنها نُسِخَتِ البَارِحَةَ .

وحدَّثَنَا شُرَيح [٥] قال : حدَّثنا بكَّارُ بنُ عبدِ الله

---

(١) الليث (٩٤ – ١٧٥ هـ) بن سعد الفهمي ، المصري . كان أحد أئمة الدنيا فقهاً وورعاً وفضلا وعلماً ونجدة وشجاعة وسخاء . روى عن خلق منهم عقيل وهو من أقرانه : مشاهير علماء الأمصار ١٩١ .

(٢) عقيل (– ١٤٢ هـ) بن خالد الايلي القرشي الأموي : مولى آل عثمان بن عفان . من متقني أصحاب الزهري وصالحي الايليين : مشاهير علماء الأمصار ١٨٣ .

(٣) ابن شهاب (٥١ – ١٢٤ هـ) أبو بكر محمد بن مسلم بن عبد الله المدني الزهري . سمع من سعد وأنس بن مالك وخلق . كان من أحفظ أهل زمانه للسنن ، وأحسنهم لها سياقاً ، وكان فقيهاً فاضلا : طبقات ابن خياط ٦٥٢/٢ ، تاريخ ابن خياط ٥٣٢/٢ ؛ مشاهير علماء الأمصار ٦٦ ، العبر ١٥٨/١ ، تاريخ الإسلام ١٣٦/٥ ، البداية والنهاية ٢٤٠/٩ ، تهذيب التهذيب ٤٤٥/٩ .

(٤) أبو أمامة (٢٠ ق . هـ – ٨٦ هـ) صدي بن عجلان الباهلي ، الصحابي المعروف . العبر ١٠١/١

(٥) شريح (٢٩ ق . هـ – ٧٩ هـ) القاضي ابن الحارث بن قيس الكندي . ولي قضاء الكوفة من أيام عمر ، إلى أيام الحجاج . كان علماً ، ثقة ، ثبتاً ، شديدا في أمر الله ، حلو الروح : طبقات ابن سعد ٩٠/٦ – ١٠٠ .

الرَبَذي [1] ، عن موسى بن عبيدة [2] قال : سَمِعْتُ محمَّد بن كَعْب [3] يقولُ في هذه الآيةِ : « يَمْحُو اللهُ ما يشاءُ » قال : ما أُنْسِيَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّم والمُسْلِمُونَ بعدما قَرَؤُوهُ .

والباب الرابع : أَن يُرفَعَ رسمُهُ من الكِتاب ، ويبقى حِفْظُهُ في القُلُوب ، ويُرْفَع حُكْمُهُ ، من ذلك ما رَوَتْ عائِشَةُ أَنه كان فيما أَنزلَ اللهُ أَلاَّ يُحَرِّمَ إِلاَّ عَشْر رَضَعَاتٍ ، والأُمَّةُ مُجْمِعَةٌ أَنَّ حُكْمَ العَشْرِ رضعاتٍ غيرُ لازمٍ في الكتابِ ، ولا في السُّنَّةِ ، وإِنما اختلَف العُلماءُ في رَضْعة أَو خمسِ رضعاتٍ ، ولم يَقُلْ أَحدٌ ما فوقَ الخمسة .

قال : وحدَّثَنَا عبدُ الغَفار بن داود [4] ، عن ابنِ

---

(١) بكار بن عبد الله الزبدي : عن عمه موسى بن عبيدة . لا بأس ببكار ، لكنه ضعف من أجل عمه موسى بن عبيدة : الميزان ١/٣٤١ . وفي الأصل : الزيدي .

(٢) موسى بن عبيدة (– ١٥٣ هـ) الربذي : عن نافع ومحمد بن كعب القرظي . وعنه شعبة ، وروح بن عبادة وعبيد الله وجماعة . قال يعقوب بن شيبة : صدوق . ضعيف الحديث جداً : ميزان الاعتدال ٣/٢١٣ .

(٣) محمد بن كعب (– ١٠٨ هـ) بن سليم القرظي ، من عباد أهل المدينة ، وعلمائهم بالقرآن : مشاهير علماء الأمصار ٦٥ .

(٤) عبد الغفار بن داود (١٤٠ – ٢٢٤ هـ) البكري ، أبو صالح الحراني . ولد بإفريقية ، ونشأ وتعلم بالبصرة . روى عنه ابن لهيعة والليث وحماد بن سلمة وابن عيينة وجماعته . وعنه : البخاري وأبو داود والنسائي وابن ماجه : تهذيب التهذيب ٦/٣٦٥ .

لهيعة [1] ، عن عَمْرو بنِ دينارٍ [2] « النبيُّ أَولى بالمؤمنين من أَنْفُسِهِم . وهو أَبٌ لهم » ثم قال : وكانت فيما أُسْقِط .

قال : وحدَّثَنَا سُنيد [3] قال حَدّثنا أَبو سُفيان عن مَعْمَر عن الزُّهريِّ قولُهُ تعالَى : « النَّبيُّ أَولى بالمؤمِنينَ من أَنْفُسِهِمْ - وهو أَبٌ لهم - وأَزواجُهُ أُمَّهاتُهُم »

قال وحدَّثَنَا حَجَّاجٌ عن ابن جُريج عن مُجَاهد : « النبيُّ أَولى بالمؤمنينَ من أَنفُسِهِم - وهو أَبٌ لهم » . فالأُمّةُ اليومَ مُجْمِعةً أَنَّ النبيَّ عليه السلامُ ليس بأَبٍ للمؤمنين . وقد قال اللهُ عز وجل : « ما كان محمدٌ أَبَا أَحدٍ من رجالِكم » [4] (الآية) .

والباب الخامس : أَن يُرفعَ الرسمُ ، ويُرفَعَ الحُكْمُ ،

---

(١) ابن لهيعة (٧٠ - ١٧٤ هـ) عبد الله بن لهيعة الحضرمي . أبو عبد الرحمن المصري . روى عن خلق ، وروى عنه كثيرون . ضعفه أكثر الأئمة ، لخطئه ونسيانه لا لكذبه : تهذيب التهذيب ٣٧٣/٥ .

(٢) عمرو بن دينار (٤٦ - ١٢٦ هـ) الأثرم ، كنيته أبو محمد ، من متقني التابعين ، وأهل الفضل في الدين : مشاهير علماء الأمصار ٨٤ .

(٣) سنيد بن داود : ترجمنا له عند الحديث عن شيوخ الحارث ، ص ١٦ .

(٤) الأحزاب : ٤٠ .

إذا كان الحُكْمُ لِعِلَّةٍ ، فانْقَضَتْ تلك العِلَّةُ . وذلك كقولِهِ عَزَّ وجَلَّ : « وإن فاتكم شَيْءٌ مِن أَزواجِكُمْ إلى الكُفَّار فعاقَبْتُم » (١) (الآية) . فكان إذا جاءَتِ امرأَةٌ من الكُفَّار إلى المؤمنين أَعطى النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم زوجَها صَدَاقَهَا ، من الغَنَائِمِ ، وذلك قولُهُ تعالى : « وإن فاتَكُم شَيْءٌ من أَزواجِكُمْ إلى الكُفَّار فَعَاقَبْتُمْ فآتُوا الذين ذهبَتْ أَزواجُهُم مثل ما أَنفقوا » (٢) فإنْ عاقَبْتُمْ يعني إنْ غنمتم ، فأَعطوا زَوْجَها مثل ما ساق إليها من الصَّدَاقِ ، وذلكم الصُّلْحُ الذي كان بين رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وكُفَّارِ مَكَّةَ .

وقال جَلَّ مِنْ قائل « اذا جاءَكم المؤمناتُ مُهاجِراتٍ فامتحِنُوهُنَّ » (٣) إلى قوله « ذلكُمْ حُكْمُ اللهِ يَحْكُمُ بينَكُمْ » (٤) وهذا في الصُّلْح بين رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وكُفَّارِ أَهْلِ مكَّةَ ، فَنُسِخَ ذلك إذ زالَ الصُلْحُ ، وفُتِحَتْ مكةُ ، فأَيَّما امرأَةٍ جاءَتْ من المُشْرِكين لم يَجِبْ أَن يُعْطُوا زَوجَها شيئاً ، وكذلك الكُفَّارُ ليس واجباً في الحُكْم أَن يعطُوا

---

(١) الممتحنة : ١١ . (٢) الممتحنة : ١١ . (٣) الممتحنة : ١ . (٤) الممتحنة : ١٠ .

أَزواجَ مَنْ هرب إليهم من المسلمين .

ومنه تَوْقيتُ الله عَزَّ وجَلَّ للنبيِّ عليه السَّلامُ استغفارَهُ لبعض مَنْ كان أَظْهَرَ له الإيمانَ ، وأَسَرَّ النِفاقَ ، ثم نَسَخَهَا الله فنهاهُ عن الاستِغْفارِ لَهُمْ .

ومن ذلك أَنَّ النبيَّ عليه السلامُ حَضَّ على الصَدَقَةِ فجاءَ عبدُ الرحمن بمالٍ عَظيمٍ ، وجاءَ عَاصِمُ بنُ عديٍّ [1] بِصاعَيْنِ فاستهزأَ مُعْتِبُ بنُ قُشَيْر ، وحَكَمُ بنُ يزيد [2] ، فقالا : أَمّا عبدُ الرحمن فما أَعطى إلاَّ رياءً وسُمْعَةً ، واللهُ عزّ وجَلَّ عن صَاعَيْ عاصمٍ غَنِيٌّ ، فأَنزَل الله جَلَّ ذِكْرُهُ « استغفِرْ لهم ، أَو لا تستغفِرْ لهم ، إِنْ تستغفِرْ لهم ، سَبْعينَ مَرَّةً ، فَلَنْ يغفِرَ اللهُ لَهُمْ » [3] فقال عَمُّ النَّبيِّ عليه

---

(١) عاصم بن عدي (٧٥ ق . هـ – ٤٥ هـ) العلوي العجلاني . كان سيد بني عجلان . شهد المشاهد كلها مع رسول الله (ص) عدا بدرا ، اذ ولاه النبي بعض نواحي المدينة ، وضرب له بسهمه وأجره : الإصابة ٤/٥ .

(٢) المنمق ٤٦٧ : أسماء المنافقين ... منهم : ثعلبة بن حاطب ، ومعتب بن قشير ، وهما اللذان عاهدا الله « لئن أتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين » ومعتب القائل يوم الأحزاب : يعدنا محمد كنوز كسرى وقيصر ، وأحدنا لا يأمن أن يذهب لحاجته ، وهو الذي اتجه إلى كاهن عندما دعاه المسلمون للاحتكام إلى رسول الله في نزاع معه .

ولم نجد من المنافقين من أسمه الحكم بن يزيد ، بل هناك رافع بن زيد ، ويزيد بن جارية ، وبشير بن زياد . راجع ابن هشام ٢/٥٣٠ .

(٣) التوبة : ٨٠ .

السلامُ : لا تستغفِرْ قَدْ نهاكَ الله ، فقال النبيُّ عليه السلامُ : يا عم أَوَلاَ أَستغفرُ إِحدى وسبعينَ مرةً ؟ وكان ظاهِرُهُم ظاهِرَ الإِسلام فاطَّلع اللهُ على نِفَاقِهِمْ ، وليس احدٌ يعلمُ ذلك بعد النبيِّ عليه السلام لأَنه وَحْيٌ من الله جَلَّ ثَنَاؤُهُ فهكذا كَانَ ، ثُمَّ انْقَضَى حُكْمُهُ فَنُسِخَ التَخْيِيرُ للنَّبيِّ في أَكثر من السَبْعين ، إِذ حُرِّمَ عليه أَنْ يستَغْفِر لهم سبعينَ مَرَّةً ، ولم يَنْهَهُ عن أَكْثَر من ذلك ثُمَّ نَهَاهُ اللهُ عزّ وجلّ بعد ذلك عن الاستِغْفار أَلبتَّة بقوله : « سَواءٌ عليهم أَستغفَرْتَ لهم ، أَمْ لم تستغفِرْ لهم لن يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ » (١) وهذا لا يَجُوزُ أَن يكونَ لأَحَدٍ بعد النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّم .

ومنه ما اختلفوا في الآيةِ الثانيةِ (هل هي) زيادةُ حُكْمٍ (١١٥) أَمْ ناسِخةٌ لأُولى من ذلك ما أَنزل من الهجرةِ ثم أَنزل بأَمْرِهِ بالقِتالِ عليها . فقال قومٌ نُسِخَتْ بعد الهِجْرَةِ بِغَيْرِ قِتَالٍ عَرَضَ للمُهَاجِرِ ولا رُخْصَةَ له في الرُجُوع ، وكانَتْ له رُخْصَةٌ أَوّلاً .

---

(١) المنافقون : ٦ .

حدَّثنا يوسف ، عن شَيبان ، عن قَتَادَةَ . وحدَّثَنَا شُريح قال : حَدّثنا أَبو سفيان ، عن معمر ، عن النبيِّ عليه السلام قال : لما نزلت آيةُ الهِجْرة ، كتب بها المُسْلِمون من المَدِينَةِ إِلى إِخْوَانِهِمْ بمكَّةَ فَخَرَجُوا ، حَتَّى إِذا كانوا بِبَعْضِ الطَرِيْقِ أَدركَهُمُ المُشْرِكُونَ فردُّوْهُم ، فأَنزل اللهُ عزّ وجل « أَلم أَحَسِبَ الناسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يقولوا آمنّا وهم لا يُفْتَنُون » (١) عَشْرَ آياتٍ من أَوّلِ السُّورةِ ، فَتَعَاهَدُوا فخرجوا ، فتبِعَهُمُ المُشركونَ فاقْتَتَلُوا ، فمنهم مَنْ قُتِلَ ، ومنهم مَنْ نجَا ، فنزلَتْ فيهم : « ثمّ إِنَّ رَبَّكَ للذين هَاجَروا من بعدِ ما فُتنوا » (٢) إِلى قولِهِ : « لَغَفُورٌ رحيم » . وقال بعضُهُم : بل يَعْني هي زيادةُ حُكْمٍ ثَانٍ لا ناسِخة .

ومنه ما أَوجَبَ الله جَلَّ ثَنَاؤُهُ على المؤمنين أَلاَّ يُنَاجُوا الرسولَ حتى يَتَصَدَّقوا بِصَدَقَةٍ ، إِذا أَرادوا أَن يُنَاجُوهُ بعدما يتصدَّقُونَ ، ثم رُفِعَ ذلك بقوله عز وجل « أَأَشفقْتُم أَنْ تُقَدِّموا بينَ يَدَي نجواكُم صدقاتٍ ، فإِذْ لم تفعلوا

---

(١) العنكبوت : ٢ .
(٢) النحل : ١١٠ .

وتابَ اللهُ عليكم فَأَقِيموا الصَلاَة » [1] (الآية) فَنَسَخَ هذه الأَحكامَ فلم يُبْقِ لنا منها حُكْماً في كتابِهِ ـ لأَنَّ صُلْحَ النبِّي صلى الله عليه وسلم مع أَهْلِ مَكَّة قد مضى وانتهى ولا يعلمُهُ إلاَّ الله جلَّ ذِكْره [2] .

والنهيُ للاستغفار عمن أَظهرَ الإِسلامَ ، وأَسرَّ النِفاقَ ، ولم يَنْهَ عن ذَلِكَ ، إذ كُنَّا لا نَعْرِفُ ما في قلبِهِ بِوحْيٍ يَنْزِل ، فلنا أَن نستغفِرَ لِكُلِّ مَنْ أَظهر الإِسلامَ ، وَنَكِلَ سَرِيرتَهُ إلى الله عزّ وجَلَّ ، ولا نبيَّ بعد محمّدٍ عليه السلام ، وقد مضى النبيُّ عليه السلام ، وتابَ اللهُ على المؤمنين فيما كان أَوجَب عليهم مِنَ الصَدَقَةِ ، فَنَاجَوا الرسولَ من غير أَن يُقَدِّموا قبل مناجاتِهِم صَدَقَةً .

والباب السادس : أَنْ يفعلَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّم فِعْلاً ، أَو يأْمُرَ أُمّتَهُ بِفِعْلٍ ليس بنصٍّ في كتابِ الله عَزَّ وجَلَّ ، فينسَخه اللهُ بِحُكْمٍ أَنزلَهُ في كتابِهِ ، فَيَثْبُتُ الحُكْمُ في الكتاب بالفَرْض ، وأَبَاحَ ما كان مُحَرَّماً (كذا) ؛

---

(١) المجادلة : ١٣ .

(٢) الفقرة الأخيرة عاد فيها المحاسي ليعلل نسخ الآية السابقة على آيات النجوى ، وهي التي تتحدث عن الهجرة .

مِنْ ذلك صَلاتُهُ إلى بيتِ المَقْدِسِ ، وإنْ كان قد قال بعضُ من مضى ، ان اللهَ افترضَ الصلاةَ أولاً إلى بيتِ المقدس بقوله « فاينما تُولُّوا فَثَمَّ وجْهُ الله »[1] لو لم تُجْمِعِ الأُمَّةُ على هذا القول ، إلاَّ أنها مجمِعةٌ أَنَّ اللهَ أَوجَبَهُ ، بما أَمرهم النبيُّ صلى الله عليه وسلم ، وذلك لا يكونُ إلاَّ عن اللهِ عز وجلَّ وإنْ لم نَجِدْ نَصَّهُ في كتابِ الله ، فَنَسَخَ اللهُ عز وجل ذلك بقولِهِ « فولِّ وجْهَكَ شَطْرَ المسجدِ الحرامِ وحيثُما كنتُم فولُّوا وجوهَكُمْ شَطْرَه »[2] .

ومنه استِغْفارُهُ لِعَمِّهِ فَنَسَخَ ذلك « ما كان للنبيِّ والذين آمنوا أَن يستغفِروا للمشركين »[3] (الآية) .

ومنه كلامُهُ في الصلاةِ المَفْروضةِ فروى زيدُ بن أَرقم[4] أَنَّ اللهَ عز وجل نَسَخَ ذلك بقوله : «وقُوموا لله قانِتِيْن »[5] . وروى ابنُ مسعود ، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّ الله أَحدث مِنْ أَمْرِهِ أَلاَّ تَكَلَّموا في الصلاة ، ولم يَبيِّن أَنها بعينِها نَزَلَتْ لذلك .

---

(١) البقرة : ١١٥ . (٢) البقرة : ١٤٤ . (٣) التوبة : ١١٣ .
(٤) زيد بن أرقم (– ٦٥ هـ) الصحابي ، الأنصاري ، أبو عمرو : مشاهير علماء الأمصار ٤٧ .
(٥) البقرة : ١٣٨ .

ومن ذلك أَيضاً أَنه كان (محرَّماً) عليهم ، بغير نصٍّ نَجِدُهُ في الكتابِ ، إذا ناموا في ليالي رمضان أَلاَّ يأَكلوا ولا يَشْربوا ولا ينكِحوا إِلى دُخولِ الليل من القَابِلَةِ ، ولهم أَن يفعلوا من ذلك ما أَحبُّوا قبل أَنْ يناموا ففعل ذلك غيرُ واحدٍ منهم ، فَرَفَع ذلك عنهم . رحمةً بهم ، وعرَّفهم ، مع رفعِهِ إِياه عنهم ، أَنَّ ما أَوجب من ذلك كان يصنعُهُ بعضُهُم . فقال عز من قائل : « أُحِلَّ لكم ليلةَ الصيامِ الرَفَثُ إِلى نِسائِكم » [1] إِلى قوله « حَتَّى يتبيَّنَ لكُمُ الخيطُ الأَبيضُ من الخيطِ الأَسودِ من الفَجْر » [2] فرَفَعَهُ وَنَسَخَهُ وقرَّرهم بخيانَتِهِم أَنْفُسَهُمْ ، وعفا عنهم خيانَتَهم أَنْفُسَهُمْ ، فيما كان نَهاهُم عنه ففَعَلُوهُ .

وكان (١١٦) يُؤْذِنُ بعضُهم بعضاً بالصلاةِ ، فَنَسَخَ ذلك برؤيا عبدِ الله بن زيدٍ الأَنصاريِّ الأَذَانَ . وأَكَّد رُؤياهُ « واذا نادَيْتُم إِلى الصَّلاة » [3] .

والباب السابع : أَنْ يختلِفوا في الآيَتَيْنِ أَنَاسخةٌ إِحداهُما الأُخري أَم لم تنسخها ؟ وإِن أَجْمَعُوا أَن يستعمِلوا التي

---

(١) البقرة : ١٨٧ . (٢) النساء : ٢٣ . (٣) المائدة : ٥٨ .

اختَلَفُوا فيها منسوخةً أَم لا على التَجَوُّز والاحْتِياط ، لا على القَطْعِ . مِنْ ذَلِكَ قولُهُ « وأَن تَجْمَعُوا بين الأُخْتَيْنِ إلاَّ ما قد سَلَفَ . إنَّ الله كان غفوراً رَحيماً » [1] . ثم قال جل ثَنَاؤهُ في الآيةِ الأُخْرى : « إلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيمانُكُمْ » [2] فقالَ عَلِيٌّ:أَحَلَّتْهَا آيةٌ وحرَّمَتْها آية . وقال عُثْمَانُ نحوذلك .

وكذلك قولُهُ عَزَّ وجَلَّ : « وإذا رأَيتَ الذين يَخُوضُونَ في آياتِنا » [3] . إلى قوله تعالى « لعلَّهم يتقون » هذه مَكِّيةٌ ثم نزلَتْ بالمدينةِ « وقد نزّل عليكم في الكِتاب أَنْ إذا سمعتُم آياتِ اللهُ يُكْفَرُ بها ويُستهزأُ بها فلا تقعُدُوا معهم حَتَّى يَخُوضُوا في حَدِيثٍ غَيْرِهِ إنكم إذاً مثلُهُم . إنَّ الله جامعُ المنافقينَ والكافِرِين في جهنَّم جميعا » [4] .

قال وحدثنا شُرَيح قال : حدّثنا إسحاقُ بنُ يوسف [5] ،

---

(١) النساء : ٢٤ . (٢) النساء : ٢٤ . (٣) الانعام : ٦٨ . (٤) النساء : ١٤٠ .

(٥) إسحاق بن يوسف (١٢٠ - ١٩٥ هـ) أبو محمد الأزرق ، المخزومي بالولاء . من متقني الواسطيين : تاريخ واسط ١٥٦ .

عن سُفيان ، عن السُّدّي [1] عن سعيدِ بن جُبير [2] ، وأَبي مالك [3] « واذا رأَيتَ الذين يخوضُون في آياتِنا » [4] نسخَتْها الآيةُ في النساءِ « وقد نَزَّلَ عليكم في الكتابِ أَنْ إِذا سمعتُم آياتِ اللهِ يُكْفَرُ بها » [5] (الآية)

حَدّثَنا شُريحٌ قال : حَدّثنا يَحْيَى بنُ زكريا [6] ، عن الحَجّاجِ ، عن أَصحابِ عبد الله [7] . قال : المُتْعَةُ

---

(١) السدي (– ١٢٧ هـ) اسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي ذؤيب الأعور ، السدي الكبير : كوفي ثقة : مشاهير علماء الأمصار ١١١

(٢) سعيد بن جبير (٤٥–٩٤ هـ) الكوفي المقرىء، الفقيه المفسر ، أحد الأعلام، من أثبت الناس في ابن عباس وابن عمر . خرج مع القراء على الحجاج بن يوسف سنة ٨٠ هـ . وكان يأمر بقتال الأمويين ويقول : قاتلوهم على جورهم في الحكم ، وخروجهم من الدين ، وتجبرهم على عباد الله ، وإماتتهم الصلاة ، واستذلالهم المسلمين : ابن سعد ١٧٨/٦ ، مشاهير علماء الأمصار ٨٢ ، العبر ١١٢/١.

(٣) أبو مالك (– ١٤٠ هـ) الأشجعي ، الكوفي : سعد بن طارق . روي عن أبيه وأنس وابن أبي أوفى . وعنه جماعة بينهم يحيى بن زكريا . رضيه أكثر العلماء : تهذيب التهذيب ٤٧٢/٣ .

(٤) البقرة : ٢٣٧ .

(٥) النساء : ١٤٠ .

(٦) يحيى بن زكريا (١٢١ – ١٨٤ هـ) الهمداني ، أبو سعيد ، من المتقنين : مشاهير علماء الأمصار ١٧٤ .

(٧) هو عبد الله بن مسعود . وأكبر أصحابه من التابعين : علقمة والأسود بن يزيد ، ومسروق ، والربيع بن خيثم ، وأبو وائل ، وشريح القاضي ، وعبد الرحمن بن أبي ليلى . ومنهم : الحجاج بن مالك الأسلمي، فربما كان هو الراوي هنا : تهذيب التهذيب ٢٧/٦ .

منسوخةٌ ، نسخَتْها الطلاقُ ، والعِدّةُ ، والميراثُ .

وحدَّثَنا يُونسُ بنُ مُحمد [1] قال : حَدّثَنَا شَيبانُ عن قَتادَة عن سعيدِ بنِ المسيِّب [2] ثم نَسَخَ هذا الحرفُ المُتْعَةَ « وان طلقتموهُنَّ من قَبْلِ أَن تمسُّوهُنَّ وقد فرضتُم لهنَّ فريضةً فنصف ما فرضْتُم » [3] .

واختلفوا في قولِهِ عزَّ وجل : « وللمطلَّقات مَتَاعٌ بالمَعْروف » [4] قال بعضُهم : نُسِخَتْ بقوله : « فنصف ما فرضْتُم » وقال : إنَّ في النِصْفِ لها لَمَتَاعاً حَسَناً . وقال بعضهم : هي ثابتةٌ لم تُنْسَخْ ، وليست بِواجبة ، لمَن شاءَ مَتَّع ، ومَنْ لم يَشَأْ لم يُمَتِّع ، وقد مَتَّعَ عبدُ الرحمن بنُ عوف ، والحَسَنُ [5] ، وعليٌّ ، وغيرُهُمْ ، والواجبةُ التي لم يُسَمِّ لها صَدَاقاً ولم يَدْخُلْ بها .

---

(١) يونس بن محمد (– ٢٠٧ هـ) ابن مسلم البغدادي الحافظ . وثقه الأئمة : تهذيب التهذيب ٤٤٧/١١ .

(٢) سعيد بن المسيب (١٤ – ٩٣ هـ) ابن حزن المخزومي المدني الفقيه ، أحد الأعلام . قال ابن المديني : لا أعلم في التابعين أوسع علماً منه . أبى أن يبايع الوليد بن عبد الملك ، فضرب بالسياط : الميزان ٥٤/١ ، مشاهير علماء الأمصار ٦٣ ، طبقات ابن خياط ٦١١/٢ تاريخ ابن خياط ٣٧٧/٢ ، ٤٠٧ ، حلية الأولياء ١٦١/٢ ، وفيات الأعيان ١١٧/٢ ، تذكرة الحفاظ ، العبر ١١٠/١ ، ابن كثير ٩٩/٩ ، تهذيب التهذيب ٨٤/٤ ، وفيات ابن الخطيب ٨٨ .

(٣) البقرة : ٢٣٧ . (٤) البقرة : ٢٤١

(٥) الحسن بن علي (٣–٥٠هـ) أمير المؤمنين ، سبط رسول الله ، وسيد شباب أهل الجنة : العبر ٥٥/١ .

حدَّثَنَا يونُسُ بنْ محمَّدٍ قال : حدَّثنا شَيبانُ ، عن قَتَادَةَ عن سعيدِ بنِ المسيِّب : أَنَّ المتعةَ نسخَها قولُهُ تعالى « فنصفُ ما فرضْتُم » .

والباب الثامن : أَنْ يختلِفُوا في الآيتينِ أَناسِخٌ حداهما الأُخرى أَم لا ؟ ويُجْمِعُوا على إِثْباتِ حُكْمِهما في معنَيينِ مختلِفَيْن ، من ذلك قولُهُ جَلَّ وعز : « والمطلَّقاتُ يتربَّصْنَ بأَنْفُسِهِنَّ ثلاثةَ قُروء »[1] قال مُجاهد : نَسَخَ منها عِدَّةَ التي لم يُدْخَلْ بها . قال : « يا أَيها الذين آمَنُوا إِذا نكحتم المؤمناتِ ثم طلقْتُموهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فما لَكُمْ عليهِنَّ من عِدّةٍ تعتدُّونَها »[2] .

وحدَّثنا شُريح قال : حدَّثَنَا هُشَيم ، قال : حَدّثَنَا يُونُس ، عن الحَسَن قال : نَسَخَ من القُرءِ امرأَتَيْنِ « واللَّائي يَئِسْنَ من المَحيضِ من نِسائِكُمْ ... واللَّائي لم يَحِضْن »[3]

قالوحدَّثَنَا شُريح قال : حَدّثَنَا الحَسَنُ بنُ موسى[4] ،

---

(١) البقرة : ٢٢٨ . (٢) الأحزاب : ٤٩ . (٣) الطلاق : ٤ .

(٤) الحسن بن موسى (– ٢٠٩ هـ) الأشيب ، ويكنى أبا علي . ولي قضاء حمص والموصل للرشيد . كان ثقة ، صدوقاً في الحديث : ابن سعد ٧/٧٩ .

عن وَرْقاء [1] ، عن مُجَاهِد ، ثُمَّ نَسخَ من القُرْءِ عِدَّةَ مَنْ لم يُدْخَلْ بِها .

وقال الحسن : قُرءَ امرأَتينِ ؛ اللَّائي يئسْنَ من المَحيض ، واللائي لَم يَحِضْنَ ، وأَبى ذلك أَكثرُ العلماءُ وقالوا : نحن نردُّ إِلى قولِهِ بقوله «ثِلاثةَ قروءٌ» اللائي لم يَحِضْنَ وقد دُخِلَ بهنَّ . وقوله « إِذا نكحتُم المُؤمناتِ » وقوله : « واللاَّئي يَئِسْنَ من المَحيضِ » حُكْمَيْنِ مخصُوصَيْنِ لم يُدْخِلْهُمُ اللهُ جَلَّ ذِكْرُهُ في الأَقْراءِ ، ولكن خَصَّ آيةَ الأَقْراءِ في ذَوَاتِ الحَيْضِ المَدْخول بهنَّ ، وخَصَّ كُلَّ آيَةٍ من الآيَتَيْنِ الآخِرَيَيْنِ كُل واحدةٍ منهما بِحُكْمٍ سِوى الأُخرى . واختَلَفُوا في هاتَيْنِ الآيَتَيْنِ الآخريين ، والامةُ مُجْمِعةٌ أَنَّ عِدَّةَ الآيسةِ من المَحيض والتي لم تحض ثلاثةُ قروءٌ .

---

(١) ورقاء بن عمر بن كليب اليشكري : أبو بشر الكوفي، نزيل المدائن . وثقه أكثر العلماء: تهذيب التهذيب ١١/١١٣ .

وعن ابن أَبي ليلى [1] ، عن عطاء [2] عن أَبي هُريرة [3] قال : صَلَّيْنَا مع رسولِ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم فخافَتَ وجَهَرَ وخافَتْنَا فيما خافَتَ لها « وما كان ربُّك نسيّاً » [4]

حدّثنا جريرٌ [5] عن ليثٍ عن مُجاهِد في الدُّعاءِ . قال : وقال أَبو همّام [6] عن هِشام بن عُروةَ عن أَبيه عن عائشةَ في الدُّعاءِ ؛ حدّثَنَا عَبّادُ بنُ العَوَّام ، عن الأَشْعث [7] عن عِكرِمة [8] ، (١١٧) عن ابن عَبّاسٍ ، كانوا يقولُون اللَّهُمَّ اغفِرْ وارحَمْ .

---

(١) ابن أبي ليلى (– ١٤٨ هـ) أبو عبد الرحمن محمد بن عبدالرحمن ابن أبي ليلى ، يسار ، الكوفي. فقيه ، قاض . ولي قضاء الكوفة لبني أمية ، وبني العباس ، شغل بالقضاء فساء حفظه ، لذا فلا يحتج به : ميزان الاعتدال ٨٧/٣ ، وفيات الأعيان ٣١٩/٣ .

(٢) لا يمكن أن يكون المقصود بابن أبي ليلى عبد الرحمن (– ٨٣ هـ) لأن عطاء (٢٧ – ١١٧ هـ) هنا هو ابن أبي رباح : الثقة الثبت ، أحد تلامذة أبي هريرة : مشاهير ١٨١ .فلا يمكن أن يكون راوياً عنه لفارق السن الكبير بينهما ، لذلك رجحنا أنه محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى .

(٣) أبو هريرة (– ٥٨ هـ) عبد الرحمن بن صخر الدوسي ، الصحابي الجليل : تهذيب ٢٦٢/١٢ .

(٤) مريم : ٦٤ .

(٥) جرير (١٠٨ – ١٨٨ هـ) الضبي ، عالم أهل الري ، صدوق ، يحتج به في الكتب ، الا أنه تغير في آخر عمره : ميزان الاعتدال ٣٩٤/١ .

(٦) أبو همام : الوليد بن شجاع ، ترجمنا له .

(٧) أشعث بن سعيد البصري : أبو الربيع السمان . قال البخاري : ليس بمتروك وليس بالحافظ عندهم : تهذيب ٣٥١/١ .

(٨) عكرمة (– ١٠٥ هـ) أبو عبد الله عكرمة بن عبد الله المدني ، مولى ابن عباس . من كبار التابعين ، ومن أعلم الناس بالتفسير والمغازي . تكلموا فيه لأنه كان خارجي الرأي : وفيات الأعيان ٤٢٧/٢ ، تهذيب الأسماء ٣٤٠/١ .

حدَّثَنَا هُشيم ، عن أَبي بِشْر [1] عن سعيدِ بن جُبير عن ابنِ عَبّاس في قولِهِ جَلَّ وعَزَّ : « ولا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ ولا تُخَافِتْ بها » [2] قال : كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم متوارياً بمكَّةَ إذا قرأَ القرآنَ رَفَعَ صَوتَهُ ، فإذا سَمِعَهُ المُشْرِكونَ سبوا القرآنَ وَمَنْ جاءَ به ؛ فأَنزل اللهُ عز وجلَّ « ولا تجهر بِصَلاتِكَ ولا تُخافِتْ بها » عن أَصحابِكَ ، فلا يستطيعونَ أَن يأْخُذُوا عليك .

حدثنا هُشيم قال : حَدَّثَنَا منصور [3] ، وعوف [4] ، عن الحسن : « ولا تجهر بصلاتِك ولا تُخَافِتْ بها » قال : لا تُرائِي في العلانيةِ ولا تُسِيءْ بها في السِّرِّ . والأُمَّةُ مُجْمِعةٌ أَنَّ للمصلِّي أَن يرفَعَ صوتَهُ ، وله أَنْ يُخَافِتَهُ ويُسْمِعَ أُذُنيه ، وأَجمعوا أَنه لا يجوزُ أَن يُرائيَ بِصَلاتِهِ .

وكذلك قولُهُ عز وجل : « وآتيتُم إِحداهُنَّ قِنطاراً فلا تأْخُذُوا منه شيئاً » [5] (الآية) فقال بعضُهم نَسَخَتْها

---

(١) أبو بشر : هو ورقاء بن عمر اليشكري ، وقد ترجمنا له . (٢) الاسراء : ١١٠ .

(٣) منصور بن النعمان اليشكري الربعي أبو حفص . من أهل البصرة : سكن مرو مدة ، ثم تحول إلى بخاري وسكنها ، ممن صحب أبا مجلز وعكرمة وسواهما من التابعين : مشاهير علماء الأمصار ١٩٨ .

(٤) عوف (٥٩ – ١٤٦ هـ) ابن أبي جميلة العبدي البصري : ثقة ، كثير الحديث : ابن سعد ٢١/٧

(٥) النساء : ٢٠ .

« إلاَّ أَنْ يخافا أَنْ لا يُقيما حُدُودَ الله » [1] إلى قولِهِ « فلا جُنَاحَ عليهما فيما افتَدَتْ به » [2] .

وقال بعضُهُم : كِلتَاهُما مُحْكَمَتَانِ ليست إِحْدَاهُما بِنَاسِخَةٍ للأُخْرى . تحريمُ أَخْذِ القِنْطارِ على الظُّلْمِ بغيرِ الحقِّ ، وأَخْذُهُ منها تَفْدِي به نَفْسَهَا لِيَخْلَعَهَا ثم تَأَخُذ فهذه خُصوصٌ وهذه مخصوص .

والباب التاسع : أَنَّ أَصحابَ محمَّدٍ عليه السلامُ اختلفُوا في آيتَيْنِ هَلْ نَسَخَتْ إِحداهُما الأُخرى؟ وحُكْمُهُما جميعاً ثابتَان . ثُمَّ أَجْمَعَتِ العُلماءُ بعد عَصْرهمْ من التَّابِعِيْنَ وَمَنْ بعدَهم عن سُنَّةِ النبيِّ عليه السلام أَنَّ إِحدَاهُما نَسَخَتِ الأُخْرَى ، وأَنها مُبَدِّلَةٌ لبعضِ حُكْمِها ، من ذلك قولُ الله عز وجل « والذين يُتَوفَّون منكم وَيَذَرُونَ أَزْواجاً يتربَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَربعةَ أَشهُرٍ وَعَشْراً » [3] وقولُهُ : « وأَولاتُ الأَحْمالِ أَجلُهُنَّ أَن يضعْنَ حَمْلَهُنَّ » [4] . فاختلَفَ زيدٌ ، وابنُ مسعود ، وابنُ عَبَّاس ؛

---

(١) البقرة : ٢٢٩ .
(٢) البقرة : ٢٢٩ .
(٣) البقرة : ٢٣٤ .
(٤) الطلاق : ٤ .

فقال ابنُ مسعود : انَّ سُورةَ النِساءِ القُصْرى أُنْزِلَتْ بعدُ .

وقال عُتبة [1] : تربَّصُ آخرَ الأَجَلَيْنِ .

والأُمة مُجْمِعةٌ اليوم أَنَّ الآيةَ في الحاملِ قد ثَبَتَ حُكْمُها ، وأَنها لا تَرَبَّصُ آخرَ الأَجَلَيْنِ ، وذلك أَنه ثَبَتَ عن النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أَنَّهُ أَمر سُبيعةَ أَن تتزوَّجَ بعد وفاةِ زوجِها بأَربعينَ يوماً .

ومنه أَيضاً المملوكةُ ؛ يكونُ لها زَوْجٌ يُريد المولى أَن يَعْزِلَ عنها زوجَها وينكحَهَا فأَجمعوا أَنَّ ذلك جائزٌ في بعضِ المماليكِ واختلفوا في بعضِهِمْ ؛ فرأَى جابر [2] ، وأَنسٌ أَنْ بَيْعَهَا طَلاقها ، فرأَوا أَن يَنْكِحَها المُشْتَري ، ويعزلَ زوجَها عنها ، ولا ينكِحها الأَوَّلُ الذي هو زوجُها .

ورأَى ابنُ مَسْعود أَن ينكِحَها زوجُها ، واحتجَّ بقولِهِ « والمُحْصَنَات من النِساءِ إِلاَّ ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ » [3] ، وأَبي ذلك أَكابِرُ أَصحابِ محمَّد صلى الله عليه وسلم ، عمرُ ،

---

(١) عتبة : ابن مسعود ، أخو عبد الله بن مسعود . مات قبل أخيه عبد الله : مشاهير علماء الأمصار ٤٨

(٢) جابر (١٦ ق . هـ – ٧٨ هـ) ابن عبد الله الانصاري السلمي ، أحد المكثرين عن رسول الله (ص) : الإصابة ٢٢٢/١ .

(٣) النساء : ٢٤ .

وعُثمانُ وعليٌّ ، وعبدُ الرحمن بنُ عوف ، وسعد [1] ، رَضِيَ اللهُ عنهم .

وقالوا : لا يجوزُ للمَوْلى أَن يَنْكِحَ أَمتَهُ إذا كان لها زَوْجٌ ، وإن كانت ذِمِّيَّةً تحت ذِمِّيٍّ ، وأَجمعوا جميعاً بعد ذلك أَنَّ ذَواتَ الأَزواجِ إذا سُبين يَنْكِحُهُنَّ مَنْ مَلَكَهُنَّ ، وأَنَّ اللهَ جَلَّ ذِكْرُهُ نَسَخَ ذواتَ الأَزْواجِ من النِساءِ بقوله : « والمُحْصَنَات من النساءِ إلاَّ ما مَلَكَتْ أَيمانُكُم » [2] .

قال أَبو سَعيدٍ الخُدْريُّ ، نَزَلَتْ في سَبَايا أَوطاس [3] . والأُمةُ مُجْمِعةٌ اليومَ أَنه لا يَحِلُّ للمَوَالي أَنْ ينْكِحُوا الأَزواج سوى السبايا ، وأَنَّه قد ثَبَتَ عن النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أَنَّه خَيَّر بَريرةَ من زوجِها بعدما بِيْعَتْ وأُعْتِقَتْ بعد البَيْع ؛ لم يجعلِ البَيْعَ يُزيلُ نِكاحَ زوجِها ، ولو كان البيعُ مُزيلَ النِكاحِ فكان بيعُها طَلاَقَها لكانت حين

---

(١) سعد بن (– ٥٥ هـ) أبي وقاص : مالك بن أهيب . أسلم قديماً . من كبار الصحابة : الإصابة ٨/١٢

(٢) النساء : ٢٤ .

(٣) معجم ما استعجم ٢١٢/١ : واد في ديار هوازن ، وهناك عسكرت هوازن وثقيف ، إذ أجمعوا على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالتقوا بحنين . وانهزم المشركون ، وإلى أوطاس تحيز فلهم بعد أن انهزموا ، ومنهم من تحيز إلى الطائف .

باعَها مولاها من عائشةَ رضي الله عنها واشترتْها منهم وقبضَتْها كان قد زال نِكَاحُها بالبيْع ، وبانَتْ منه.

وقد كان بعضُ مَنْ مضى يرى أَنَّ آيةَ الاستئذان مَنْسوخةٌ ، والعُلَمَاءُ اليوم مُجْمِعَةٌ أَنَّها ثابِتَةٌ ، إِلاَّ أَنَّ بعضَهُم رأَى أَنَّ دَقَّ البابِ يَجْرِي من الاستيذانِ .

وكذلك قولُهُ « لا إِكْراهَ في الدِّيْن » [1] . قال بعضُهم : ليست بِمَنْسُوخَة ، ولكنَّها ثابتةٌ في أَهْلِ الذِّمَّةِ إِذا أَدَّوا الجِزْيَةَ لم يُكْرَهُوا . ورُوِيَ أَنَّ عُمَرَ قال لِغُلامٍ روميٍّ : أَسلِمْ ! فأَبى ، فقال عُمَرُ « لا إِكراهَ في الدين » . وقال قومٌ : هي منسوخةٌ نسخَتْها آيةُ السيف ؛ قولُهُ عز وجل « أُذِنَ للذين يُقَاتَلون بأَنَّهم ظُلِموا ، وإِنَّ اللهَ على (١١٨) نَصْرهمْ لَقَدِير » [2] وغيرهَا من الآي .

ومن ذلك قولُهُ تعالى « يا أَيُّها الذين آمنوا عليكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذا اهتَدَيْتُم » [3] قال بعضُهم : نَزَلَتْ في أَهْلِ الذِّمَّةِ ناسِخةً لِقِتَالِهِمْ مِنْ بين الكُفَّار . وقال بعضُهم: أُريدَ بها آخِر الزمان في الأَمْرِ بالمعروفِ ،

---

(١) البقرة : ٢٥٦ . (٢) الحج : ٣٩ . (٣) المائدة : ١٠٥ .

والنَهْيِ عن المنكر لأَهْلِ الاسْلامِ ؛ اذا غَلَبَتِ الأَهْواءُ ، ولم تَقْبَلِ العامةُ الأَمْرَ بالمعروفِ ، والنهيَ عن المُنْكَرِ مِنَ الأَمْر . وقال بعضُهم : لم تُنْسَخْ ، وإنما معنى قولِهِ تعالى « عليكُمْ أَنْفُسَكُمْ » أَهلَ دينِكم يأْمُرْ بعضُكُم بعضاً ، ثم عَزَّاهم فقال « لا يضركم من ضل »(أَي لا تضرُكم) ضلالةُ الضَّالِّين فائتمِروا بالمَعْروفِ ، وتَنَاهوا عن المُنْكَر كما أَمرتُكُم . وكذلك قولُهُ عزَّ وجَلَّ « فتولَّ عنهم فما أَنت بِمَلُوم » [1] .

حدَّثنا شُريح ، قال حدَّثنا إسماعيلُ بنُ إبراهيم ، عن أَيُّوب السِّخْتياني [2] ، عن مجاهد : قال : خرجَ عليٌّ معتجِراً ببُرْدٍ مشتمِلاً فقال : لمَّا نَزَلَتْ « فتولّ عنهم فما أَنت بِمَلُوم » [3] أَحْزنَّا ، وقُلنا أُمِرَ رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم أَن يتولىَّ عنَّا حتى نَزَلَتْ « وذكِّرْ فإِنَّ الذِكْرى تنفعُ المؤمنين » [4] وقال بعضُهم : لم تُنْسَخْ وإنما أُمِرَ أَن يتولىَّ عن الكافِرِيْنَ وَيُذَكِّرَ المُؤْمنين .

---

(١) الذاريات ٥٤ .

(٢) أيوب السختياني (٦٨ – ١٣١ هـ) هو أيوب ابن أبي تيمية ، واسم أبي تميمة كيسان . كان من سادات أهل البصرة ، وعباد أتباع التابعين ، وفقهائهم . ممن اشتهر بالفضل والعلم والنسك والصلابة في السنة ، والقمع لأهل البدع : العبر ١/١٧٢ .

(٣) الذاريات : ٥٤ .

(٤) الذاريات : ٥٥ .

وكذلك قولُهُ تعالى « ويستَغْفِرون لِمَنْ في الأَرْض » [1] حَدّثَنَا سنُيد ، قال حَدّثَنَا أَبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، « ويستغفرون لمن في الأَرض » قال : للمؤمنين . وقال أَكثرُ العلماءِ : لم يَأْذَنْ للملائكةِ أَن يستغفِروا لِلْكُفَّار ، وإِنَّما معناهُ لِمَنْ في الأَرْضِ خُصوصٌ يَعْني المؤمنين ، ثُمَّ بَيَّنَ في المؤمن ما أَبْهَمَهُ في قولِهِ « لِمن في الأَرض » فقال « ويستغفِرون للذين آمَنُوا » .

والباب العاشر : أَن يُجْمِعَ العُلماءُ على نَسْخِ آيةٍ ثم يختلفون في الناسِخةِ ، ماذا أَوجَبَتْ من الحُكْمِ ، فيُجْمِعوا على حُكْمٍ أَنَّها أَوجَبَتْهُ ، ونَسَخَتْ ما قبلَهُ ، ويختلِفُون في غيرِهِ أَثَبَتَ بالناسِخةِ أَم لا ؟ من ذلك قولُهُ عَزَّ وجَلَّ « والذين آمَنُوا ولم يُهاجِرُوا ما لكُم من ولايَتِهِمْ من شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا » [2] ، وكان الأَعرابيُّ لا يَرِثُ قريبَهُ من المُهَاجِرين ، وكانوا يَتوارَثُون بالهِجْرَةِ ، حَتَّى نَزَلَتْ « وأُولو الأَرحامِ بعضُهم أَوْلَى ببعض » [3] ، فأَجمعوا أَنَّ الآيَةَ الأُولى منسوخةٌ ، وأَنَّ اللهَ جَلَّ ثناؤُهُ أَثبت الميراثَ

---

(١) الشورى : ٥ . (٢) الانفال : ٧٢ . (٣) الانفال : ٧٥ .

بالقرابةِ للمؤمنين ، لا بالهِجْرةِ ممَّن سَمّى اللهُ له الميْراثَ ، وممن لم يُسَمّ له الميراث كالخالةِ ، والعَمّةِ ، وابنةِ الأَخ ، وما أَشبه ذلك فرأَوا أَلاَّ يُرَدّ على الوارِثِ ما فَضَلَ من المال بعدما يُعْطَى ما سَمَّى الله جَلَّ ذِكْرُهُ . وما خلا المرأَةَ والزوجَ إِذا لم يكونوا قَرابةً . ورأَوْا إِنْ لم يَتْرُكْ قَرابةً ممن سَمّى اللهُ جَلَّ ذِكْرُهُ ، وترك قرابةً ممن لم يُسَمّ الله جل ذكره له ميراثٌ ، ورَّثُوهم على مَنَازِلِ قرابتِهِم من المَيتِ ؛

يري ذلك أَهْلُ العراق ، وأَبى ذلك مالِك وأَهلُ المدينة فَقالوا : لا يُرَدُّ على وارث ممن سَمَّى الله عَزَّ وجَلَّ ولا يُوَرَّثُ من لم يُسَمِّ اللهُ جَلَّ ذِكْرُهُ ؛ يَرِثُ الميِّتَ المسلمون ما فَضَلَ عمن سُمّي له الميراث ، وما ترك مَنْ لم يدع وارثاً له مُعيَّناً ميراثاً ، فبيتُ المال أَحقُّ به ؛ قاله زيدُ بنُ ثابت [1] ، وقالَ القولَ الأَوّلَ عدةٌ من أَصحابِ محمَّدٍ صَلَّى اللهُ عليه وسلم ؛ عمرُ ، وعليٌّ ، وابنُ مسعود .

وحدَّثَنَا شُريح : قال حَدّثنا أَبُو سفيان ، عن مَعْمَر ، عن قَتَادَةَ : « والذين آمَنُوا ولم يُهاجروا » [2] قال: كان

(١) زيد بن ثابت (١١ ق . هـ - ٤٥ هـ) الصحابي . الأنصاري ، المقرىء : العبر ١/٥٥٣ .
(٢) الانفال : ٧٢ .

المسلمون يتوارَثون بالهجرة والذين (آخا) النبيُّ صلى الله عليه وسلم بينهم فكانوا يتوارثون بالإسلامِ والهِجْرَةِ ، فكان الرَجُلُ يُسْلِمُ ولا يُهَاجِرُ فلا يَرِثُ أَخَاهُ فَنَسَخَ ذلك : « وأُولوا الأَرْحام بعضُهم أَولى ببعضٍ في كِتَابِ الله من المؤمنين والمُهَاجِرِين » [1] .

والباب الحادي عشر : : أَن يختلِفَ الصدْرُ الأَوّلُ منْ أَصحابِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلم في الآيَتَيْنِ ، أَنسخَت إِحداهُما الأُخرى أَم لم تَنْسخْها ، ثم يُجْمعُ العُلَمَاءُ بعدُ أَنَّ إِحداهُما هي المُحْكَمَةُ ، فمن ذلك قولُهُ « والزانيةُ لا ينكِحُها إِلاَّ زان » [2] ـ رُوي ذلك عن عائشةَ رضي الله عنها ـ ثابتةٌ لم تُنْسَخْ ، وأَنه لا يَحِلُّ ان يَنْكِحَ الزنيةَ إِلاَّ زان . ورُوي عن ابن مسعود مثلُ ذلك . وقد رُوي عنه خلافُ ذلك ـ أَنَّه سُئل عن ذَلِكَ فقرأَ « وهو الذي يقبلُ التوبةَ عن عبادِهِ ويعفُو عن السيِّئات » [3] .

---

(١) الانفال : ٧٥ .

(٢) النور : ٣ .

(٣) الشورى : ٢٥ .

وحدَّثَنَا سنُيد ، قال حَدّثنا هُشيم ، قال حَدّثنا أَبو خُبَّاب [1] ، عن بكر بن خُنيس [2] ، عن أَبيه قال : أَتيتُ ابنَ مسعود ، فسأَله رجُلٌ عن رَجُلٍ زَنَى بامرأَةٍ فَجُدَّا ثم تابا وأَصلحا أَيتزوَّجُها ؟ فتلا هذه الآية (١١٩) « وهو الذي يقبلُ التَوبةَ عن عباده ويعفُو عن السيئات ويعلمُ ما تَفْعَلُون » [3] .

وحدَّثَنا هُشيم ، قال حدّثنا مُغيرة [4] ، عن ابراهيم ، [5] عن علقمةَ [6] ، أَنه سُئل عن ذلك فَتَلاَ هذه الآيةَ إلى آخرِها . وقال قومٌ : نسخَتْها « وانكحوا الأَيامي منكم » [7] وهُنَّ من أَيامى المسلمين .

---

(١) أبو خباب : لا يعرف .

(٢) بكر بن خنيس (– ١٧٠ هـ) الكوفي العابد ، نزيل بغداد . قال ابن معين : ليس بشيء : ميزان الاعتدال ١/٣٤٤ . في الأصل : بكير بن الأخس .

(٣) الشورى : ٢٥ .

(٤) مغيرة بن مقسم : إمام ثقة . روى عن إبراهيم النخعي وأبي وائل والشعبي ومجاهد . وعنه شعبة وهشيم وابن فضيل وجرير . اتهم بالتدليس عن إبراهيم : ميزان الاعتدال ٣/١٦٥ .

(٥) إبراهيم النخعي (٤٧ – ٩٦ هـ) ابن يزيد بن الأسود . كان إماماً ، ثقة ، زاهداً . روى عن خلق ، وروى عنه خلق : طبقات ابن سعد ٦/١٨٨ .

(٦) علقمة بن قيس (٣٢ ق . هـ – ٦٢ هـ) النخعي : من أكبر تلامذة ابن مسعود . روى عن علي وسعد وعمر وعثمان وابن مسعود وجماعة . وعنه خلق أشهرهم ابراهيم : ابن سعد ٦/٥٧ .

(٧) النور : ٣٢ .

حدَّثنا سُنيد ، قال حدَّثنا ابنُ جُريج ، وأَخبرني يحيى بنُ سعيد [1] ، عن ابن المُسَيِّب مثله ، قال : إنهن من أَيامي المسلمين . وقال ابنُ عَبّاس : لم يُرِدْ بهما تحريمَ التزويج ، إنما وصفَ الزانياتِ أَنه لا ينكحوهن (كذا) يعني لا يقَع لَهُنَّ إلاَّ زانٍ مثلُهُنَّ ، وإن كان مسلماً أَو مشرِكاً مستحلاً لذلك ؛ فليست بمنسوخةٍ ولكنها خُصوصٌ في الزاني أَلاَّ يتزوّجَ وهو مُحْرِم ، وفي المُشْرِك المستحِلِّ لذلك . وقال قومٌ يتزوّجُهَا الذي زَنَا بها لأَنَّه هو الذي يُحْصِنُها ولا يتزوَّجُها غيرُهُ . وذهبَ قومٌ إلى أَنَّها منسوخةٌ للتائِبِ لا غيره .

والأُمَّةُ اليومَ مُجْمِعةٌ أَنه لا بأَسَ أَن يتزوَّجَها هو وغيرُهُ ، لأَنَّ أَولَهُ حرامٌ وآخِرَهُ حلالٌ فلا بأَسَ أَن يتزوَّج العفيفُ والزّاني الزانيةَ .

وكذلك قولُهُ « وأَشهِدوا إذا تبايعْتُم » [2] فكان ابن

---

(١) يحيى بن سعيد (١٢٠ – ١٩٨ هـ) ابن فروخ القطان . مولى بني تميم ، كنيته أبو سعيد . كان من سادات أهل البصرة وقرائهم ، ممن مهد لأهل الحديث طرق الأخبار ، وحثهم على تتبع العلل للآثار ، وعنه تعلم رسم الحديث أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وعلي ابن المديني واسحاق بن ابراهيم ، وسائر أئمتنا : مشاهير علماء الأمصار ١٦١ .

(٢) البقرة : ٢٨٢ .

عُمَر ، يُشْهِدُ إذا باع وإذا اشترى ويرى أنها ثابتةٌ لم تُنْسَخْ . وحدَّثنا شُريح ، قال حدّثنا هُشيم ، قال حدَّثنا اسماعيلُ [1] قال قُلتُ للشعبي [2] : أرأيتَ الذي يَشْتري من الرَجُلِ شيئاً حَتْماً عليه أن يُشْهِدَ ؟ قال : أنَسْتَ تتلو قولَهِ تعالى « فإنْ أَمِنَ بعضُكُم بعضاً » فنَسَخَ ما كان قبلَهُ .

حدَّثَنَا شُريح قال حدَّثنا ابنُ أبي زائدة [3] ، قال حدَّثنا الحكمُ [4] ، قال « فإنْ أَمِنَ بعضُكُم بَعْضاً » [5] .

نَسَخَتْ هذه الشهودَ . والعُلماءُ اليوم مُجْمِعةٌ أنها منسوخةٌ ؛ نَسَخَتْها « فإنْ أَمِنَ بعضُكُمْ بعضاً » .

وثَبَت عند العُلماءِ : أنَّ النبيَّ عليه السلامُ بايَعَ رجُلاً فرساً بغير بيِّنةٍ لأنه سألَ الرجُلُ البَيِّنةَ فلم تكُنْ له ،

---

(١) اسماعيل (– ١٤٦ هـ) ابن أبي خالد الأحمسي مولاهم . من تلامذة الشعبي . كان لا يروي إلا عن ثقة : تهذيب التهذيب ٢٩١/١ .

(٢) الشعبي (١٩ – ١٠٤ هـ) عامر بن شراحيل بن عبد ، أبو عمرو الكوفي ، من شعب همدان . روى عن علي وسعد وسعيد بن زيد وزيد بن ثابت وعبادة بن الصامت وأبي موسى الأشعري وأبي هريرة وجرير البجلي والنعمان بن بشير . وعنه خلق كثيرون . قال ابن المديني : ابن عباس في زمانه ، وسفيان الثوري في زمانه ، والشعبي في زمانه : ابن سعد ١٧١/٦ ، العبر ١٢٧/١ ، تذكرة الحفاظ ٧٩/١ تاريخ ابن خياط ٤٧٩/٢ ، تهذيب التهذيب ٦٥/٥ .

(٣) ابن أبي زائدة : يحيى بن زكريا ، الذي ترجمنا له : تهذيب ٢٩٥/١٢ .

(٤) الحكم (– ٢١٣ هـ) ابن محمد ، أبو مروان الطبري . نزيل مكة . روى عن ابن أبي زائدة ، وروى هو عنه ، وثقه العلماء : تهذيب ٤٣٨/٢ .

(٥) البقرة : ٢٨٣ .

فجاءَ خُزيمةُ بنُ ثابت [1] يشهدُ للنبيِّ صلى الله عليه وسلم ، ولم يَحْضُرْ مصدِّقاً للنبي عليه السلام . وقال بعضُهم : لم تكن واجبةً أَن يَشْهد ، وإنما هي دلالةٌ مِنَ الله عَزَّ وجَلَّ لهم على أَن يَسْتَوْثِقُوا من أَمْوالِهم بالكتابِ والسُّنَّةِ لا على الوُجُوب . وكذلك قولُهُ عزّ وجَلَّ « يسأَلونَكَ عن الشَهْرِ الحَرَامِ [2] ، قتالٍ فيه » . فقال عطاء : هي ثابتةٌ لم تُنْسَخْ . وقال جابر : لم يكن النبيُّ صلى الله عليه وسلم يغزو في الشهر الحرامِ إلاَّ أَن يُغْزَى . وحدَّثَنا شُريح ، قال حدَّثنا أَبو سُفيان ، عن معمر ، عن قتادة قال : أُمروا أَلاَّ يقاتِلُوا في الشهر الحرام ؛ فنسخَها « فاقْتُلُوا المشركين حيث وجدْتُمُوهُم [3] » ؛ « لا تُحِلُّوا شعائِرَ الله ولا الشَهْرَ الحرامَ ولا الهَدْيَ ولا القلائِدَ ولا آمِّينَ البيتَ الحَرامَ » [4] ؛ فنسخَ اللهُ جَلَّ ذِكْرُهُ تحريمَ القِتالِ في الشَهْرِ الحَرامِ ، وقتالَ مَنْ أَحْرَمَ من المشركينَ ، أَو قَلَّد مُحْرِماً وهو مُشْرِكٌ ، فأَباحَ قِتالَ هؤلاءِ كُلِّهِم إلاَّ أَن يُسْلِمُوا ، أَو يكونوا أَهْلَ كِتابٍ فيُعطُوا الجِزيةَ .

---

(١) خزيمة بن ثابت الأنصاري : الصحابي ، ذو الشهادتين . قتل في موقعة صفين : مشاهير علماء الأمصار ٤٥ . (٢) البقرة : ٢١٧ . (٣) التوبة : ٥ . (٤) المائدة : ٢ .

وقال سَعِيدُ بنُ المسيِّب وَسُلَيمانُ بن يسار [1] ، وغيرهما : هي منسوخةٌ نَسَخَهَا « فاقتُلُوا المشركينَ حيث وجدْتُمُوهُم » [2]

والامّةُ مُجْمِعةٌ أَنَّ الغَزْوَ في الشهرِ الحرام وغيرِه حلالٌ وطاعةٌ . حدَّثنا عليٌّ بنُ عاصم ، عن يمان [3] ، عن عامر [4] ، قال : لم يُنْسَخْ من المائدةِ شَيْءٌ قال : لا .

وقد أَجمَعَتِ الأُمّةُ اليومَ أَنَّ قولَهُ « لا تُحِلُّوا شعائِرَ الله ولا الشهرَ الحرام ولا الهدْيَ ولا القلائِدَ ولا آمِّينَ البيتَ الحرام » [5] على نَسْخِهَا بقولِهِ : « اقتُلُوا المشركين حيث وجدتُمُوهُم » [6] .

وكذلك قولُهُ عزَّ وجَلَّ « إن تُبْدُوا ما في أَنفُسِكُم أَو تُخْفُوه يُحاسِبْكُم به اللهُ » [7] (الآية) ، فكان ابنُ عمر [8]

---

(١) سليمان بن يسار (٣٤ – ١٠٩ هـ) كان من فقهاء المدينة وعقلائهم وعبادهم . وهو مولى أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث : مشاهير علماء الأمصار ٦٤ . (٢) التوبة : ٥ .

(٣) يمان : ابن أبي اليمان . واسم أبي اليمان عامر بن عبد الله بن لحي الهوزني الحمصي . ذكر ابن حبان أبا اليمان في الثقات . والعلماء على أنه لا يعرف لهما حال : تهذيب التهذيب ٥/٧٥ .

(٤) عامر : والد يمان . (٥) المائدة : ٢ . (٦) التوبة : ٥ . (٧) البقرة : ٢٨٤ .

(٨) ابن عمر (١١ ق . هـ – ٧٣ هـ) عبد الله بن عمر بن الخطاب . لم يشهد بدراً ، وعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد وهو ابن أربع عشرة سنة فلم يجزه ولم يره بلغ . كان من صالحي الصحابة وقرائهم وزهادهم . اعتزل الفتن وقعد في البيت عن الناس : مشاهير علماء الأمصار ١٧ .

يري أنها ثابتةٌ بعد النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم (وبكا) من ذلك لَمّا (قرأها) .

قال وحدَّثنا يزيد [1] ، قال سُفيانُ بن حُسين [2] ، عن الزُّهْريِّ ، عن سَالِم [3] ، أَنَّ أَباهُ قرأَ « وإِنْ تُبْدُوا ما في أَنْفُسِكُم أَو تُخْفُوه يُحَاسِبْكُم به اللهُ » فدمَعَتْ عيناهُ فبلغ صُنْعُهُ ابنَ عَبّاس ، فقال : يرحمُ اللهُ أَبا عبدِ الرحمن ، نسخَتْها « لا يكلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا (١٢٠) لها ما كَسَبَتْ وعليها ما اكْتَسَبَتْ » [4] .

وحدّثَنَا سُليمانُ بنُ داود ، قال حَدّثنا إِبراهيمُ ، عن سعد [5] ، عن ابنِ شهاب ، عمن سَمِعَ سَعيدَ بن مُرجانة [6] يتحدَّثُ أَنه بينما هو جالِسٌ مع عبدِ الله بنِ عمر إِذ تلا عبدُ الله بنُ عمر هذه الآية « وإِنْ تُبْدُوا ما في أَنفُسِكم أَو

---

(١) يزيد بن هارون : ترجمنا له عند الحديث عن شيوخ الحارث ص ١٦ .

(٢) سفيان بن حسين (مات في خلافة الرشيد) أبو محمد الواسطي . روى عن اياس وابن عتيبة ، وابن سيرين وعبد الله بن عمر والزهري وغيرهم . وعنه جماعة منهم يزيد بن هارون . كان ثقة ، لكنه يخطىء في الحديث : تهذيب التهذيب ٤/١٠٧ . في الأصل : ابن حصين .

(٣) سالم (– ١٠٦ هـ) ابن عبد الله بن عمر . كان زاهداً يشبه بعمر بن الخطاب : العبر ١/١٣٠ .

(٤) البقرة : ٢٨٤ .

(٥) سعد بن ابراهيم (٥٥ – ١٧٢ هـ) بن عبد الرحمن بن عوف الزهري . كان قاضي المدينة . وراوي الحديث – إبراهيم – هو ابنه . وثقه العلماء : تهذيب ٣/٤٦٣ .

(٦) سعيد بن مرجانة (– ١٢٠ هـ) لا يصح له عن صحابي سماع : مشاهير ١٤٣ .

تُخْفوه »[1] (الآية) ثم قال : والله إن أَخَذَ بهما لتهلكَنَّ ، ثُمَّ بكى حتى سمعَ نشيجَهُ ابنُ مُرجانة - فقُمْتُ حتَّى أَتيتُ ابنَ عَبّاس ، فذكرْتُ ما تلا ابنُ عُمَرَ من هذه الآية . فقال ابنُ عَبّاس : يغفِرُ اللهُ لأَبي عبدِ الرحمن لقد وَجَدَ المسلمون فيها وَجْداً حين نزلَتْ مثلَ ما وَجَدَ عبدُ الله فأَنزل اللهُ بعدها « لا يكلِّفُ الله نفساً إلاَّ وُسْعَهَا ، لها ما كسبتْ وعليها ما اكْتَسبَتْ » قال ابن عباس : فكانت هذه الوسوسةُ ما لا طاقَةَ للمسلمين به .

فصار الأَمْرُ إلى قضاءِ الله عز وجل : أَنَّ النَفْسَ لها ما كَسَبَتْ وعليها ما اكْتَسَبَتْ في القَوْلِ والعَمَل .

وأَبى ذلك ابنُ عَبّاس وغيرُهُ ، وقالوا : منسوخة .

وحدَّثنا حَجّاج ، عن ابن جُريج ، عن الزُّهريِّ ، عن ابن عَبّاس : لَمَّا نزلَتْ ضَجَّ المُسلمون منها ضجَّةً . وقالوا يا رسولَ الله نتوبُ عن عملِ اليدِ والرجْلِ واللسانِ ، فكيف نتوبُ من الوسوسةِ ؟ كيف نمتنعُ منها ؟ فجاءَ جبريلُ بهذه الآية « لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إلاَّ وُسْعَهَا » إنكم

---

(١) البقرة : ٢٨٤

لا تستطيعونَ أَن تمتنِعوا من الوَسْوَاسِ – لها ما كَسَبَتْ وعليها ما اكْتَسَبَتْ (الآية) .

وقال حدَّثَنَا شُريح ، قال حَدّثَنَا هُشيم ، قال حَدّثَنَا شَيبانُ عن الشَّعبيِّ قال : لَمَّا نَزَلَتْ هذه الآيةُ « وإِن تُبْدُوا ما في أَنفُسِكُم أَو تُخْفُوه » نزلت « لها ما كَسَبَتْ وعليها ما اكْتَسَبَتْ » (الآية) .

حدَّثنا مَروانُ بنُ شُجاع قال حدَّثنا خُصيف ، عن مُجَاهد ، نحوه .

وقال قومٌ من أَهلِ الآثارِ : إِنَّ هذا لا يجوزُ أَن يُنْسَخَ لأَنها خَبَرٌ والخَبَرُ لا يُنْسَخُ .

وقال سائرُ العُلماءُ : هذا وإِن كانَ خبراً فانه إِيجابُ حُكْمٍ مَنْ واخَذَهُ بحديثِ النفس ، ثم رحِمَ اللهُ جَلَّ اسمُهُ خَلْقَهُ ، فرفَعَ عنهم الحُكْمَ بالمواخذةِ لأَنه حُكْمٌ والحُكْمُ يَجُوزُ نَسْخُهُ . وإِنَّما معنى « يحاسِبكم » يواخذكم به اللهُ ، ثم رُفِعَ الحُكْمُ بذلك .

والأُمَّةُ مُجْمِعَةٌ أَنَّها منسوخةٌ .

وسُئل النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم عما يَجِدُ العبْدُ من الوسوسةِ مع ما يُظْهِرون من الكراهةِ [1] لِمَا يجدون فقال : ذَلِكَ صَريحُ الإِيمان .

وقال : تَجَاوَزَ اللهُ لأُمتي عَمّا حَدّثَتْ به نُفُوسَها .

وكذلك قولُهُ تعالى « وإِذا حَضَرَ القسمةَ أَولوا القُربى واليتامى والمساكين فارزُقُوهم منه » [2] فرأَى بعضُهُم أَنها ثابتةٌ ؛ فرأَى أَنْ يُعْطَى من الميراثِ الذين لا يَرِثُون .

وحدَّثنَا شُرَيح ، قال حدثنا هُشيم ، عن أَبي بشر ، عن سعيد بن جُبير ، في قوله (وإِذا حضَرَ القسمةَ)هذه الآيةُ (اختلف) [3] الناسُ فيها .

وحدَّثنا هُشيم قال حدَّثنا منصور ، عن قَتادةَ ، عن يَحْيى بنِ يَعْمر [4] ، قال : ثلاثُ آياتٍ مُحْكَماتٍ ضَيَّعهُنَّ كَثيرٌ من الناس ؛ منهن هذه .

---

(١) في الأصل : يظهر من الكرامة .

(٢) النساء : ٨ .

(٣) في الأصل : دون .

(٤) يحيى بن يعمر (قاضي مرو من قبل قتيبة بن مسلم) من أهل البصرة . كان من فصحاء زمانه ، مع العلم والورع : مشاهير ١٢٦ .

حدَّثنا هُشيم ، عن أَبي إِسحاق عن مُجاهد قال : محكمةٌ وليست بمنسوخةٍ .

حدَّثنا شُريح قال : حدَّثنا هشيم ، عن مغيرة [1] ، عن سَيّار [2] عن إِبراهيم ، قال نسخَتْها العُشْرُ ونصفُ العُشْر . حدَّثَنا هُشيم ، قال حدَّثنا جُبير [3] ، عن الضَّحَّاك ، والكلْبيِّ ، عن أَبي صالح [4] ، قال : هي منسوخةٌ . وروي عن سعيد بن جُبير ، وغيرِه أَنها نَسَخَتْها آيةُ الزَّكاة .

والعلماءُ اليومَ مُجْمِعون أَن المِيراثَ لأَهلِه ولا يُجِبُ إِعطاؤهم إِلاَّ أَنْ يكونَ الوارثُ بالغاً فيتطوَّع فيتصدَّق على أَقْرِبائِهِ . ورأَي بعضُهم أَنها ثابتةٌ لم تُنْسَخْ . وإِنما أُريدَ بها الزكاةُ لا التَّطوُّع .

وحدثنا شُريح ، قال حدثنا هُشيم عن حَجّاج ، عن

---

(١) مغيرة بن مقسم : ثقة مأمون . حديثه في الصحيحين : الميزان ١٦٥/٤ .

(٢) سيار : أبو حمزة الكوفي . ذكره ابن حبان في الثقات : تهذيب ٢٩٣/٤ . وفي الأصل : سيال .

(٣) لم أجد فيمن روى عنهم هشيم أحداً اسمه « جبير » ، وربما كان الاسم محرفاً عن « منصور » بن زاذان (– ١٣١ هـ) وهو أكبر أساتذة هشيم : تذكرة الحفاظ ٢٤٩/١ .

(٤) أبو صالح : مولى طلحة ، ويقال مولى أم سلمة . ذكره ابن حبان في الثقات . وروى عنه الكلبي وغيره : تهذيب ١٣٢/١٢ .

سالم المكي[1] ، عن ابن الحنفيّة[2] ، (يومَ حَصَادِهِ) قال : العُشْر ونصفُ العُشْر .

حدَّثَنا شُريح ، عن ابن عُيينة [3] : عن ابن أَبي نَجِيح [4] ، عن مُجَاهِد : وعندَ ذِرايَتِهِ .

وكذلك قولُهُ عَزَّ وَجَلَّ « إِنْ تَرَكَ خيراً الوصيّةُ للوالِدَيْن والأَقربِيْنَ » [5] ، فَزَعَمَ قومٌ من الصَدْرِ الأَوّلِ أَنَّ اللهَ جَلَّ ذِكْرُهُ نَسَخَ الآيةَ كُلَّها فَنَهَى عن الوصيةِ لِمَنْ يَرِث ، وأَنَّ الواجِبَ للأَقربِيْنَ الذين لا يَرِثون في الثُلُث ؛ قال ذلك طاوسٌ [6] والضَّحَّاكُ .

وقال بعضِهُم : هِيَ تَطَوُّعٌ إِلاَّ أَنه ليس له أَنْ يُوصيَ إِلاَّ في الذين لا يَرِثُون .

---

(١) سالم المكي (– ٩٦) مولى فاطمة بنت عتبة بن ربيعة ، وهو ابن خباب . أبو عبد الرحمن . مات سنة ست وتسعين : مشاهير علماء الأمصار ٧٣ .

(٢) ابن الحنفية (٢ – ٨٢ هـ) محمد بن علي بن أبي طالب : كان عالماً فاضلا . ويرى الكيسانية من الشيعة أنه لم يمت ، بل هو مقيم بجبل رضوى عنده عسل وماء : العبر ٩٣/١ .

(٣) ابن عيينة (١٠٧ – ١٩٨ هـ) سفيان ، الهلالي ، مولاهم . أصله من مكة ، ومولده بالكوفة . سمع الزهري والكبار . قال الشافعي : لولا مالك وابن عيينة لذهب علم الحجاز : العبر ٣٢٦/١ .

(٤) ابن أبي نجيح (– ١٣١ هـ) هو عبد الله بن يسار . سكن المدينة ثم مكة . كان من العلماء بالقرآن : مشاهير علماء الأمصار ١٤٥ .

(٥) البقرة : ١٨٠ .

(٦) طاوس (– ١٠١ هـ) بن كيسان الهمداني الخولاني . أمه من أبناء فارس ، أبوه من النمر بن قاسط . كنيته أبو عبد الرحمن . من فقهاء اليمن وعبادهم وخيار التابعين وزهادهم . مرض بنجد وتوفي بمكة : مشاهير علماء الأمصار ١٢٢ .

وقال قومٌ : له أَن يوصِيَ بِثُلُثِهِ في الأَقْرَبِيْنَ فيمن شَاءَ . وقال جُلُّ الناس : لم تُنْسَخْ ، وإِنما أَرادَ بها الوالدَيْنِ والأَقربِينَ الذين لا يَرِثُون مِن الكُفَّار المماليك ، ومَنْ لم يَرِثْ من القَرَابةِ .

والامَّةُ اليومِ مُجْمِعَةٌ أَنها ليست بواجبةٍ ، وإِن أَراد (١٢١) أَن يَتَطوَّعَ فله أَن يوصيَ لِمَنْ أَحبَّ .

وكذلك قَولُهُ « ومن يَقْتُلْ مؤمناً متعمِّداً » [١] فقال ابنُ عَبّاس : مُحْكَمة ، وأَنَّ قولَهُ « متعمِّداً » أُنزلت بعد (التي) في الفُرْقان بِسَنَةٍ [٢] . وقال أَبو هريرةَ : لا يدخُلُ الجَنَّة . وقال الضَّحاك : نزل قولُهُ الأَوّل « مَنْ تاب » قبل قوله « متعمِّداً » بسبعِ سنين . وروى الحَسَنُ عن النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم « نازلتُ ربي في قاتِلِ المؤمنين أَن يجعَلَ له توبةً فأَبى أَن يجعلَ له توبةً » [٣] .

---

(١) النساء : ٩٣ .

(٢) الآية التي في الفرقان قوله تعالى (٦٧ – ٧٠ : والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ، ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق أثاما . يضاعف له العذاب يوم القيامة و يخلد فيه مهانا . الا « من تاب » وآمن وعمل عملا صالحاً . فأولئك يبدل الله سيئاتهم صفات ، وكان الله غفوراً رحيماً) .

(٣) القرطبي ٣٣٢/٥ : وعن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما نازلت ربي في شيء ما نازلته في قتل المؤمن فلم يجبني .

والعُلماءُ اليوم مُجْمِعةٌ أَنها نَسَخَتْها التَوْبةُ ؛ فَمَنْ تابَ أَجمَعَتْ جميعُ الأُمّةِ موافِقُها ومُخالِفُها (على قبول توبته) إلاَّ رَجُلٌ واحدٌ فإنه خَرَجَ عن الإِجْماع [1] .

والباب الثاني عشر : أَنْ تختلِفَ الأُمّةُ في الشيءِ ؛ أَوَّلِها وآخِرِها في آيَتَيْن هل نَسَخَتْ إحداهما الأُخرى ؟ ثُمَّ لا يُجْمِعُونَ على واحدٍ من القَولَيْنِ . من ذلك قولُه عَزَّ مِنْ قائِلٍ في أَهْلِ الذِّمَّةِ « فإِنْ جاؤك فاحكم بينهم أَو أَعْرِضْ عنهم » [2] ؛

(فاختلف) في ذلك العُلماءُ .

فقال قَومٌ من أَهْلِ العِراق : الآيةُ محكَمةٌ لم ينسخْها شيءٌ ، ورويَ ذلك عن عليِّ بن أَبي طالب رضي الله عنه ، أَنه كَتَبَ إلى محمد بن أَبي بكر [3] في نصرانيةٍ زَنَتْ أَن ادفَعْهَا إلى أَهلِ دينِها ، فرأَى أَنَّ آيةَ التخْيير ثابتةٌ ، فلذلك أَمره أَن يَتْرُكَ الحُكْمَ فيها ويدفَعَها إلى أَهْلِ دينِها

---

(١) هو عبد الله بن عباس . ففي القرطبي ٣٣٣/٥ : روى البخاري عن سعيد بن جبير قال : اختلف فيها أهل الكوفة ، فرحت فيها إلى ابن عباس فسألته عنها فقال : نزلت هذه الآية (ومن يقتل مؤمناً متعمداً ...) وهي آخر ما نزل وما نسخها شيء . (٢) المائدة : ٤٢ .

(٣) محمد بن أبي بكر (١٠ – بعد صفين) أمه أسماء بنت عميس الخثعمية ، وكان يكنى أبا القاسم . قتل في ولاية علي بن أبي طالب في مصر . قتله رجال معاوية : مشاهير ١٩ .

وأبى ذلك كَثيرٌ من العُلَمَاءِ ، وقالوا : ليس للمَوَالِي إذا ارتفعوا اليه إلاَّ أَنْ يحكُمَ بينَهم . وقالوا : نسخَتْها بعدَها قولُهُ « وأَن احكُمْ بينَهم بما أَنزل اللهُ ولا تتَّبِعْ أَهواءَهم » (١) قال ذلك الشعبيُّ ، ومجاهدٌ ، وعكرمةُ ، وقَتَادةُ ، وغيرهُمْ .

حدَّثَنَا شُريح قال : حدَّثنا هُشيم ، عن منصور (٢) ، وغيرِهِ عن الحكَم ، ومُجاهِد في قوله تعالى « وأَنِ احكُمْ بينهُمْ بما أَنْزَلَ اللهُ » قال : نَسَخَتْ ما كان قبلَهَا « فاحكُمْ بينهم أَو أَعرِضْ عنهم » . حدَّثنا شُريح قال : حدثنا وكيع (٣) عن سفيان ، عن الساري (٤) ، عن عكرمة « فإِنْ جاوكَ فاحكُمْ بينهم أَو أَعْرِضْ عنهم » نسختها « وأَنِ احكُمْ بينهم بما أَنْزَلَ الله » إليك .

واخْتَلَفوا في قوله « واذا خاطبَهُمُ الجاهلونَ قالوا سلاَما » (٥) . فقال أَكثرُ العلماءِ : لم تُنْسَخْ ، وقال أَقَلُّهُمْ :

---

(١) المائدة : ٤٩ .

(٢) منصور (– ١٣١ هـ) ابن زاذان . من الصالحين المتقشفة ، ممن تفرغ للعبادة ، وتلبس جلباب الزهادة ، ورفض الناس وما هم بحذافيره : مشاهير ١٧٦ .

(٣) وكيع (١٢٩ – ١٩٦ هـ) ابن الجراح الرؤاسي ، أبو سفيان . من الحفاظ المتقنين وأهل الفضل في الدين . ممن رحل وكتب وجمع وصنف وحفظ وحدث وذاكر وبث : مشاهير علماء الأمصار ١٧٣ .

(٤) الساري : لم أجد بين شيوخ سفيان أحداً بهذا اللقب .

(٥) الفرقان : ٦٣ .

نَسَخَ منها في الكُفَّارِ قَوْلَهُ « واقتُلُوهُمْ حيثُ وجدْتُمُوهُمْ » [1] .

حَدَّثَنَا شُرَيح ، قال : حدَّثنا هُشيم ، عن عَبّاد ، عن الحَسَن « وعبادُ الرحمنِ الذين يَمْشُون على الأَرْضِ هَوْناً ، وإذا خاطَبَهُمُ الجاهلون قالوا سَلاَماً » [2] .

قال : نُسِخ في براءَةَ ، وأُمِرَ بالقتال .

وأَبى ذلك العلماءُ إلاَّ أَنَّه أَثْنَى على المؤمنين بالحِلْمِ ، ولم يُرِدْ بذلك قتالَ المشركين . والامة اليوم مجمعةٌ (أَنها ليست بمنسوخة) إلاَّ الحسن فيدخل في الباب الذي أَجمعوا ؛ (لا أَنّ) آخِرَ الأُمّةِ غلِطَتْ فيه [3] .

وكذلك قولُهُ تعالى « وعلى الذين يُطيقونَهُ فدْيةٌ طَعَامُ مسكين » [4] . فقال بعضُ العلماءِ : نزلت فيمَن يُطيقُ الصِيامَ ؛ فخيَّرَهُ اللهُ جَلَّ ذِكْرُهُ إنْ شاءَ صَامَ ، وإن شاءَ أَفطر ، وأَطعم مسكيناً ولم يَصُمْ ، فَنَسَخَ الله جَلَّ

---

(١) النساء : ٨٩ .

(٢) الفرقان : ٦٢ .

(٣) في الأصل : وأنها ليست بمنسوخة . والامة اليوم مجمعة الا الحسن يدخل في الباب الذي أجمعوا ، آخر الأمة غلطت فيه .

(٤) البقرة ١٨٤ .

وعَزّ هذه الآيةَ بقولِهِ « فَمَنْ شَهِدَ منكُمْ الشَهْر فليصُمْهُ » [1] وقرأَ مَنْ قال ذلك بالتخفيف وهو أَكثَرُ العلماءُ فقرأَ « وعلى الذين يطيقونه » خفيفة .

حَدَّثَنَا شُريح قال : حدَّثنا بكار بنُ عبد الله الرَبَذي [2] عن موسى بن عُبيدة ، عن محمَّد بن كعب [3] « وعلى الذين يُطيقونه فديةٌ طعامُ مسكين » فنسخَتْها « فَمَنْ كان منكم مريضاً أَو على سَفَرٍ فَعدَّةٌ من أَيامٍ أُخَر » [4] .

وقالت فرقةٌ : ليست بمنسوخة ، إِنما أَنزلَهَا اللهُ في الشَيْخِ الكبير والحَامِلِ والمُرْضِعِ ، وَمَنْ به العَطَشُ ، مِمَنْ يكونُ الصومُ عليه شديداً ، فجعل اللهُ له أَن يُطْعِم مسكيناً ؛ إِلاَّ أَنهم مُجْمِعُون على اختلافِهِمْ في الشَيْخِ أَنَّ للشيخِ أَن يُفطِر ويُطْعِمَ .

(ومن) ذلك قولُهُ تعالى « خُذِ العفْو وأْمُرْ بالعُرْف» [5] ،

---

(١) البقرة ١٨٥ .

(٢) في الأصل : الزيدي . وقد ترجمنا له .

(٣) محمد بن كعب (– ١٠٨ هـ) بن سليم القرظي ، أبو حمزة . من عباد أهل المدنية ، وعلمائهم بالقرآن : مشاهير علماء الأمصار ٦٥ .

(٤) البقرة ١٨٥ .

(٥) الأعراف ١٩٩ .

حدّثنا شُريح ، قال حدّثنا اسماعيلُ بن ابراهيم [1] ، عن ليثٍ عن مُجَاهد « خُذِ العَفْو » قال : خُذْ ماعفا لَكَ من أَخْلاقِهِمْ .

وكذلك قولُهُ تعالى « وفي أَمْوالِهِمْ حَقٌّ معلومٌ . للسَّائل والمَحْروم » [2] واختلفوا فيه ؛ فقال أَكْثَرُهُم : نُسِخَ بالزكاة . وقال الكلبيّ : كان هذا قبلَ أَن يُؤْمَرَ بالزَّكاة ، ثم نُسِخَتْ بالزكاة .

وكذلك قوله تعالى « فإِما مَنًّا بعدُ وإِمّا فِدَاءً » [3] قال بعضُهُم : نَسَخَتْها « فإِمّا تثقفنَهّم في الحربِ فشرِّدْ بهم مَنْ خَلْفَهُمْ » [4] قاله [5] قتادة .

حدَّثَنَا سَعِيد [6] حَدَّثَنَا وكيع ، عن سُفيان ، عن جابِر قال : يُمَنُّ على الأَسير (١٢٢) أَو يُفَادَى . حدثنا أَبو سفيان ، عن معمر ، حدثني رجل من أَهل الشام ممن كان يحرس عمر قال : ما رأَيت عمر قَتل الا أَسيراً

---

(١) اسماعيل بن ابراهيم (– ١٦٩ هـ) ابن عبد الرحمن المخزومي القرشي : مشاهير ١٣٠ .
(٢) المعارج ٢٥ . (٣) محمد : ٤ . (٤) الأنفال : ٥٧ . (٥) أي القول السابق .
(٦) سعيد بن عامر الضبعي (١٢٢ – ٢٠٨ هـ) أبو محمد البصري . روى عن جماعة من الثقات . وعنه خلق بينهم الحارث المحاسبي . وأخطأ ابن حجر فذكر الحارث ابن أبي أسامة . وثقه الأئمة : تهذيب التهذيب ٤/٥٠ .

واحدا . حدثنا مُبَشِّرٌ الحلبيُّ [1] ، عن أَبي بكر بنِ عبدِ الله بن أَبي مريم [2] ، قال : أُتِيَ [3] عُمَرُ بنُ عبد العزيز بِرَجُلٍ من أَهْلِ فارس فبينما هو يُحاوِرُهُ إِذ قال الأَسيرُ : أَمَّا واللهِ لَرُبَّ رَجُلٍ من المسلمين قد قَتَلْتُهُ ، قال : فأَمر به فضُرِبَتْ عنقُهُ ، وقال : لا أَستَبْقيه على ما قال .

حدَّثَنَا مُبَشِّر ، عن صَفْوان بنِ عمروٍ [4] عن الأَزهر بن عبد الله الحرازي [5] ، أَنَّ الأَسيرَ كان معه فلم يقتُلْهُ ، وأَبو سُفيان عن مَعْمَر ، عن الحَسَن ، قال : لا يُقْتَلُ الأَسيرُ إِلاَّ في الحرب .

أَبو سُفْيان عن مَعْمَر عن قتادة « فامّا مَنّاً بَعْدُ » قال نَسَخَتْها « فإِمّا تَثْقَفَنَّهُمْ في الحَرْبِ فَشَرِّدْ بهم مَنْ خَلْفَهُمْ »

---

(١) مبشر الحلبي (– ٢٠٠ هـ) ابن اسماعيل ، أبو اسماعيل الكلبي مولاهم. روى عن جماعة من الشاميين ، وعنه جماعة من البغداديين ، وكان ثقة ، مأموناً : طبقات ابن سعد ١٧٣/٧ .

(٢) أبو بكر بن عبد الله بن أبي مريم : الغساني . كان كثير الحديث ، ضعيفاً ، وقد رويت عنه رواية كثيرة ، وكان عابداً : ابن سعد ١٧٠/٧ .

(٣) في الأصل : أوتي .

(٤) صفوان بن عمرو (– ١٥٥ هـ) بن هرم السكسكي الحضرمي ، أبو عمرو ، من صالحي أهل الشام وخيارهم ومتقني أتباع التابعين وأبرارهم . يقال انه أدرك أبا أمامة الباهلي ، وفي ذلك نظر : مشاهير علماء الأمصار ١٧٩ .

(٥) الأزهر بن عبد الله الحرازي : الحمصي . روى عن بعض الصحابة . وهو ثقة إلا أنه سيء المذهب : تهذيب ٢٠٤/١ . وفي الأصل : الأزهر بن مالك بن عبد الله الختعي ؟

وكَرِهَ قَتْلَه الحَسَن وعطاء وغيرُهُ قال : إنْ شاءَ الإمام مَنَّ ، وإن شاءَ فادى .

وقال ابن عَبّاس : هو مخيَّرٌ إنْ شاءَ قَتَلَ ، وإن شاءَ فادى ، وإن شاءَ مَنَّ .

وكذلك القولُ ؛ لأَنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّم قد قَتَل ومَنَّ وفادى .

وكذلك قولُهُ تعالى « ولا تجَادِلُوا أَهْلَ الكِتاب إلاَّ بالتي هي أَحْسَنُ » [1] . حدَّثنا شريح ، قال : حَدَّثنا أَبو سُفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، « ولا تُجادِلُوا أَهْلَ الكِتابِ إلاَّ بالتي هي أَحْسَنُ » قال نَسَخَتْها « فاقتُلُوا المشركين » ولا مُجَادَلَةَ أَشدّ من السَيْف .

حدَّثنا يحيى بنُ بُكير ، عن سالِم عن سَعيد ـ أَو مجاهد « ولا تُجَادِلُوا أَهْلَ الكِتاب إلاَّ بالتي هي أَحْسَنُ إلاَّ الذين ظَلَموا منهم » [2] أَهْل الحربِ ، فجادِلُوهُمْ بالسَيْف [3] .

---

(١) العنكبوت : ٤٦ . (٢) العنكبوت : ٤٦ .

(٣) الطبري ٢/٢١ ـ ٣ : ا ـ حدثني علي بن سهل قال ثنا يزيد عن سفيان عن خصيف عن مجاهد في قوله : ولا تجادلوا ... قال : من قاتل ولم يعط الجزية .

الباب الثالث عشر : الناسخُ والمنسوخُ الذي أَجمَعَتْ عليه الأُمةُ أَنه ناسخٌ فَمنْسوخٌ لا يَخْتَلِفُونَ في ذلك . وهو مُثْبَتٌ (في) الكتابِ ؛ (من) ذلك ما نُسِخَ حكمه كقولِهِ عزَّ وجَلَّ « وأَعرِضْ عن الجاهِلِين » [1] ، « واصفحِ الصَفْحَ الجميل » [2] ، « فاصفَحْ عنهم وقُلْ سَلامٌ » [3] « وامهِلْهُم رُويداً » [4] « وذرِ الذَين اتَّخذوا دينَهُم هُزُواً ولَعِباً » [5] ، « فَذَرْهُم في غَمْرتِهِمْ حَتَّى حين » [6] « قُلْ للذِين آمَنُوا يَغْفِروا للذين لا يَرْجُون أَيَّامَ الله » [7] « وما أَرْسلْناكَ عليهِم حَفِيظاً » [8] ، « وما أَنتَ عليهِمْ بِوَكيلْ » [9] « فاعرضْ عنهم وانْتظِرْ » [10] وما أَشبهَ ذلك نَسَخَهُ اللهُ بقولِهِ « أُذِنَ للذين يُقَاتَلُون بأَنَّهم ظُلِموا ، وإِنَّ اللهَ على نَصْرِهم لَقَدير » [11] .

ب – حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن شريك عن سالم عن سعيد : ولا تجادلوا أهل الكتاب ... قال : أهل الحرب من لا عهد له ، جادله بالسيف ... وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال : عنى بقوله : الا الذين ظلموا منهم . الا الذين امتنعوا عن أداء الجزية ، ونصبوا دونها الحرب .

(١) الأعراف : ١٩٩ . (٢) الحجر : ٨٦ . (٣) الزخرف : ٨٩ .
(٤) الطارق : ١٧ . (٥) المائدة ٥٧ . (٦) المؤمنون : ٥٤ .
(٧) الجاثية ١٤ . (٨) النساء ٨٠ . (٩) الانعام ١٠٧ ، الشورى ٦ ، الزمر ٤١ .
(١٠) السجدة ٣٠ . (١١) الحج ٣٩ .

ومن ذلك قولُهُ « لا ينْهَاكُمُ اللهُ عن الذين لم يُقاتِلُوكُمْ في الدِّيْنِ » (١) وقولُهُ « فإن اعتزلُوكُم فلم يُقاتِلُوكُم ، وألقوا إليكم السَلَم فما جَعَلَ اللهُ لَكُمْ عليهِم سَبيلاً » (٢) نَسَخَ ذلك قولُهُ تعالى « اقتُلُوا المشركين حيثُ وجدتُمُوهُ » (٣) وَأَمّا قولُهُ « ولا تقاتِلُوهم عند المسجِدِ الحرامِ حتَّى يُقاتِلُوكم فيه » (٤) فإن اللهَ عَزَّ وجَلَّ نَسَخَها ساعةً من نهار لنبيِّه صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم ثم أَعاد تحريمَهَا كما كان ، فَلا يَحِلُّ قِتالُها أَبداً ، إلا أَن يبتدىءَ المُشركون فيها بالقِتال ، فيحلّ القتالُ للمُسلم إذا بدؤُوهُ لقولِهِ « ولا تُقاتِلوهم عند المسجِدِ الحرامِ حَتَّى يُقاتِلُوكُم فيه » (٥) (الآية) فنسخَها اللهُ لنبيِّهِ ساعةً من نهارٍ بقولِهِ « فقاتِلوا أَئِمَّةَ الكُفْرِ إنهم لا أَيمانَ لَهُمْ » (٦) إلى قولِهِ « وهم بدؤُوكُم أَوّلَ مَرّة » (٧) إلى قولِهِ « وَيَشْفِ صُدورَ قومٍ مؤمنين » (٨) يعني خُزَاعَةَ من بني بكر ، حلفاءِ قُريش ،

---

(١) الممتحنة ٨ .
(٢) النساء ٩٠ .
(٣) التوبة ٥ .
(٤) البقرة ١٩١ .
(٥) البقرة ١٩١ .
(٦) التوبة ١٢ .
(٧) التوبة ١٣ .
(٨) التوبة ١٣ .

فقاتَلَتْ بنو بَكْرٍ خُزاعَة ، وكان بين أَهلِ مَكَّةَ وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم صلحٌ [1] ، فأَرسَلَتْ قُريش من أَهْلِ مَكَّةَ إلى بني بكر (فطال ؟) [2] كان ذَلِكَ نَكْثاً لِعَهْدِهِمْ ، فأَذِنَ اللهُ لنبيِّهِ أَنْ يأتيَهُمْ في الحَرَم ، ويبدأَهُم بالقِتال ، فسار إليهم النبيُّ عليه السلامُ فقاتَلَهُمْ في الحَرَم ، فلمّا فَتَحَ لنبيِّه عليه السلام مَكَّةَ وفَرَغَ من قتالِهِم قال « لا قتال بين أَحَدٍ » فنقول لهذا : أَحلَّها لرسولِ الله صَلَّى الله عليه وسَلَّم . وإِنَّما أَحلَّها ساعةً من نهارٍ ، ثُمَّ عادَتْ كما كانت لا يَحِلُّ فيها قِتالٌ ولا (يُخْتَلا) خَلاَها ، ولا يُعْقَرُ صيدُها ، ولا يُعْضَدُ شَجَرُها ؛

وقد رُوِيَ عن قتادة انه نَسَخَ قولَهُ « ولا تقاتِلُوهم عند

---

(١) في الأصل : صلحاً .

(٢) ابن سعد ٢/٩٧ : كلمت بنو نفاثة – وهم من بني بكر – أشراف قريش أن يعينوهم على خزاعة بالرجال والسلاح ، فوعدوهم ووافوهم بالوتير متنكرين متنقبين ، فيهم صفوان بن أمية وحويطب .. فبيتوا خزاعة ، فقتلوا منهم عشرين رجلا .

وفي سيرة ابن هشام ٢/٣٩٠ : ورفدت بني بكر قريش بالسلاح ، وقاتل معهم من قاتل من قريش بالليل مستخفيا ، حتى حازوا خزاعة إلى الحرم .

وفي عيون الأثر ٢/١٦٤ : ورفدت قريش بني بكر بالسلاح ، وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفياً .

المسجد الحرامِ » [1] بقولِهِ « اقتُلُوا المشركين حيثُ وجدتموهُم » [2] فليس كما قال . ما زالَ أَصحابُ محمَّد صلى الله عليه وسلم والتَّابعونَ إلى عَصْرِنا (مُجْمِعِيْن) [3] أَنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أَخبر أَنه قد عادَتْ حُرْمَتُها .

حدَّثَنَا أَبو إِسحاق ، عن عُثمان بن عطاء [4] ، عن أَبيه عن ابنِ عَبّاس قال : قالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ « فإِن تَوَلّوا فخُذُوهم واقتُلُوهم حيث وجدتُمُوهُم ولا تَتَّخِذُوا منهم وليّاً ولا نَصِيراً إِلاَّ الذين يَصِلُون إِلى قومٍ بينكم وبينهم »[5] (١٢٣) إِلى قوله « سُلْطاناً مُبيناً » [6] ، قال : « لا ينهاكُمُ اللهُ عن الذين لم يُقاتِلُوكُم في الدين » [7] إِلى قوله « فامتحِنوهُنَّ » ثم نسخَ هؤلاءِ الآياتِ فأَنزل : « براءَةٌ من اللهِ ورسولِهِ » [8] إِلى قوله « ونفصِّلُ الآياتِ لقومٍ يعلمون » وأَنزل « وقاتِلوا المشركينَ كافَّةً » [9] إِلى قوله

---

(١) البقرة ١٩١ . (٢) التوبة ٥ . (٣) في الأصل : مجمعون .

(٤) عثمان بن عطاء (– ١٥٥ هـ) بن أبي مسلم الخراساني . ضعفه أكثر العلماء . يروي عن أبيه وغيره . وعنه ابنه محمد وابن شعيب : الميزان ٣/٤٨ .

(٥) النساء ٨٩ ، ٩٠ . (٦) النساء ٩١ . (٧) الممتحنة : ٨ .

(٨) التوبة : ١ . (٩) التوبة : ٣٦ .

« المُتَّقين » ، « وإن جَنَحُوا للسَّلم فاجْنَحْ لها » [1] ثُمَّ نَسَخَ هذه بقولِهِ « قاتِلوا الذين لا يُؤمِنون باللهِ ولا باليومِ الآخِرِ ، ولا يُحَرِّمونَ ما حُرِّمَ اللهُ ورسولُهُ » [2] .

وأَمَّا قولُهُ « ويسأَلونَكَ ماذا يُنْفقون » ؛ [3]

فحدّثنا شُريح [4] قال : حَدّثنا (مروانُ بنُ) مُعاوية [5] ، قال : حَدَّثنا ابنُ أَبي ليلى [6] عن الحَكَمَ [7] عن مِقسم [8] عن ابنِ عَبّاس في قولِهِ « ويسأَلونَكَ ماذا يُنْفِقون قُلِ العَفْوَ » [9] قال : العَفْوُ ، الفَضْلُ عن العِيال . ثُمَّ نَسَخَ ذلِكَ بالزَّكاة .

---

(١) الأنفال : ٦١ . (٢) التوبة : ٢٩ . (٣) البقرة : ٢١٩ .

(٤) هو ابن يونس : ترجمنا له عند الحديث عن شيوخ الحارث : وضبطه ابن حجر في التهذيب ٤٥٧/٣ : سريج ، وشيخه مروان بن معاوية .

(٥) مروان بن معاوية (– ١٩٣ هـ) ابن الحارث بن أسماء بن خارجة بن حصن ، أبو عبد الله الكوفي الحافظ . سكن مكة ودمشق . روى عنه ابن معين وابن حنبل وابن راهويه وابن يونس وابن المديني وسعيد بن منصور . ثقة ثبت ما حدث عن المعروفين : تهذيب ٩٧/١٠ وفي الأصل : معاوية .

(٦) عبد الرحمن بن أبي ليلى (١٨ – ٨٣ هـ) من كبار التابعين . ثقة ، ثبت ؛ مشاهير علماء الأمصار ١٠٢ .

(٧) الحكم بن عتيبة (٥٠ – ١١٥ هـ) أبو عمرو الكوفي . كان في أصحابه كالزهري في أصحابه . وكان ثقة ، فقيهاً ، عالماً ، عاليا ، رفيعاً ، كثير الحديث : ابن سعد ٢٣١/٦ .

(٨) مقسم : ابن بجرة ، أبو القاسم ، روى عن ابن عباس وعائشة وعبد الله بن عمرو وأم سلمة وجماعة . وعنه الحكم بن عتيبة وميمون بن مهران وآخرون . لا بأس به ، لكن المحدثين شكوا في سماع الحكم بعض الأحاديث عنه : تهذيب ٢٨٨/١٠ .

(٩) البقرة : ٢١٩ .

وكذلك قولُهُ تعالى « واللذان يأتيانِها منكم فآذُوهُما فإنْ تَابَا وأَصلحا فأَعرِضوا عنهما [1] » وقوله « فأَمْسِكُوهُنَّ في البيوت حَتَّى يتوفَّاهُنَّ الموتُ أَو يجعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبيلا » [2] فأَنزل اللهُ « الزانيةُ والزاني فاجلدوا كلَّ واحد منهما مائةَ جلدة » [3] فنسخ الله حَدّ البِكْرَيْنِ من الأَذى والحَبْس والجَلْدِ ، بالتَّبْيينِ بما بيّن النبيُّ عليه السلام عَن اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لأَنَّ اللهَ تبارك وتعالى قال : « حَتَّى يتوفَّاهُنَّ الموتُ أَو يجعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبيلا » [4] فأَمرهم بانْتِظارِ السبيل ، فقال النبيُّ عليه السَّلامُ « خُذُوا عني قد جَعَلَ اللهُ لَهُنَّ سبيلاً ، البكرُ بالبكرُ جَلْدُ ماية ورجْمٌ بالحجارة » وقال عُمَرُ رضي الله عنه : كُنَّا نقرأُ فيما أَنزل اللهُ « الشيخُ والشيخةُ إِذا زَنَيا فارجُموهُما أَلبتَّة » فَنسَخَ حَدّ البِكْرَيْنِ بالجَلْدِ ، ونسخ الثِّيبَيْنِ بما كان نَزَلَ في القرآنِ من الرَجْم ، ثم رُفِعَ رَسْمُهُ من الكتاب وبقيَ وُجوبُهُ .

وقولُهُ « ما أَدْري ما يُفعل بي ولا بِكم » ؛

حدَّثنا شُريح ، قال حدَّثنا أَبو سُفيان عن مَعْمَر قال :

---

(١) النساء : ١٦ . (٢) النساء : ١٥ . (٣) النور : ٢ . (٤) النساء : ١٥ .

قد بَيَّنَ ؛ قد غَفَرَ اللهُ له ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِهِ وما تأَخَّر .

وأَبى أَكْثَرُ العُلماءِ ، وقالوا : إِنما أَرَاد ما يُفْعَلُ بي ولا بكم ، ما أَدري ما أُومَرُ به أَنا وأَنتم .

وكذلك « إِني أَخَافُ إِنْ عصيتُ ربِّي عَذابَ يومٍ عظيم » [1] .

حدثنا شُريح قال : حَدَّثنا سُفيان عن مَعْمَر عن قَتَادَةَ قال : نَزَلَتْ على النبيِّ عليه السلامُ « ليغفِرَ لك اللهُ ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِك وما تَأَخَّرَ » [2] بين مَكَّةَ والحُديبية .

وقال بعضُهُم : إِنما عَنَى بذلك ما أَدري أَن يحْدث من أَمْرٍ أَو حُكْمٍ فِيّ وفيكم ؛

والعُلَمَاءُ على أَنها منسوخةٌ .

ونَسَخَ قولَهُ : « ويسأَلُونَكَ عن الخَمْرِ والمَيْسِرِ قُلْ فيها إِثْمٌ كَبير » [3] ، وقولَهُ « لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وأَنتم سُكارى حَتَّى تعلموا ما تقولون » [4] ، بقولِهِ عَزّ وجَل

---

(١) يونس : ١٥ . (٢) الفتح : ٢ . (٣) البقرة : ٢١٩ . (٤) النساء : ٤٣ .

« إنما يُرِيدُ الشَيْطانُ أَن يُوْقِعَ بينكُم العداوةَ والبغضاءَ في الخَمْرِ والمَيْسِرِ » [1] إلى قوله « فَهَلْ أَنتم مُنْتَهُون » .

وكذلك قولُهُ « وصيةً لأَزواجِهم مَتَاعاً إلى الحَوْل » [2] نَسخَ اللهُ ذلك بقولِهِ « وَلَهُنَّ الربعُ مِمّا تركْتُم » [3] فقسّم اللهُ لهنّ الميراثَ ، ونَسَخَ الوصِيَّةَ لَهُنَّ . وقال بعضُ العُلَمَاءَ : نَسَخَهُ اللهُ بقولِ النبيِّ عليه السلامُ « لا وَصيَّةَ لِوَارِث » ، وَنَسَخَ ما كان عليها من العِدَّةِ إلى الحَوْل بقوله « يتربَّصْن بأَنْفُسِهِنَّ أَربعةَ أَشهُرٍ وعشراً » .

وقال بعضُهُم : لم يوجِبِ اللهُ عَزَّ وجَلَّ العِدَّةَ في الحَوْل ، إنما كان أَباحَ لها الوصية اذا كانت من الزوج (على) أَن تَسْكُنَ إلى الحَوْلِ فَنَسَخَها بالمِيراث [4] .

وكذلك قولُهُ عَزّ مِنْ قائل « يا أَيُّها المُزمِّلُ قُمِ اللَّيلَ إلاَّ قَليلا » [5] فقام النبيُّ عليه السلامُ وأَصحابُهُ حَوْلاً

---

(١) المائدة : ٩١ . (٢) البقرة : ٢٤٠ . (٣) النساء : ١٢ .

(٤) القرطبي ٣/١٧٤ : أكثر العلماء على أن هذه الآية ناسخة لقوله عز وجل « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج » لأن الناس أقاموا برهة من الاسلام إذا توفي الرجل ، وخلف امرأته حاملا أوصى لها زوجها بنفقة سنة وبالسكنى ما لم تخرج فتتزوج ، ثم نسخ ذلك بأربعة أشهر وعشر وبالميراث . (٥) المزمل : ١ .

كاملاً حتى تورّمَتْ أَقدامُهُم فنسخها اللهُ جَلَّ ثناؤُهُ بقولِهِ « فاقرءُوا ما تَيَسَّرَ منه » [1] .

وكذلك قوله عز وجل « إذا ناجيتُمُ الرسولَ فقدِّمُوا بينَ يَدَيْ نَجْواكُم صَدَقَة » [2] فنسخَهَا بقوله « فإذْ لم تفعلوا وتابَ اللهُ عليكُم » [3]

وكذلك قوله « إنْ تَرَكَ خيراً الوصيَّةُ للوالِدَيْنِ والأَقْربين » [4] نسخَها اللهُ فاختَلفُوا ؛

فمنهُمْ منْ قالَ بآياتِ المواريثِ [5] ، ومنهم مَنْ قال بقول النبيِّ عليه السلامُ « لا وصيَّةَ لوارث » [6] . وقال بعضُ من يتفقَّهُ : لم تَجبْ قطُّ فتُنْسَخ ، إنَّما عَنَى اللهُ جَلَّ ذِكرُهُ بقولِهِ « للوالِدَيْنِ والأَقربِيْنَ » العبيدَ والكُفَّار

---

(١) المزمل : ٢٠ .
(٢) المجادلة : ١٢ .
(٣) المجادلة : ١٣ .
(٤) البقرة : ١٨٠ .
(٥) الجصاص : أحكام القرآن ١/١٦٥ : عن ابن عباس في هذه الآية « إن ترك خيراً ... » قال : نسختها هذه الآية « للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ، وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ، مما قل منه أو كثر ؛ نصيباً مفروضاً »... وقال آخرون : نسخها ما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا وصية لوارث ... وورود هذا الخبر من عدة جهات ، جعله عندنا في حيز التواتر لاستفاضته وشهرته في الأمة ، وتلقي الفقهاء إياه بالقبول ، واستعمالهم له . وجائز عندنا نسخ القرآن بمثله إذكان في حيز ما يوجب العلم والعمل من الآيات .
(٦) رواه ابو داود والدارمي

من الاخوان [1] (١٢٤) الذين لا يَرِثُونَ ؛ فالوصيَّةُ لهم جائِزَةٌ على حالِها ، لم تُنْسَخْ ؛ ولم يَقُلْ هذا القَوْلَ أَحَدٌ ممن مضى .

وقال بعضُ التَّابِعِيْنَ : نُسِخَ منها كُلُّ مَنْ يَرِثُ ، وبقِيَ منها القرابةُ الذين لا يَرِثون ، فالوصيَّةُ لهم واجِبَةٌ إلا أَنهم مُجْمِعُون أَنَّ الوصيةَ لا تَجُوز إلاَّ للأَقربِيْنَ الذين لا يَرِثُون ، ولا تَجُوزُ لِمَنْ يَرِثُ [2] .

وكذلِك الخَمْرُ نَسَخَ قولهُ « فِيهِما إِثْمٌ كَبِيرٌ » [3] ولم يُحَرِّمْهَا ، ونَسخَ مِنْ قولِهِ « لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وأَنتم سُكارى » [4] فَنَسَخَ ذلك بقولِهِ « فاجتنِبوهُ لعلَّكُم تُفْلِحُون » [5] .

وكذلك قولُهُ « فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المسجِدِ الحَرَامِ » [6]

---

(١) القرطبي ٢/٢٦٢ : قيل : هي محكمة ، ظاهرها العموم ومعناها الخصوص في الوالدين اللذين لا يرثان كالكافرين والعبدين ، وفي القرابة غير الورثة . قاله الضحاك وطاوس والحسن ، واختاره الطبري .

(٢) أحكام القرآن ١/١٦٥ : وقالت طائفة : قد كانت الوصية واجبة للوالدين والأقربين ، فنسخت عمن يرث ، وجعلت للوالدين والأقربين الذين لا يرثون .

(٣) البقرة : ٢١٩ . (٤) النساء : ٤٣ . (٥) المائدة : ٩٠ .

(٦) البقرة : ١٤٤ ، ١٤٩ ، ١٥٠ .

نَسَخَ اللهُ بها صَلاَتَه إلى بيتِ المَقْدِس .

وكذلك قولُهُ « إنْ يكُنْ منكم عِشرونَ صابِرُونَ يَغْلِبُوا مائتَيْنِ » إلى قولِهِ « لا يَفْقَهُونَ »[1] فكَتَبَ عليهم بهذه الآيةِ ، أَلاَّ يَفِرَّ واحِدٌ مِن عَشرةٍ ولا قَوْمٌ من عشرةٍ أَمْثالهم ؛ وَوَعَدَ النَصْرَ أَن يَنْصُرَ الواحِدَ على العَشرةِ ، والقومَ على عشرةِ أَمثالِهِمْ إنْ صَبَرُوا ، فَجَبُنُوا عن ذلِكَ ، وضعُفُوا عنه فَنَسَخَ اللهُ عَزّ وجَلَّ ذلك ، وخَفَّفَ عنهم ، ورَفَعَ عنهم من ضمانِهِ لِنَصْرِهِمْ على قَدْرِ ما خَفَّف عليهم في الآيةِ الناسِخة ، فأَنزل الله « الآن خَفَّفَ اللهُ عنكُم ، وعلِمَ أَنَّ فيكم ضَعْفا »[2] إلى قوله « بإِذْنِ الله » فَوجَبَ عليهم أَلاَّ يَفِرّ الرجُلُ من الرجُلَيْنِ ، ولا القومُ من مِثْلِهِمْ ، وَوُعِدوا أَن يُنْصَرَ الواحِدُ على الاثْنَيْن ، والقومُ على مِثْلَيْهِمْ ، إذا صَبَرُوا .

ونَسخَ قولَهُ « وإِنْ جَنَحُوا للسَّلْم فاجْنَحْ لَهَا »[3] بقولِهِ عَزّ مِنْ قائِلٍ « قاتِلُوا الذين لا يُؤمِنونَ باللهِ ولا باليَوْمِ الآخِرِ »[4] إلى قولِهِ « صاغِرُون » .

---

(١) الانفال : ٦٥ . (٢) الأنفال : ٦٦ . (٣) الأنفال : ٦١ . (٤) التوبة : ٢٩ .

ونسخ قوله « ولا تَنْكِحُوا المشركاتِ حَتَّى يؤمِنَّ » [1] بقوله « والمُحْصَنَات مِن الذين أُوتوا الكتاب مِنْ قَبْلِكُم » [2] فلم تَزَل الأُمَّةُ مُجْمِعَةً أَنَّ نِكاحَ نساءِ أَهْلِ الكِتاب حلالٌ ، إلاَّ ابن عُمَر فإنه كَرِهَهُ وكرِهَهُ عُمَرُ وغيرُهُ بِغَيْرِ التحريم ، خوفاً أَن تكونَ الذِّمِّيَّةُ ليست بِعَفِيفةٍ [3] .

وكذلك قولُهُ تعالى : « لا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللهِ ولا الشَّهْرَ الحرامَ ولا الهَدْيَ ولا القَلاَئِدَ ولا آمِّيْنَ البيتَ الحَرامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً من ربِّهِمْ » [4] فَنَسَخَهُ بقولِهِ : « إِنَّما المُشْرِكُون نَجَسٌ فلا يَقْرَبُوا المَسْجِدَ الحَرَامَ بعد عامِهِمْ هذا » [5] وبقولِهِ : « ما كان للمُشْرِكِيْنَ أَن يَعْمُرُوا مَساجِدَ اللهِ » [6]

---

(١) البقرة : ٢٢١ . (٢) المائدة : ٥ .

(٣) كره عمر وابن عمر زواج المسلم من الكتابية ، لكنهما اختلفا في تعليل ذلك . أما عمر فحمل قوله تعالى « والمحصنات » على أنهن العفائف : أحكام القرآن ٣٢٤/٢ ، وقال حذيفة : أخاف أن تواقعوا المومسات منهن !!

أما ابن عمر ، فكان يرى أن الكتابيات مشركات ، ويقول : لا أعلم من الشرك شيئاً أعظم من أن تقول : ربها عيسى بن مريم ، وقرأ الآيتين الكريمتين « والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم » ، « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن » فلما رأى الآيتين في نظامهما تقتضي إحداهما التحليل والأخرى التحريم ، وقف فيه ولم يقطع بإباحته : القرطبي ٦٨/٣ .

(٤) المائدة : ٢ .

(٥) التوبة : ٢٨ .

(٦) التوبة : ١٧ .

وكذلك قولُهُ : « فَسيحُوا في الأَرض » [1] نَسَخَهُ بقولِهِ : « ما كان للمشركِيْن أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ الله » [2] وكذلك قولُـهُ : « فسيحوا في الأَرضِ » فَأَجَّلَهُمْ أَربعةَ أَشْهُر (يسِيحُونَ) [3] في الأَرْضِ بقيَّةَ عَهْدِهِمْ ، وآذَنَهُمْ بالحربِ بعد انقضاءِ الأَربعةِ أَشْهُر .

وقال ابنُ عَبّاس : وأَجَّلَ الذين ليس لهم عَهْدٌ خَمْسِينَ ليلةً؛ انسِلاخَ الأَشْهُرِ الحُرُم يَسِيحونَ فيها حيثُ شاؤُا .

وقال عَزَّ وجَلَّ « فإِنْ تابوا وأَقاموا الصَّلاةَ وآتُوا الزكاة فَخَلُّوا سبيلَهُم»[4] قال: فأَمَرَهُم اللهُ إِذا انسلَخَ الأَشْهُرُ الحُرُمُ أَن يَضَعَ السيفَ فيمَنْ عَاهَدَ إِنْ لم يَدْخُلُوا في الإِسْلام ، ونَقْضُ ما سَمّى لَهُمْ من العهدِ والميثاقِ أَذَهَبَ الشَرْطَ الأَوّلَ . ثم قال عزّ وجل « إِلاَّ الذين عاهَدْتُم عند المسجدِ الحرام » [5] يعني أَهْلَ مكَّة « فما استَقَامُوا لكم فاستقِيموا لهم . إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُتَّقِيْن » [6] فأَرسل النبيُّ عليه السلامُ ،

---

(١) التوبة : ٢ .
(٢) التوبة : ١٧ .
(٣) في الأصل : يسيحوا
(٤) التوبة : ٥ .
(٥) التوبة : ٧ .
(٦) التوبة : ٧ .

أَبا بكر ، وعليّاً رَضِيَ الله عنهما فَأَذَّنُوا لأَصحابِ العهدِ أَن يأَمنُوا أَربعةَ أَشْهُرٍ – وهي الأَشْهُرُ الحُرُمُ – ولا عَهْدَ لَهُم .

قال : وهيَ الحُرُمُ من أَجْلِ أَنهم أُمّنُوا فيها حَتَّى يسيحوا فيها ، فأَذَّنَ للناسِ كُلِّهِم إِنْ لم يُؤْمِنوا ؛ فَنَسَخَ اللهُ جَلَّ ذِكْرُهُ بِبَرَاءَةَ في قولِهِ « إِلاَّ الذين يَصِلُون إِلى قومٍ بينكم وبينهم مِيثاقٌ » (١) إِلى قوله : « فما جَعَلَ اللهُ لكم عليهِم سَبِيلاً » (٢) ، ونَسَخَتْ قولَهُ : « لاينهاكُمُ اللهُ عن الذين يقاتِلُوكُم في الدِّيْنِ ، ولم يُخْرِجُوكُم من ديارِكُم أَن تَبَرُّوهُم وتُقْسِطُوا إِليهم » (٣) فَنَسَخَ ذلك كُلَّهُ ببراءَة .

وقال عَزّ وجَلَّ « انفِروا خِفافاً وثِقالاً » (٤) فأَوجَبَتْ هذه الآيةُ على الأُمّةِ الجِهَادَ . وقال ابنُ عَبّاس : فنسخَها قولَهُ : « وما كان المؤمنونَ لينفِروا كَافَّةً فلولا نَفَرَ من كُلِّ فِرقةٍ منهم طائفةٌ » (٥) قال ابن عَبّاس : فتنفِر طائفةٌ ، وتمكُث طائفةٌ مع النبيِّ عليه السلامُ ، والماكِثُون

---

(١) النساء : ٩٠ . (٢) النساء : ٩٠ . (٣) الممتحنة : ٨ .

(٤) التوبة : ٤١ . (٥) التوبة : ١٢٢ .

يَتَفَقَّهُونَ في الدِّين ، ويُنْذِرُوا قومَهُمْ إذا رَجَعُوا إليهم مِنَ الغَزْو ، وبما أَنزل اللهُ وكتابهُ وحُدُودهُ . (١٢٥) ورُوي عنه أَيضاً ، أَنَّ السرايا هي التي تَرْجِعُ فيتعلَّمونَ من القاعِدِيْنَ مع النبيِّ عليه السلام .

وأَمر الأَنفال اذا جُمِعَتِ الغنائمُ بغير مبادرةٍ ولا نَفْلٍ بِشَرْطٍ ، قبل الخروج ، ولكن الغنائمُ التي كانت لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم خاصّةً ، قال ابنُ عَبّاس : فذلك قولُهُ تعالى : « قل الأَنْفالُ لله والرسول » [1] وكانَتْ لرسولِ الله صلَّى اللهُ عليه وسَلَّم ليس لأَحَدٍ فيها شيءٌ . ثم أَنزل الله بعد « واعلموا أَنَّما غَنِمْتُم من شَيْءٍ فإِنَّ لله خُمسَهُ » [2] (الآية) ، فَقَسَّم اللهُ الخُمْسَ الذي كان للنبيِّ عليه السلامُ خَاصَّةً ، يُنَفِّلُ منه على خمسةِ أَخْماسٍ ، وجعلَ الأَربعةَ الأَخماس الباقيةَ لِمَنْ شَهِدَ الوَقْعَة .

وكذلك قولُهُ عَزّ وجَلَّ « والذينَ عقدَتْ أَيمانُكُم فآتُوهم نَصِيبَهُم » [3] كان الرجُلُ يُحَالِفُ الرَجُلَ بِقَوْل : تَرِثُني وأَرِثُكَ ، ويَرْضَيَانِ بذلك ويتعاقَدَان ، وعلى ذلك

---

(١) الأنفال : ١ . (٢) الأنفال : ٤١ . (٣) النساء : ٣٣ .

ابنُ عَبّاس . وقال ابنُ المسيِّبْ : نزلَتْ في الأَدْعِياءِ ، كانوا رجالاً يَتَبَنَّوْنَ رجالاً يَرِثُونَهُمْ .

وأَجْمَعَتِ الأُمَّةُ أَنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ نَسَخَ ميراثَ الحُلَفَاءِ والأَدْعِياءِ ، بقولِهِ : « وأُولوا الأَرْحَامِ بعضُهم أَولى بِبَعْضٍ في كِتابِ اللهِ مِنَ المؤمنين والمُهَاجِرِيْنَ ، إِلاَّ أَنَّ تَفْعَلُوا إِلى أَوليائِكُم معروفا »[1] قال ابنُ عَبّاس : إِلا أَنْ يَصِلُوا أَولياءَهُمْ الذين عاقَدُوهُم وصِيّةً لَهُمْ .

قال ابنُ المسيِّب : فَجَعَلَ للأَدْعِياءِ الوصيَّةَ ، ونَسَخَ ميراثَ الأَدْعِياءِ .

وحدَّثَنَا شُريح قال : حَدّثنا أَبو سُفيان ، عن مَعْمَر ، عن قَتَادَةَ ، قال : ثُمَّ نَسَخَ ذلك بالمِيراث .

وأَنزل عَزَّ وجَلَّ : « إِنَّ الذين يأْكُلُون أَمْوالَ اليتامى ظُلْماً إِنما يأْكُلُون في بطونِهِم ناراً وَسيَصْلَوْنَ سَعِيرا »[2] فتحرَّجَ قومٌ من مُخَالَطَةِ اليتامى ، وشَكَوْا ذلك إِلى النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّم ، فقالوا : إِنَّا نَخْلُطُ طَعَامَهُمْ بطعامِنا ؛ فأَنزل اللهُ « ويسأَلونَكَ عن اليَتَامى قُلْ إِصلاحٌ لَهُم خير ،

---

(١) الأنفال : ٧٥ . (٢) النساء : ١٠ .

وإن تُخَالِطُوهم فإخوانُكُم »[1] فقالتِ العُلماءُ: إنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ نَسَخَ التشديدَ عليهم ، بالرُّخْصَةِ في المُخَالَطَةِ على غير تَعَمُّدٍ لِظُلْمٍ كما يَصْنَعُ المسلمونَ في أَسْفارِهِمْ ، وقد يُصيبُ بعضُهم من الغِذاءِ أَكثرَ مِنْ بعض ، ورَخَّصَ اللهُ لهم في ذلِكَ على المخالطةِ من غير تعمُّدٍ لِظُلْمِ شيءٍ مِنْ مالِهِ بِعَيْنِهِ .

الباب الرابع عشر : اختلَفُوا فيه : أَمَنْسوخٌ هو ؟ أَم استِثْنَاءُ خُصوصٍ مِنْ عُموم؟ كقولِهِ : « فاجلدُوهم ثمانينَ جَلْدَةً ولا تَقْبَلُوا لَهم شَهادةً أَبداً »[2] فَأَجْمَعُوا أنه أَسْقَط الفِسْقَ بالتَوْبةِ ، فقال بعضُهم : نَسَخَهُ ، وقال بعضُهم : لم يُرِدْهُ ، وإنما أَرَادَ مَنْ لم يَتُبْ .

فقال بعضُهم : لم يُرِدْ للتَّائِبِ في تَرْكِ قَبولِ الشَّهادةِ ... ثُمَّ اختَلَفُوا في الشَهادةِ .

وقال بعضُهم : نَسَخَ الشهادةَ والفسْقَ بالتَوْبةِ .

فقال مالِك رَحِمَهُ اللهُ ومُتَّبِعُوه : إذا تابَ قُبِلَتْ شَهادتُهُ .

وقال أَهْلُ العِرَاق: لا تُقْبَلُ شهادتُهُ أَبداً تابَ أَم لم يَتُب .

---

(١) البقرة : ٢٢٠ . (٢) النور : ٤

وكذلك قولُهُ تعالى « إنما يستأذِنُكَ الذين لا يُؤْمِنون باللهِ واليومِ الآخِرِ » [1] فقال قومٌ : نَزَلَتْ فِي المُنَافِقِيْنَ (وعفور ؟) المؤمنين . وقال ابنُ عبّاس : نَسَخَتْها « وإذا كانوا مَعَهُ على أَمْرٍ جامِعٍ لم يَذْهَبُوا حَتَّى يستأْذِنُوهُ » [2] إلى قولِهِ تعالى « فإذا استأْذَنُوكَ لبعضِ شأْنِهِمْ فأَذَنْ لِمَنْ شِئْتَ منهُم واستغفرْ لهم اللهَ » [3] .

وكذلك قولُهُ « ليس على الأَعْمى حَرَجٌ » [4] إلى قولِهِ تَعالى : « أو صَدِيقكم » [5] .

ورُوي عن ابنِ عَبّاس أَنه قال : لمَّا نَزَلَتْ « لا تأْكُلُوا أَمْوالَكُم بينَكُم بالباطِلِ » [6] قالوا : لا يَحِلُّ لنا أَنْ نأْكُلَ عند أَحَد . فأَنْزَلَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : « ليس على الأَعْمَى حَرَجٌ » [7] (الآية) . وقال مُجَاهِد نَحْو ذلك .

وقال عبدُ الله بنُ عبيد الله [8] : تَحَرَّجُوا بعد الإِذْنِ وقالوا لم تَحِدَّ لَنَا [9] .

---

(١) التوبة : ٤٥ . (٢) النور : ٦٢ . (٣) النور : ٦٢ . (٤) النور : ٦١ .
(٥) النور : ٦١ . (٦) النساء : ٢٩ . (٧) النور : ٦١ .
(٨) عبد الله بن عبيد الله (— ١١٨ هـ) قاضي ابن الزبير ومؤذنه. ثقة، كثير الحديث . ترجمناله سابقاً . وفي الأصل : عبد الله بن عبد الله .
(٩) القرطبي ١٥٢/٥ : روى أبو داود عن ابن عباس في قوله تعالى « لا تأكلوا أموالكم بينكم

وقال عِكْرِمَةُ نحو ذلك . حَدَّثَ يعقوبُ بنُ إبراهيم بنِ عبدِ الله بنِ عُتْبَةَ [1] ، وابنُ المسيِّب أنه كان رِجالٌ مِنْ أَهْلِ العلم يُحَدِّثون أَنَّما نَزَلَتْ هذه الآية - بقول الله عَزّ وجَلَّ « ليس على الأَعمى حَرَجٌ » [2] (الآية) - كُلُّها أَنَّ المسلمين كانوا يَرْغَبُون (١٢٦) في النفيرِ مع رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمُ ، فَيُعْطُون مفاتيحَهُم ضُمَنَاءَهُم ويقولون لهم: قَدْ أَحْلَلْنا لكم أَن تأْكُلُوا ممّا في بيوتِنا ، فيقولُ الذين استودعُوهم : واللهِ ما يَحِلُّ لنا (ما) في بيوتِهِم وانما (هي) أَمانةٌ أَو ثمنٌ ، حَتَّى أَنزلَ اللهُ هذه الآيةَ ، فطابَتْ أَنفُسُهُم بما أَحَلَّ الله ، وَنَسَخَتْ قولَهُ : « لا تأْكُلُوا أَموالَكُم بينكم بالبَاطِلِ » [3] . وَرُوِيَ عن ابنِ عَبّاس .

وذهَبَ قومٌ أَنْ الله جَلَّ ذِكْرُهُ أَحَلَّ لهم طَعَامَ مَنْ

= بالباطل ... » فكان الرجل يحرج أن يأكل عند أحد من الناس بعدما نزلت هذه الآية ، فنسخ ذلك بالآية الأخرى التي في « النور » فقال « ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم » إلى قوله « أشتاتاً » فكان الرجل الغني يدعو الرجل من أهله إلى طعامه فيقول : إني لأجنح أن آكل منه - والتجنح الحرج - ويقول : المسكين أحق به مني اهـ . وفي الأصل : تحرجوا بعد الإذن ما لم تحدوا لنا .

(١) يعقوب بن ابراهيم بن عبد الله بن عقبة : لا يعرف .

(٢) النور ٦١ . (٣) النساء : ٢٩ .

ذَكَرَ في الآية بغيرِ إِذْنِهِمْ ، وقالوا : لو كان من بعد إِذنِهِ لهؤلاءِ ، ما كان مَعْنَى خصوص إِذ كان يَحِلُّ الطعامُ لِكُلِّ الخَلْقِ عن إِذنه ؛ قاله قتادةُ والحَسَنُ .

حدَّثنَا يونُسُ بن بشر [1] عن شَيْبان ، عن قَتَادَةَ ، في قوله « او صَدِيقِكُم » [2] قال : أَحَلَّ (لغير) مُوَارثيهم أَنْ يَأْكُلُوا مِنْ طعامِهِم .

ورأَى الحَسَنُ مَنْ كان (لا ؟) يَرِثُ بِغَيرِ إِذْنِهِ ، فقيل له . فقال : يا لُكَع ، إِقرأْ « أَو صديقِكم » والصَدِيقُ مَن استَرَاحَ إِليه القَلْبُ .

وقال قومٌ : لم يُرِدِ اللهُ أَن يُحِلَّ لهم أَن يأْكلوا بإِذن ولا بغيرِه ، ولكنَّ الأَعرجَ والأَعمى والمريضَ ، لا يُمْكِنُهم أَن يَسْأَلُوا من الطعام مسأَلَةَ الصحيحِ ، فتحرَّجَ المسلمون لَمَّا نَزَلَتْ هذه الآيةُ « لا تأْكُلُوا أَموالَكُم بينكم بالبَاطِلِ »[3]

---

(١) يونس بن بشر : لم نجد راوية عن شيبان بهذا الاسم ، بل ليس بين رواة الحديث رجل اسمه يونس بن بشر ، وهناك رجلان : أحدهما اسمه يونس بن ميسرة (– ١٣٢ هـ) ولا يمكن أن يكون تلميذاً لشيبان المتوفي (– ٢٠٦ هـ) والثاني : يونس بن بكير (– ١٩٩ هـ) وتلمذته على شيبان أكثر احتمالا .

(٢) النور : ٦١ . (٣) النساء : ٢٩ .

كما تَوَعَّدَ في أَكْلِ مالِ اليتيمِ فقال « إِنَّ الذين يأْكُلُون أَمْوَالَ اليَتَامى ظُلْماً » [1] فَسَأَلُوا النبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلم ، فأَنزل الله « وإِن تُخَالِطُوهم فإِخوانُكُم[2] » (الآية) . وقال : لُغَةُ العَرَبِ في ذلك جائزَةٌ ، يُرِيدُ المفعولَ به فَيُسَمي الفاعل ، وأَرادَ جَلَّ ذِكْرُهُ ، الإِذْنَ في مُخَالَطَتِهِمْ في المُوَاكَلَةِ ؛ فَسَمَّى الأَعْرجَ والأَعْمَى والمَرِيضَ وهو يُرِيدُ مَنْ يُخَالِطُهُمْ ، فرخَّصَ لهم كما رَخَّصَ للناسِ في أَسفارِهِمْ إِذا سافروا ، وبعضُهُم يُصيبُ من الطعام أَكْثَر مِنْ بعض .

وكذلك قولُهُ عز مِنْ قائل : « فاتقُوا اللهَ ما استطعْتُم » [3] نَسَخَتْ قَولَهُ « اتقوا اللهَ حَق تُقاتِهِ » .

حَدثَنَا أَبو سُفيان عن مَعْمَر عن قَتَادَةَ « فاتقوا اللهَ ما استَطَعْتُم » ، نَسَختْ قولَهُ « اتقوا اللهَ حَق تُقاتِهِ » [4]

وقال ابنُ عَبّاس : لم تَنْسَخْها ولكن « حق تُقاته » أَن يُجاهِدُوا في اللهِ حَق جِهادِهِ ، ولا تَأْخُذهم في اللهِ لَومةُ لائِم ، ثم أُمروا أَن يقوموا بالقِسْطِ ولو على أَنْفُسِهِمْ وآبائِهِم .

---

(١) النساء : ١٠ . (٢) البقرة : ٢٢٠ . (٣) التغابن : ١٦ . (٤) آل عمران : ١٠٢ .

وقال ابنُ مسعود . « حقّ تُقاته » أَن يُذْكَرَ فلا يُنْسى ، وأَن يُطاعَ فلا يُعْصَى ، وأَن يُشْكَرَ فَلاَ يُكْفَر .

وكذلك قولُهُ عَز وجَل « وليست التوبةُ للذين يَعْمَلُون السَّيئات »[1] (الآية) .

ورُوِيَ عن ابن عَبّاس أَنّ اللهَ تَبَارَكَ وتعالى أَنزل بعد ذلِكَ « ان الله لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ به ويغفِرُ ما دُونَ ذلك لِمَنْ يَشَاءُ »[2] فَحرّمَ المَغْفِرَةُ على مَنْ تَابَ عِنْدَ الموت وهو كَافِرٌ ، وأَرجأَ التَوْبةَ لأَهْلِ التَوْحيدِ إِلى مشيئتِهِ فلم يُوْئِسْهُمْ من المَغْفِرة .

وقال بعضُهم : حَرّمَ التوبةَ على الكافِرِ والمُوَحّدِ المُصِرِّ عند الموت أَن يَقْبَلَها منهم ، ثُم نَسَخَ من ذلك تَوْبةَ المُوَحِّد فأَطْلَقَهَا له بقولِهِ « إِنْ اللهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ به » .

وقال آخَرُون : لم تُنْسَخْ ، ولم يُرِدِ اللهُ عَز وجَلّ بها إِلا وَقْتَ الغَرْغَرةِ ، وهو وقْتُ مُعَايَنةِ الرُسُل فلا تَوبَةَ مقبولةٌ بإِيجاب المغفِرة ، لأَنهُ قَدْ عَايَنَ ، وآمَنَ الكافِرُ ،

---

(١) النساء : ١٨ . (٢) النساء : ٤٨ .

وتاب الموحِّدُ المُصِرُّ ضرورةً بما عايَنَ من أَعْلامِ الآخرة ، فارتَفَعَت المِحْنَةُ ، وزالَ البَلْوى والاختِبَارُ ، والتوبةُ مبسوطةٌ لِضَمَانِ المغفِرة لِكُلِّ مُذْنِبٍ كافِرٍ او مُؤمنٍ ما لم يُغَرْغِر .

وقد رُوي عن النبيِّ عليه السلام قال : التَوبةُ مقبولةٌ ما لم يُغَرْغِر . فإذا غَرْغَر لم تُقْبلْ مَغْفِرة ، وروي : إنْ تَابَ قبل موتِهِ بِفواقِ ناقةٍ . يعني ما بينَ الحلْبَتَينِ .

ورُوي عن إبراهيم : ما لم يؤخذ بِكَظْمِهِ ، فالتوبةُ مقبولةٌ ما لم يُغَرْغِر ، فإذا غَرْغر لم يُغْفَر للكافر ذُنُوبُهُ إذا تاب في ذلك الوقتِ ، ولم تُقْبلِ التوبة من المُوحّد ، لِضمانِ المغفرةِ ، وكان كَمَنْ مات من الموحِّدين ولم يتُب ، فأَرجاهُ الله للمغفرةِ إنْ شاءَ رحِمه بِفضْلِهِ ، أَو يعذِّبه بما استحق ، ووَجَبَ له بِعَدْلِهِ .

وكذلك قولُهُ « وإني لَغَفَّارٌ لِمَنْ تاب » ، [1] فقالَ بعضُهُم : نَسَخَ ذلك في آخِرِ الزمان ، إذا طَلَعَتِ الشَمْس من مَغْربها فقال « لا يَنْفَعُ (١٢٧) نفساً إيمانُها » [2] (الآية)

---

(١) طه : ٨٢ . (٢) الانعام : ١٥٨ .

وقالَ بعضُهم : إنما أَراد الكافِرِين لا المُؤْمِنِين .

الباب الخامس عشر : ومما اختلفُوا أَنَّه مَنْسُوخٌ ، ولا يجوزُ عند أَهْلِ النَظَرِ أَن يكونَ الكِتابُ والسنةُ منسوخاً ، من ذلك ، قولُهُ عَزّ وجَلَّ : « إنكم وما تعبُدُون من دون الله حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتم لها واردون » [1] .

شُرَيح عن الكَلْبيِّ أَنه قال : نَسَخَتْها : « إنَّ الذين سَبَقَتْ لهم منَّا الحُسْنَى أَولئك عنها مُبْعَدُونَ » [2] وهذا لا يَحِلُّ لأَحَدٍ أَن يَظُنَّهُ دون أَن يَقْطَعَ به ؛ أَنَّ الله (جل) ذكرُهُ إنما عَنَى في الآيةِ الأُولى عَذَابَ الملائكةِ ، وعيسى ، وغيرِهِ من وليائِه فأَخْبَرَ عِبَادَهُ أَن يُعَذِّبَهُمْ ، ثم نَسَخَ من ذلك خِصْلَتَيْنِ :

إِحْداهُما ، أَنَّ اللهَ جَلَّ ذِكْرُهُ لم يُرِدْ عَذَابَ أَوليائِهِ قَطُّ بِذَلِك لأَنَّه ما زال يُريدُ أَن لا يعذِّبَهُم .

والثانيةُ ، أَنه كان تَقَدَّم من الله عَزّ وجلَّ في المسيح ، والملائكةِ ، وفي عزير ، أَخبارٌ أَنهم مِن أَهلِ الجَنَّةِ قبل نُزُولِ هذه الآيةِ ولا جائِزَ أَن يكْذِب الله عَزّ وجلَّ خَبَرَهُ

---

(١) الانبياء : ٩٨ . (٢) الانبياء : ١٠١ .

الأَوّل ، وإنما حاجّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم ابنُ الزِّبَعْرى [1] ، لَمَّا عَلِمَ أَنَّ النبيَّ صَلَّى الله عليه وسلم قد أُنْزِلَ عليه قبل ذلك في الملائكةِ والمسيحِ وعُزير أَنهم أَولياؤُهُ ، فاراد أَن يكَذِّب النبيَّ عليه السلام ، ولم يَتقدم مِن الله جل ذِكره في المسيحِ والملائِكةِ أَخبارٌ في أَوليائه ، ما كان الله لِيخْبِر بعذابِهِم ، ثم نسخه بقوله « إِنَّ الذين سَبَقَتْ لهم مِنَّا الحُسْنى » [2] .

فَمَن زَعم أَن الله جل ذِكْرُه نَسَخ خَبَرَهُ فقد وَصَف الله سبحانَه بالكذِبِ .

وقوله في الملائكة ، قول الله جلَّ وعَزَّ « ويستغفِرون لِمَنْ في الأَرْض » [3] ثمَّ نَسخَهَا « فاغفِر للذين تَابوا واتَّبَعُوا سبيلَكَ » [4] فزعم أَنَّ الملائكةَ استغفَرَتْ أَولاً للمشركين ، وهذا كَذِبٌ لأَنَّ الله جَلَّ وعَزَّ يقول « ولا يَشْفَعُون إِلاَّ

---

(١) عبد الله بن الزبعري : ابن قيس بن عدي بن سعد السهمي ، القرشي . وهو أحد شعراء قريش المعدودين . وكان يهجو المسلمين ، ويحرض عليهم كفار قريش في شعره ، ثم أسلم بعد ذلك . فقبل النبي صلى الله عليه وسلم إسلامه ، وأمنه يوم الفتح : الأغاني ٥٤٨٤/١٥ ، المؤتلف والمختلف ١٩٤ ، الاستيعاب ٩٠١/٣ .

(٢) الأنبياء : ١٠١ . (٣) الشورى : ٥ . (٤) غافر : ٧ .

لِمَن ارتَضَى » ، ولم يكن المَلائِكَةُ يَشْفَعُون لِمَنْ في الأَرض ممن قد عَلِموا أَنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ له أَبَداً .

وقولُهُ عَزّ وجل « لا أَسأَلُكُم عليه أَجْراً » [1] (الآية) . و « قُلْ مَا سَأَلْتُكُم من أَجْر » [2] نسخَتْها « قُلْ لا أَسْأَلُكُم عليه أَجْراً » [3] (الآية) . قد أَجِدُ اللهَ عَزَّ وجَلَّ استَثْنَى لهم المَوَدَّةَ وأَعوذُ بالله أَن يكون اللهُ جَلَّ ذِكْرُهُ أَرَادَ أَنَّ المودَّةَ في القُربى أَجْر له على دُعائِهِ إِليه ، ولكنْ قولُهُ « قل لا أَسأَلُكُم عليه أَجْراً » [4] منقطِعٌ ثم استأْنَفَ [5] . هذا تسميه (العربُ) استثناءَ الخُلْفِ وإِنما هو استئنافٌ [6] .

وَمَنْ ذَهَبَ إِلى مودَّةِ القَرَابةِ فأَرادَ أَن يذكِّرَهُمْ حَقَّ الرَحِمِ فلا يُؤْذَى [7] .

وَمَنْ ذَهَبَ (إِلى المَوَدَّةِ في الدِّين فأَرادَ) أَنْ يَودُّوا اللهَ بِطَاعَتِهِ ! !

---

(١) الانعام : ٩٠ . (٢) سبأ : ٤٧ .

(٣) الشورى : ٢٣ ، وبقية الآية « إلا المودة في القربى. ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً ، إن الله غفور شكور » . (٤) الشورى ٢٣ .

(٥) القرطبي ٢١/١٦ : قال الزجاج : « إلا المودة » استثناء ليس من الأول ، أي إلا أن تود وني لقرابتي فتحفظوني .

(٦) كتاب سيبويه ٣١٩/٢ : هذا باب يختار فيه النصب لأن الآخر ليس من نوع الأول .

(٧) صحيح البخاري ١٦٢/٦ : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة بن عبد الملك بن مسرة ، قال : سمعت طاوساً عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن قوله « الا المودة في القربى » فقال سعيد بن جبير : قربى آل محمد صلى الله عليه وسلم . فقال ابن عباس : عجلت ، إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة ، فقال : إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة .

القسم السابع

في أساليب القرآن

باب التقديم والتأخير :

ومِمّا كَلَّم اللهُ جلّ ذِكْرُهُ به عِبَادَهُ مُقَدَّمٌ وَمُؤَخَّرٌ ، لأَنَّ العَرَبَ قد كانَتْ تَفْعَلُ ذلك في تَرَاجُعِها بينها ، وَمُخَاطَبَتِها قَبْلَ أَن يَنْزِلَ الكِتَابُ على نَبيِّهِ عليه السَّلَامُ ؛

فمن ذَلِكَ قولُهُ عَزَّ وجَلَّ « فَكَيْفَ كان عَذَابي ونُذُر » فبدأَ بالعَذَابِ قَبْلَ النُذُر ، وكان قبلَ العَذَابِ لأَنَّ اللهَ جَلَّ اسمُهُ يقولُ : « وما أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلاَّ لها مُنْذِرُون؛ ذِكْرى » [1] .

وقال في عِقابِ الأُمَم « فانظُرْ كيف كان عاقِبة المُنْذَرِين » [2] فأَخبر أَنهم أُنذروا فلمّا كَذَّبوا كان آخِرَ أَمرِهم العَذَابُ . وقال تعالى « فَسَاءَ صَبَاحُ المُنْذَرين » [3] غَيْرَ أَنَّ العذاب صَبَّحَهُمْ بما نَقَمَهُمْ إِذ أُنْذِروا فلم يُؤْمِنوا ، وإِن كان قد قَدَّمَ في التنزيلِ العذابَ قبل النُذُر ، فإِنه بدأَ فأَخبر أَنه أَنذرهم قبل أَن يُعَذِّبَهُمْ ، ثُمَّ قال في عَقِبِ

---

(١) الشعراء ٢٠٨ . (٢) يونس : ٧٣ . (٣) الصافات : ١٧٧ .

ذلك « فكيف كان عذابي ونُذُر » [1] فقال : « كَذَّبت قومُ لُوطٍ بالنُذُر » [2] ، « كَذَّبَتْ ثمود » ، « كَذَّبَتْ قومُ لوطٍ المرسلين » [3] وقال « ولقد جاءَ آلَ فِرعون النُذُر ، كَذَّبوا بآياتِنا كُلِّها فَأَخَذْناهم أَخْذَ عَزيزٍ مُقْتَدِرٍ » [4] وقال « فكيف كَانَ عذابي وَنُذُر » وقال عزَّ وَجَلَّ « وما كنا معذِّبين حَتَّى نَبْعَثَ رسولاً » [5] .

ومن ذلك قولُهُ تعالى « مِنْ بعد وَصِيّةٍ يُوْصِي بها أَو دَيْن » [6] فبدأَ في التَنْزيلِ بِالوصيّةِ قَبْلَ الدين ، وقَضَى النبيُّ عليه السَّلامُ بالدَّيْنِ قبل الوَصِيّة .

والأُمَّةُ مُجْمِعةٌ أَلاَّ وصيةَ إِلاَّ فيما فَضَلَ مِنْ بعدِ قَضَاءِ الدَّيْن . وكذلك رُوي عن عليّ بن ابن طالب رضي الله عنه أَنه قال : إِنكم تَقْرُؤُنَ « من بعدِ وصيةٍ يُوصي بها أَو دَين » (١٢٨) وإِنَّ النبيّ عليه السلامُ قضى بالدَّين قبل الوصية ، ولولا سُنَّةُ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلم ،

---

(١) القمر ١٦ ، ١٨ ، ٢١ ، ٣٠ .
(٢) القمر : ٣٣ .
(٣) الشعراء : ١٦٠ .
(٤) القمر : ٤١ .
(٥) الاسراء : ١٥ .
(٦) النساء : ١١ ، ١٢ .

لكان على العبادِ ان يبدُوا بما بدأَ اللهُ به ؛ الوصيةُ قبل الدَّين ، كما قال : « اركعوا واسجُدُوا »[1] .

وقال عَزَّ وجَلَّ « إِنَّ الصَفَا والمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ »[2] . فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وسلم: نبدأُ بما بدأَ اللهُ به. ثُمَّ قام على الصَفَا .

وكَذَلك قَولُهُ عَزَّ وجَلَّ « يا أَيُّها النبيُّ حَسْبُكَ اللهُ ومن اتَّبَعَكَ مِن المؤمِنِيْن »[3] فقُرِىءَ في ظاهِرِ التنزيلِ أَنَّ اللهَ حَسْبُهُ والمُؤْمِنِين ، وإِنَّما حَسْبُكَ الله ، وَحَسْبُ مَنِ اتَّبَعَكَ من المؤمنين اللهُ .

وكذلك « واللهُ ورسولُهُ أَحقُّ أَن يُرضُوه »[4] معنى يُرْضُوا رسولَهُ .

وكذلك « إِذا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلزالها ، وأَخرجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا ، وقال الإِنْسانُ مَالَها »[5] ولم يبِنْ مَا أَرادَ بقولِهِ « مالها » ، ولا أَبَان ما أُصيبَ به ، وإِنما هو في ظاهِرِ التِّلاوة . وقال الإِنسانُ يومئذٍ مالَها ، تحدِّثُ

---

(١) الحج : ٧٧ . (٢) البقرة : ١٥٨ . (٣) الانفال : ٦٤ .
(٤) التوبة : ٦٢ . (٥) الزلزلة : ١ .

أَخبارَها . قيل له إِنَّ ربَّكَ أَوحى لها . وهو كقولِ القائلِ : قال فلان : مالَكَ يومئذ ؟ وإِنما يُريدُ قال فلانٌ يومئذٍ مَالَك . وهو تقديمٌ وتأَخيرٌ وفي بعضه إِضْمارٌ وهو قِيل « بأَنَّ ربَّكَ أَوحى لها » .

وقولُهُ عزّ وجَلَّ « سمّاعُون للكَذِبِ ، سَمّاعُون لقوم آخَرين لم يأْتُوكَ » [1] .

ومن ذلك قولُهُ عَزّ وجَلَّ : « ولولا فَضْلُ الله عليكم ورحمتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَيْطان » [2] وإِنما معناه « وإِذا جاءَهم أَمْرٌ من الأَمْنِ أَو الخَوف أَذاعُوا به [3] إِلاَّ قَلِيلاً » إِلى قولِهِ « لَعَلِمَهُ الذين يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ولولا فَضْلُ الله عليكم ورحمتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَيْطانَ إِلاَّ قليلا [4] . فقاتِلْ في سبيلِ الله لا تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ » [5] .

وكذلك قولُهُ : « وإِنَّ منكم لَمَنْ لَيُبَطِّئَن فإِنْ أَصابَتْكُمْ مُصيبةٌ قال قد أَنعم اللهُ عليّ إِذ لم أَكُنْ مَعَهُم شهيداً . ولئن أَصابَكُمْ فَضلٌ من الله ليقولَنَّ – كأَنْ لم يكن بينكم

---

(١) المائدة : ٤١ . (٢) النساء : ٨٣ . (٣) النساء : ٨٣ .
(٤) النساء : ٨٣ . (٥) النساء : ٨٤ .

وبينَه مودّةٌ – يا ليتَني كُنْتُ معهم فأَفوزَ فَوْزاً عَظِيماً »[1] فهذا مُقَدَّمٌ ومؤخَّرٌ ، وإنما معناه : ولئن أَصابتْكُمْ مُصيبةٌ ليقولَنَّ قد أَنعم اللهُ عليَّ إذ لم أَكُنْ معهم شهيداً كأَن لم تَكُنْ بينكم وبينَه مودَّةٌ ، حين قال هذا القول . ولئنْ أَصابكم فَضْلٌ من الله ليقولَن يا ليتَني كُنْتُ معهم فأَفوزَ فَوزاً عظِيماً .

وكذلك قولُهُ « إنه من سُلَيمان وإنه بسم الله الرحمنِ الرحيم »[2] قال : هو أَعلمُ باللهِ عَزّ وجَلَّ من أَن يبدأَ باسمِ سليمانَ قبل اسْمِ الله عز وجل. وإنما معناه: الكتابُ جاءَني من سُلَيمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ، فأَخْبَرَتْ مِمَّن الكتاب ، وأَنَّ أَوَّلَ صَدْرِ الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم بدأَ باسمِ الله عزَّ وجلَّ قبل اسمِهِ ، وقد كان النبيُّ عليه السلام أَوّلاً يكتُبُ : باسمك اللَّهُمَّ ، فلما نَزَلَتْ « إنه من سُلِيمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم »[3] فكتب النبيُّ عليه السلامُ بعد ذلك فبدأَ باسمِ الله عَزّ وجَلَّ ، فَدَلَّ بذلك أَنَّه اتَّبع ما أَخْبَرَ (الله) عن سليمان ، فهذا دليلُ قولِهِ

---

(١) النساء : ٧٢ ، ٧٣ . (٢) النمل : ٣٠ . (٣) النمل : ٣٠ .

« إنه من سليمان » وانه مقدَّمٌ ومؤخَّرٌ . لأَنَّ اللهَ عَزّ وجلَّ يَقولُ لنبيِّهِ عليه السلامُ : « فَبِهُداهُمُ اقتدِه » [1] .

ولم تَزَلْ كُتُبُ الأَئمّةِ العُدُولِ وعلماءِ الأُمّةِ إلى عَصْرِنا هذا يُبْدَأُ باسمِ اللهِ أَوَّلُ كُتُبِهِمْ .

وكذلك قولُهُ عَزّ وَجَلَّ « لَهُم غُرَفٌ مِنْ فَوقِها غُرَفٌ مبنيَّةٌ » [2] مقدَّمٌ ومؤخَّرٌ ، وإنما مَعْناهُ : لَهُمْ غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ مِن فوقِها غُرَفٌ ، وكذلك فَسَّرَها أَهْلُ التَفْسير .

وكذلك قولُهُ عَزّ وجَلّ « أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُزْجِي سَحَاباً ثُمَّ يؤلِّفُ بَيْنَهُ ثمَّ يَجْعَلُهُ رُكاماً » [3] مقدَّما ومؤخَّراً ، إنما هو « أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُزْجي سَحاباً ثم يجعلُهُ رُكاماً ثُمَّ يؤلِّفُ بَيْنَهُ » [4] لأَنَّ الأَركامَ لا تُؤَلَّفُ بالاسْتواءِ ، إنما يُجْعَلُ بعضُهُ فوق بعضٍ ثم يَبْسُطُهُ مؤلَّفاً .

وكذلك قولُهُ عزَّ وجَلَّ « قُل هل أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذلك مثوبةً عندَ اللهِ ؛ مَنْ لَعَنَهُ اللهُ وَغَضِبَ عليه وَجعَلَ منهم القِرَدَةَ والخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغوت » [5] (الآية) .

---

(١) الانعام : ٩٠ .
(٢) الزمر : ٢٠ .
(٣) النور : ٤٣ .
(٤) النور : ٤٣ .
(٥) المائدة : ٦٠ .

وكذلك « ورَفَعَ أَبَويهِ على العَرْش وَخَرُّوا له سُجَّداً »[1] إنما معناهُ وخروا له سُجّداً ، ورَفَعَ أَبَويْهِ على العَرْش. إنما العرشُ سَريرُ يوسُف عليه السلامُ ، فلم يرفعْهُمْ على السرير ثُمَّ سَجَدُوا له ، إنما سجدوا له تَحيةً وإِكْراماً لا عِبادةً له ، ثُمَّ رَفَعَهُما على سريرهِ بعدما سَجَدُوا له ، وأَجْلَسَهُم معه على فِراشِهِ ؛ كذلك فَسرَّهَا المُفْسِّرون .

وكذلكَ قولُهُ تعالى : « ولقد آتَيْنَاكَ سَبْعاً من المَثَاني والقرآنَ (١٢٩) العظيمَ . لا تَمُدَّنَّ عينَيْكَ إِلى ما مَتَّعْنا به أَزْواجاً منهم »[2] (الآية) . إنما معناه : ولقد آتَيْنَاكَ سَبْعاً من المثاني ، والقرآن العظيم ، كما أَنْزَلْنَا على المُقْتَسِمِيْنَ الذين جَعَلُوا القُرآنَ عِضِين ، فوربِّك لنسأَلنَّهم أَجمعين عَمَّا كانوا يَعْمَلُون ، لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلى ما مَتَّعْنَا به أَزْواجاً منهم ، ولا تَحْزَنْ عليهم ، واخفِضْ جَنَاحَكَ للمؤمنين ، وقل إِني أَنا النذيرُ المُبين ، فاصدَعْ بما تُؤْمَر وأَعْرِضْ عن المُشْرِكِيْنَ .

وكذلك قولُهُ سُبْحَانَهُ « وبَرَزُوا لله الواحِدِ القَهَّار ،

---

(١) يوسف : ١٠ . (٢) الحجر : ٨٧ .

وَتَرَى الْمُجْرِمِيْنَ يومئذٍ مُقَرَّنِيْنَ في الأَصْفَاد »[1] إِنَّمَا مَعْنَاهُ : وَبَرَزُوا للهِ الواحِدِ القَهَّار ، لِيَجْزِيَ اللهُ كُلَّ نَفْسٍ بما كَسَبَتْ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الحِسَاب وتَرَى الْمُجْرِمِيْنَ يومئذٍ مُقَرَّنِينَ في الأَصْفادِ. سرابيلُهُم مِنْ قَطْرَان[2] (الآية).

وكذلك قولُهُ « سَيُؤْتِيْنا اللهُ مِنْ فَضْلِهِ ورسولُهُ »[3] إنما معناهُ سيؤتِينا اللهُ مِنْ فَضْلِهِ ، ويؤتينا رَسولُهُ من فَضْلِه، فالفضْلُ للهِ وَحْدَهُ .

وكقولِهِ « إِذا قُمْتُم إِلى الصَّلاةِ فاغسِلُوا وُجُوهَكُمْ »[4] إِنَّما مَعْنَاهُ : أَن يَغْسِلُوا وُجُوهَهُمْ قبل أَنْ يقومُوا إِلى الصَّلاةِ ثُمَّ يقُومُوا إِليها . فقال بعضُهُم : يَعْني إِذا قُمتُم من النَوْم .

وقال عَزَّ وجَلَّ : « فاهدُوهُم إِلى صراطِ الجحيمِ »[5] . إِنما معناه وقفوهم إِنهم مَسْئُولُون . ثم اهدُوهُم إِلى صِراطِ الجحيم .

وكذلك « فإِذا قرأْتَ القُرآنَ فاستعِذْ باللهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَجِيم »[6] مُقَدَّمٌ ومؤخَّر ، إِنما هو فاستعِذْ باللهِ واقرإِ

(١) ابراهيم : ٤٨ ، ٤٩ . (٢) ابراهيم : ٤٨ ، ٤٩ . (٣) التوبة : ٥٩ .
(٤) المائدة : ٦ . (٥) الصافات : ٢٣ . (٦) النحل : ٩٨ .

القرآن ، فكان معناهُ : فإذا استعذْتَ بالله فاقرأ القُرآنَ . المَعْنى من الله جَلَّ ثَنَاؤُهُ : إذا أَردْتَ أَن تقرأَ فاستعِذْ قبل أَنْ تَقْرأَ ، فقدَّمَ القراءَةَ قبل الاستِعاذَةِ .

وقولُهُ « قُلْ لو أَنتُم تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ ربِّي »[1] مقدَّمٌ ومؤخَّرٌ وإنما هو في المعنى . ولو تَمْلِكُون أَنتُم خَزَائِنَ رَحْمَةِ ربِّي .

وقولُهُ « نـأَتِ بخيرٍ منها أَو مِثْلَهَا »[2] مقدمٌ : نـأْتِ منها بِخَيْر .

وقولُهُ « فاذهَبْ أَنت وربُّك فَقَاتِلا »[3] معناه : اذهَبْ أَنت فَقَاتِلْ ، ويُعينُك ربُّك ولم يَعْنُوا أَن يَذْهَبَ اللهُ فَيُقَاتِلَ ، ولو كان ذلك معناهُ كَفَرُوا .

وقولُهُ :« مَنْ قَتَلَ نفساً بغيرِ نَفْسٍ او فسادٍ في الأَرْض »[4] معناه بغيرِ فسادٍ .

وقوله « فريقاً كَذّبوا وَفَريقاً يَقْتُلُون »[5] معناهُ :

---

(١) الاسراء : ١٠٠ . (٢) البقرة : ١٠٦ . (٣) المائدة : ٢٤ .

(٤) المائدة : ٣٢ . (٥) المائدة : ٧٠ .

وفَريقاً يقتُلُون فريقا . كِلاَ الكلمتَيْنِ مقدمةٌ مؤخرةٌ .

« ثُم الذين كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُون » [1] مَعْنَاهُ : يَعْدِلُون بِرَبِّهِمْ .

« وأَجَلٌ مُسَمى عِنْدَه » [2] مؤخَّرة : وعنده أَجلٌ مُسمى .

وقولُهُ تعالى « وَعِظْهُم وقُلْ لهم في أَنْفُسِهِم قَوْلاً بَلِيغا » [3] وإنما معناهُ : وعِظْهُمْ في أَنْفُسِهِمْ وَقُلْ لهم قَوْلاً بليغا .

وقولُهُ « خلق الانسان من عجل » [4] معناه خُلِقَ العَجَلُ من الإنسان ، وهي العَجَلَةُ ، لأَنّ آدَمَ عليه السلام أَرادَ أَنْ يقومَ قَبْل أَن تَصِيرَ الرُّوحُ إلى رِجْلَيْهِ [5] ، فقالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ « خُلِقَ الإِنْسانُ من عَجَل » [6] لأَن العجل فِعْلُ الإِنسان بَعْدَمَا خُلِقَ ، وكذلك قولُهُ « وكان الإِنْسَانُ عَجُولاً » [7] .

وكذلك قولُهُ تعالى « ما إِنّ مفاتِحَهُ لَتَنُوءُ بالعُصْبَة » [8] إنما هو ان العُصْبَة لَتَنُوءُ بِمَفَاتِحِهِ .

---

(١) الأنعام : ١ . (٢) الأنعام : ٢ .
(٣) النساء : ٦٣ . (٤) الأنبياء : ٣٧ .
(٥) تفسير ابن كثير ١٧٨/٣ : قال مجاهد : خلق الله آدم بعد كل شيء من آخر النهار من يوم خلق الخلائق ، فلما أحيا الروح عينيه ولسانه ورأسه ولم يبلغ أسفله ، قال : يا رب استعجل بخلقي قبل غروب الشمس . (٦) الأنبياء : ٣٧. (٧) الإسراء : ١١. (٨) القصص : ٧٦.

وقولُهُ « فما أَصْبَرَهُم على النار » [1] معناه فما الذي صَبّرَهُم على النار [2] ...

وقولُهُ « يَضْرِبُون وجوهَهُمْ وأَدْبارَهُم وذُوقُوا عَذَابَ الحَرِيق » [3] معناهُ : ونقولُ ذُوقوا عَذَابَ الحَرِيق .

وكذلِكَ قولُهُ « نَاكِسوا رؤُوسِهم عند ربِّهم رَبَّنا أَبصرْنا وسَمِعْنا » [4] معناه : يقولون رَبّنا أَبْصَرْنا وسمِعْنا .

وقال « واسأَلْ مَنْ أَرسَلْنَا » [5] إنما هو : واسأَلْ مَنْ أَرسلنا إليهم مِنْ قَبْلِكَ .

وقولُهُ « إلاَّ مَنْ شَاءَ أَن يَتَّخِذَ إلى رَبِّه سَبيلا » [6] مُضْمَرٌ مَعْنَاهُ إلاَّ أَنَّه مَنْ شاءَ أَنْ يَتَّخِذَ .

وقولُهُ « فإنهم عَدُوٌّ لي إلاَّ رَبَّ العَالَمِيْن » [7] لا عَدُوَّ لي ؟! [8] (١٣٠) .

---

(١) البقرة ١٧٥ .

(٢) القرطبي ٢/٢٣٦ : قيل : ما ، استفهام معناه التوبيخ ؛ قاله ابن عباس والسدي وعطاء وأبو عبيدة معمر بن المثنى ، ومعناه : أي أي شيء صبرهم على عمل أهل النار ؟! وقيل : هذا على وجه الاستهانة بهم ، والاستخفاف بأمرهم . وفي الأصل : أصرهم . والتصحيح من : مجاز القرآن ١/٦٤.

(٣) الانفال : ٥٠. (٤) السجدة : ١٢. (٥) الزخرف : ٤٥. (٦) الفرقان : ٥٧. (٧) الشعراء : ٧٧.

(٨) القرطبي ١٣/١١٠ : قال الكلبي : إلا عابد رب العالمين ؛ فحذف المضاف ... وقال الجرجاني تقدره : أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون إلا رب العالمين ، فإنهم عدو لي . وواضح أن في كلام الأصل نقصاً .

وقولُهُ « ما كان يَنْبغي لَنَا » [1] مقدمٌ ،مؤخرٌ : ما كان لَنَا يَنْبغي .

وقولُهُ « وغَرَابيبُ سُود » [2] مقدمٌ ومؤخرٌ : سودٌ غَرَابيبُ ، لأَنه يُقالُ أَسْوَدُ غِرْبيبٌ .

باب الاضمار :

وقال : أَبو عبدِ الله : ومن كلام اللهِ عَزّ وجَلَّ « وأُشربوا في قُلُوبِهِمُ العِجْلَ بِكُفْرِهِم » [3] وإِنما هو حُبُّ العجل .

وكذلك قولُه « فأَما الذين اسوَدّتْ وجُوهُهُم أَكَفَرْتُم » [4] إِنما هو : فيقولُ لهم أَكفرتُم بعد إِيمانِكُم .

وقولُهُ « وأَسأَلِ القرية » [5] أَهْلَ القريةِ « واسأَل العِيَر » [6] أَصحَابَ العِيْر « وكَمْ مِنْ قرية » [7] .

---

(١) الفرقان : ١٨ .

(٢) فاطر : ٢٧ .

(٣) البقرة : ٩٣ .

(٤) آل عمران : ١٠٦ .

(٥) يوسف : ٨٢ .

(٦) واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي اقبلنا فيها : يوسف ٨٢ .

(٧) الاعراف : ٤ .

ومِنْ كلامِ اللهِ عَزّ وجَلَّ الشيءُ مُسَمًّى باسمٍ يُشْبِهُهُ لا باسمِهِ ، والعَرَبُ تَفْعَلُ ذَلِكَ كَقَوْلِهِ تعالى « كَمَثَلِ الذي يَنْعَقُ بما لا يَسْمَعُ إلاَّ دُعاءً ونِداءً »[1] فأَرادَ المَنْعُوقَ وهي الغَنَمُ ، فَسَمَّى النَاعِقَ وهو الصّائِحُ بالغَنَم .

الحروف الزوائد :

ومِنَ الحُروفِ زَوَائِدُ فَمِنْ ذَلِكَ « غَيْرِ المغضوبِ عليهم ولا الضَّالِّين »[2] إنما معناهُ غيرُ المَغْضوب عليهم والضَّالِّين .

وكذلك قولُهُ « خَلَقَكُم والذين مِنْ قَبْلِكُم »[3] مِنْ زائدة ، إنما هو والذين قَبْلَكُم .

وكذلك قولُهُ « ما مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إذ أَمرْتُكَ »[4] معناهُ ما مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ ؛ « لا » مِنَ الزَّوائِدِ تأكيدٌ لانَفْيٌ .

وكذلك « ما نهاكُما ربُّكُما »[5] معناهُ (إلاَّ كراهية) أَنْ[6] . تقولُ العَرَبُ : ما عِنْدَكَ نَفْعٌ ولا دَفْعٌ .

---

(١) البقرة : ١٧١ . (٢) الفاتحة : ٧ . (٣) البقرة : ٢١ .

(٤) الاعراف : ١٢ : أبو عبيدة : مجاز القرآن ٢١١/١ : مجازه : ما منعك أن تسجد ، والعرب تضع (لا) في موضع الايجاب ، وهي من حروف الزوائد .

(٥) الأعراف : ٢٠ ، تكملة الآية « عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين » .

(٦) في هذا الموضع نقص ، واختلاط في السطور ، والإصلاح من : تفسير القرطبي ٨٧٨/٨ .

وقولُهُ تعالى « إنَّ الله لا يستحيي أَن يضرب مثلاً ما بعوضَةً فما فوقها » [1] ، انما معناه أَن يَضْرِب مثلاً بعوضةً فزاد قولَهُ « ما » توكيداً .

وكذلك قولُهُ « فَبِما نَقْضِهِمْ » [2] « ما » زائدة معناهُ فبنقضِهِم مِيثاقَهُمْ .

وكذلك قولُهُ « له معقِّباتٌ من بين يديهِ ومن خَلْفِهِ يحفظونَهُ من أَمْر الله » [3] انمـا هو يحفظونَـهُ بأَمر اللهِ .

وكذلك قولُهُ تعالى « قل للمؤمنين يَغُضُّوا من أَبْصارهِمْ» إنما هو يَغُضُّوا أَبْصَارَهُمْ .[4]

وكذلك قولُهُ « ما وجَدْنا لأَكْثَرهِمْ مِنْ عَهْدٍ » [5] معناه : ما وَجَدْنا لأَكْثَرهِمْ عَهْداً . « واذ قُلنا للملائكةِ » [6] معناه : وقُلْنَا للملائكةِ .

---

(١) هذا السطر ساقط من الأصل ، والسياق يقتضي إثباته على هذا الوجه ، واستناداً إلى مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/٣٥ .

(٢) النساء : ١٥٥ . (٣) الرعد : ١١ . (٤) النور : ٣٠ .

(٥) الاعراف : ١٠٢ . (٦) البقرة : ٣٤ .

وكذلك قولُهُ « وإذ قال موسى لقومه » [1] معناه: وقال مُوْسى لقومهِ .

وقولُهُ « أَن ينزلَ عليكم من خِيرٍ من ربِّكُمْ » [2] معناه خَيْر ربِّكم .

وقولُهُ « واذ أَوْحَيْتُ إلى الحواريِّيْن»[3] (وقوله) « إذ قال اللهُ يا عيسى ابن مريم... وإذ عَلَّمْتُكَ ... وإذ أَوحيتُ ». وقولُهُ « أَأَنت قُلْتَ للناس » [4] تقريرٌ لا استفهامٌ على جَهْلٍ ليعلَمَهُ ، كقولِ الرجُلِ لعبدِه : أَفعلْتَ كذا وكذا ؛ يُريد تَحْذِيرَهُ . وقال جَرير [5] :

أَلَسْتُم خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطَايـا
وأَنْدَى العَالَمِيْنَ بُطُـونَ رَاح

ولو كان استفهاماً ما أَعْطاهُ عبدُ المَلِك على ذلك مايَة ناقةٍ بِرُعاتِها .

---

(١) البقرة : ٥٤ . (٢) البقرة : ١٠٥ . (٣) المائدة : ١١١ . (٤) المائدة : ١١٦ .

(٥) جرير بن عطية بن الخطفى (– ٩٥ هـ) . قال عمر بن شبة : اتفقت العرب على أن أشعر أهل الإسلام ثلاثة : جرير والفرزدق والأخطل ... وكان جرير أكثر الثلاثة فنون شعر ، وأسهلهم ألفاظاً ، وأقلهم تكلفاً ، وأرقهم نسيباً . وكان ديناً ، عفيفاً : الأغاني ٧/٢٧٤٩ – ٢٨٣٥ . والبيت من قصيدة في مدح عبد الملك بن مروان ، مطلعها :

أتصحـو أم فـؤادك غير صـاح عشية هـم صحبـك بالرواح

والخبر الذي أشار إليه المحاسبي ورد في الأغاني ٧/٢٨١٤ : فأمر له بمائة لقحة و ثمانية من الرعاء.

« إِلَهَيْنِ » اثنين ، إذا أُشْرِك فعلُ الذَكَرِ مع فِعْل الأُنْثى غُلِّبَ فِعْلُ الذَكَرِ . وقال جَلَّ ذِكْرُهُ « وامْسَحُوا بِرؤُوسِكُم وأَرْجُلَكُم » [1] مجرورٌ بالباءِ وهي مشتركةٌ بالكلامِ الأَوّلِ من المَغْسُول والعربُ تَفْعَلُ ذلك ، مما بالجِوارِ للمَعْنى على الأَوّل فكان موضعُهُ : واغْسِلُوا أَرْجلَكُم .

وكقولِهِ « يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ في رحمتِهِ والظَّالِمِيْن » [2] على موضع المَنْصُوب الذي قَبْلَهُ ، والظالِمِين لا يُدْخِلُهُمْ في رَحْمَتِهِ .

قولُهُ « وإِن كُنْتُمْ جُنُباً فاطَّهَّروا » [3] واللفْظُ الواحِدُ والجميعُ عنه : هو جُنُبٌ وهُمْ جُنُبٌ . وأَمَرَ بالقِسْطِ والمَعْدَلَةِ [4] .

وقولُهُ « ما مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذ أَمرْتُكَ » [5] « لا » حَرْفٌ زائِدٌ ، إِنَّما معناهُ ما مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ .

« وكَمْ مِنْ قَرْيَة أَهْلَكْنَاها » [6] ، « وما أَهلَكْنا (من

---

(١) المائدة : ٦ . (٢) الأنعام : ٣١ . (٣) المائدة : ٦ .

(٤) يشير إلى قوله تعالى بعد آية الطهارة « يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله ، شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شنان قوم على ألا تعدلوا . إعدلوا هو أقرب للتقوى ، واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون »

(٥) الاعراف : ١٢ : سبق للمحاسبي أن أورد هذه الآية وما فيها من حروف زائدة صفحة ٥١٦ .

(٦) الأعراف : ٤ .

قرية)إلاَّ وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُوم » [1] ،« وإنْ من قريةٍ إلاَّ نحن مُهْلِكُوها » [2] يعني : وإن من قريةٍ نحن مُهْلِكُوها .

المفصل والموصول :

وأَمّا المُفَصَّلُ والمَوْصُولُ فإنَّ الله عَزّ وجَلَّ يقولُ « ولقد وَصَلْنا لَهُمُ القَوْلَ لعلَّهُمْ يَتَذَكَّرُون » [3] .

فَفَصْلُ الكَلِمَةِ من الكلمةِ إذا انفَرَدَتْ كُلُّ واحدة منهما بمعنى هو المعنى الذي في الأُخْرى ، وكان لا يَتِمُّ المعنى الا بِتَوَاصُلِهما جميعاً ؛

فهو مُوَصَّلٌ ومُفَصَّلٌ من هذه الجهة ؛

وهو كُلُّه مُفَصَّلٌ منْ معنىً آخَرَ ؛ إنَّ الله جَلَّ ذِكْرُهُ ، بَيَّنَهُ كُلَّهُ ، وهو قولُهُ تعالى « وفَصَّلْناهُ تَفْصيلا » [4] .

وقال عَزَّ مِنْ قائل « أُحْكِمَتْ آياتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُن حَكيمٍ خَبير » [5] .

وقال « وقد فَصَّلَ لكم ما حَرَّمَ عليكم » [6] « وكُلُّ شَيْءٍ فَصَّلْناه تَفْصيلا » [7] . وقال عَزّ وجَلَّ « وكذلك

---

(١) الحجر : ٤ . (٢) الإسراء : ٥٨ . (٣) القصص : ٥١ . (٤) الاسراء : ١٢ .
(٥) هود : ١ . (٦) الانعام : ١١٩ . (٧) الإسراء : ١٢ .

نُفَصِّلُ الآيات لَعَلَّهم يَتَذَكَّرون » [1] ، « وكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآياتِ لقَومٍ يَعْلَمُون » [2] ، « قد فصَّلْنَا الآياتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُون » [3] ، « وكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآياتِ ولِتَستَبينَ سَبيلُ المُجْرِمين » [4]

فأَنْزَلَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ كِتَابَهُ بِلِسَانِ العَرَبِ ، لِيَفْهَمُوا معانِيَ ما أَرادَ فيما أَمَرَ بِهِ ، ونَهَى عنه ، ووَصَفَ به نَفْسَهُ ، ووَعْدَهُ ووعيدَهُ ، وجميعَ ما نَزَّلَهُ ، فقال عَزّ مِنْ قائلٍ « بِلِسان عربيٍّ مُبين » [5] . وكَلامُ العَرَبِ له فُصولٌ ، ووُصُولٌ ، ليُبيِّنَ به المعاني ، ويُفْصِحَ به عن المُراد ، فَيَصِلَ الكلمةَ بالكلمةِ إذا كانت الكلمةُ الأُولى لا تُبِيْنُ عن المعنى وَحْدَها ، (١٣١) حَتَّى تَصِلَ بها الكلمة الأُخرى .

لو قال قائل « مِنْ » لم يَدْرِ سامِعُهُ ما يُرِيدُ حَتَّى يَصِلَها « مِنْ أَين جِئْتَ ؟ ». ولو قال « قُلْتُ » لم يُدْرَ مَا قَال ، حَتَّى يَقولَ كذا وكذا ؛ ولو قال « أَحمد » لم يَدْرِ مَنْ

---

(١) الأعراف : ٣٢ . (٢) الأعراف : ٣٢ (٣) الأنعام : ٩٨ .

(٤) الأنعام : ٥٥ . (٥) الشعراء : ١٩٥ .

يُريد ، حتى يقولَ : النبيُّ عليه السّلامُ ، وإني فلان ، ولو قال « سَمِعْتُ » ما دَرَى سامِعُهُ ما سَمِعَ حتَّى يقول كذا وكذا .

ومنه مفصل يَتمّ المعنى بالكلمةِ ، والكلمتَيْنِ ، والثَلاث ، فصاعداً فيتمُّ المَعْنى ، ثُمَّ يُريدُ المتكلِّمُ أَن يستأنفَ كلاماً آخَرَ يُبيِّنُ عن مَعْنَى ثَانٍ ، فَيَقْطَع الكلامَ الأَوّلَ عند تَمَامِ المعنى ثُم يَسْتَأْنِفَ كلاماً آخَرَ ثانياً يَتَبَيَّنُ عن مَعْنَىً ثانٍ لا على الأَوّل .

لو قال قائلٌ : أَحمدُ كريمٌ ، ثُمَّ أَراد أَن يَذُمَّ إِسحاقَ ولا يُدْخِلَه في المَدْحِ بالكَرَم ؛ فقال : أَحمدُ كريمٌ وإِسْحَاقُ ، لم يَدَعْهُ حَتَّى يَصِلَهُ .

ولو قال : لي على فُلانٍ أَلفُ درهم ، ثم أَرادَ أَنْ يخبرَ أَنَّ فلاناً قد أَوفاهُ فقال: لي على فلانٍ أَلف درهم وفُلاَن . فلَوْ سَكَتَ على قولِهِ « وفُلان » كان ادِّعاءً عليهما جميعاً أَلْف درهم ، فإِن قال : وفلانٌ قد أَوفاني كانَ فَصل ما بَيْنَهما ؛

وان ادَّعى على الأَوَّل أَلْفاً ، وفَصَلَ الآخرَ منه بالبَرَاءَةِ

له مما كان له ، وإنَّما يُفْصَلُ الثاني من الأَوَّل بأَنْ فَصَلَ الكَلاَمَ بكلامٍ ثانٍ تبيَّنَ به مَعْنَى الثَّاني من الأَوّل ، كقوله : ذهبْتُ أَنا وفُلانٌ ، فلو سَكَتَ عليه كان قد أَخبر أَنهما ذَهَبَا جميعاً ، فإِنْ فَصَلَهُ بِكَلاَمٍ مُسْتَقْبَلٍ أَبَانَ أَنَّ قَدْ فَصَلَ الأَوّل .

ذهبْتُ أَنا وفُلانٌ لَمْ يَذْهَبْ معي ، فلم يَقِفْ على فُلان . فيكونُ قد أَخبر أَنه قد ذَهَبَ معه ، ولكي يُبَيِّنَ أَنه عطف اسمَهُ (ليُبَيِّن) ما قَطعه عن الذَّهاب بكلامٍ يُدْخِلُه بقوله : وفُلان ... يُخْبِرُ أَنه لم يذهب مَعَهُ ، وأَنه هو ذَهَبَ وَحْدَهُ .

وكذلك قولُ الله جَلَّ ذِكْرُهُ يُبَيِّنُ المعنى بالواوِ فقال « إِنَّ الذين آمَنُوا والذين هَادُوا والنَّصارى » [1] فَفَصلَ بينَهم .

ولو قال قائِلٌ إِنَّ الذين آمَنُوا وهادُوا كان قَدْ فَصَلَ بينَهُما .

وكذلك قولُهُ : السماءُ والأَرضُ ، والذَّكَرُ والأُنْثَى ،

---

(١) البقرة : ٦٢ .

ولا يجوزُ السماءُ الأَرضُ ، الذكرُ الأُنْثى ، فيكون مَعْنَاهُما (واحداً) .

وكذلك فَصَّلَ اللهُ فقال « هو اللهُ الذي لا إله إلاَّ هو عالمُ الغيب والشَّهادةِ هو الرَّحمَنُ الرحيم ، » [1] وكذلك « بسم الله الرحمنِ الرحيم » ولا جَائِز : بسمِ الله الرَّحمن الرحيم ، فَيُوهِم أَنهما اثْنَان .

وكذلك قولُهُ « محمَّدٌ رسولُ الله » ولا جائِزَ محمد ، ورسولُ الله فَيَكُونا اثنَيْن .

ولا يجوزُ الفَصْلُ فيما لا يَتِمُّ إلاَّ بالوَصْل ،ولا يجوزُ الوَصْلُ فيما لا يَتمُّ معناهُ ، إلاَّ بالفَصْل ، فيمن لم يَجْهَرْ بذلك ؛

فمِنَ الفَصْلِ والوَصْلِ ما لو وُصِلَ المَفْصُولُ كانَ في ظاهِرِ تِلاوتِه كُفْراً ، وكذلك إن فُصِلَ المَوصولُ كان في ظاهِرِ تِلاوتِه من كِتابِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ كُفْراً ، فهُو المَوْصولُ الذي لا يَجُوزُ قَطْعُهُ ، وَمَنْ قَطَعَهُ كان كافِراً ، كقولِهِ « لا إله » ويقفُ نَفْياً لله تَبَارَكَ وتعالى . ولو لم يَقِفْ

---

(١) الحشر : ٢٢ .

واستأنَفَ كلاماً ليس بِمُوَصلٍ ، كان كَافِراً أيضاً ، لو قال : لا إله ، واستغْفِرْ لِذَنْبِكَ ، كان قد جَحَدَ الله جَلَّ وعَزّ .

وكذلك قولُهُ يأمُرُ « فاعلم أنَّه لا إلَه » [1] ولمَ يَصِلْها « إلاَّ الله » ، فهي كَلمةٌ أوّلُها نَفْيٌ لِكُلّ إله ، فإذا وَصلَها بقوله « إلا الله » ، كان توحيداً لله وَحْدَهُ بِنَفْي كُلِّ مَعْبُودٍ دُونَهُ .

وكذلك قولُهُ تَعَالى « قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ في السمواتِ والأَرضِ الغَيْبَ إلاَّ الله » [2] كان عِلْمُ الغيب منتفياً عن سوى الله ، موصوفاً به وَحْدَهُ .

وكذلك قولُهُ عَزَّ مِنْ قائلٍ « وعندَهُ مَفَاتِحُ الغَيْب لا يَعْلَمُها » [3] . وكذلك قولُهُ « إنَّ الله لا يَسْتَحيي » حَتَّى يَصِلَها بقولِهِ : « أن يَضْرِبَ مَثَلاً ما بَعُوضَةً » [4] .

وكذلك قولُه « واللهُ لا يَسْتَحيي » [5] حَتَّى يَصِلَها « مِنَ الحَقِّ » [6] .

وكذلِك قولُهُ « إنما قولُنا لِشَيْءٍ إذا أَرَدْناه أَن نقولَ

---

(١) محمد : ١٩ . (٢) النمل : ٦٥ . (٣) الانعام : ٥٩ : لا يعلمها إلا هو.
(٤) البقرة : ٢٦ . (٥) الأحزاب : ٥٣ . (٦) تتمة الآية السابقة .

له » [1] لم يَجُزْ أَيضاً قَطْعُهُ إذا لم يُبَيِّنْ ما يقولُ للشيءِ فقال « كن » ثم وَصَلَهَا فقال « فيكون » . ثم استأْنف فقال : « والذين هَاجَرُوا » .

وأَمَّا ما قَطَعَ اللهُ تَبَارَكَ وتعالى المعْنَى بالقَوْلِ فلم يَصلْهُ بِمَعْنىً ثانٍ ، فيكونُ مَعْنَاهما واحداً مما قَطَعَ الأَوّل (١٣٢) ، وإنَّ وَصَلَه بغيره بتمام مَعْنى الأَوّل ، واستأَنَفَ قولَه ثَانياً وَصَلَهُ بمعنىً ثانٍ مُسْتَقْبَلٍ لِيُفَرِّقَ به بين المعنَيَيْنِ فيه ما يكونُ كُفْراً لأَنْ يُذَمَّ به حتى يَقْطَعَهُ ولا يَصلَهُ ، كقوله تعالى « للذينَ لاَ يُؤمنونَ بالآخرة مَثَل السوءِ » [2] فهذا كلامٌ تامٌّ معناهُ لو وَصَلَه فقال « ولله » ، ثُمَّ قَطَعَ كان كافراً حَتَّى يَصلَهُ بقوله « ولله المَثَلُ الأَعْلَى » ولكن يتلُوه مستأَنفاً فَيُفْرِدَهُم عن اللهِ جَلَّ ذِكْرُهُ بالمَثَل السُوءِ ، ويُفرِدَ اللهَ جَلَّ وعَزَّ عنهم بالمَثَل الأَعْلى .

وقولُهُ « إنما يستجيبُ الذين يَسْمَعُون » [3] فقطع

---

(١) النحل : ٤٠ .

(٢) النحل : ٦٠

(٣) الأنعام : ٣٦ .

المستمعِينَ من المَوْتى ، ثُمَّ قال « يبعَثُهُم اللهُ » فَوَصَلَ المَعْنى بذكْرِ البَعْث لهم .

وقوله « سيماهُم في وجوهِهِم منْ أَثرَ السُجود ذلك مَثَلُهُم في التوراة » ثم استأَنف « ومثلهم في الإنجيل كزرع »[1] (الاية) .

وقولُهُ تعالى « فأَولى لهم »[2] ثُمَّ استأَنَفَ « طاعةٌ وقولٌ معروف (فإذا عَزَمَ الأَمرُ فلو صَدَقُوا اللهَ لكان)خيراً لهم»[3].

وكذلِكَ قولُهُ تعالى « ويجعلُون لله البَنَات سُبْحانَهُ ولهم »[4] فلو وَقَفَ على قولِهِم « لَهُمْ » فوصَلَهُ ولم يَقْطَعْهُ منه بمستأَنَفٍ بقولهِ « ما يَشْتَهُون »[5] لكانَ قد أَخبر أَنَّهم قد جَعَلُوا لله البنات ولهم جَميعاً ما يشتهون ، فأَخْبَرَ أَنهم وَصَفُوا اللهَ جَلَّ ذِكْرُهُ بأَنَّ له البناتِ ، ولم يَصِفُوه بما يَشْتَهُون من الذُّكْران ، وَجَلَّ عنهما جميعاً وانما ذَمَّ اللهُ المشركين حيث يَجْعَلُون له ما يَكْرَهُون لأَنْفُسِهِمْ

(١) الفتح : ٢٩ .
(٢) محمد : ١٩ .
(٣) محمد : ٢٠ .
(٤) النحل : ٥٧ .
(٥) النحل : ٥٧ .

من البَنَاتِ ، ويجعلُونَ لأَنفُسِهِم الذُكْرَانَ ، فيجعلُون أَنفُسَهُم فوقَ الله جَلَّ وعز ؛ لتوكيدِ الحُجّةِ عليهم بعد إقرارِهم أَنَّ اللهَ خالِقُهُم ، ثم يَجْعَلُون له ما يَكْرَهُون لأَنْفُسِهِمْ ، وكذلِك قولُهُ « إِنَّ الله يُدْخِلُ الذين آمَنُوا وَعَمِلوا الصّالحاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تحتِها الأَنْهار »[1] ثم الكلامُ لِتَمَامِ المَعْنى ، لِثوابِ الذين آمَنُوا ، ثُمَّ استأَنَفَ فقال « والذين كَفَرُوا يَتَمَتَّعُون ويأَكُلُون كما تَأَكُلُ الأَنْعامُ والنارُ مَثْوىً لهم »[2] فلو وصلها واصل ، ولم يقطعها باستثناء فقال « والذين كَفَرُوا »[3] لكان قد وَصَفَهُم بِدُخُولِ الجَنَّاتِ مع الذين آمَنُوا .

وكذلك « يا نُوحُ اهبِطْ بِسَلَامٍ منا وبَرَكاتٍ عليكَ وعلى أُمَمٍ مِمّنْ مَعَك »[4] فَتَمَّ الكلامُ بِتَمَامِ المَعْنى ، بإِيجاز الله لنوحٍ وَمَنْ معه البركاتِ والسَلَامِ ، ثُمَّ استأْنَفَ الأُمَمَ مِنْ بعده بالمَتَاعِ والعَذَاب ، ولم يَصِلِ الكَلَامَ فيشترك الأُمَمُ بعدَهُ في السلامِ والبركاتِ ، وكذلِك « إن

(١) محمد : ١٤ .
(٢) محمد : ١٢ .
(٣) محمد : ١٢ .
(٤) هود : ٤٨ .

مَثَلَ عِيْسى عندَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ » [1] إلى قولِهِ « ثُمَّ قالَ له كُنْ فيَكُون » [2] ثُمَّ قَطَعَ واستأنَفَ فقال « الحَقُّ من ربِّك » [3] مستأنِفاً فوقَعَ الحقُّ مستأنفاً ، وكذلك « فَريقاً هدَى وفريقاً حَقّ عليهم الضَّلالة » [4] والمبتدأُ في أكثرِ الأَخبار مرفوعٌ ، ولكنَّ هذا الموضعَ نَصَبَ الثانيَ المقطوعَ من الأَوّل ، فجعلَهُما جميعاً في مَعْنى المفعول بهما ، يُخالِفُ بين مَعْنَاهُما ، ثُمَّ اتبع آخِرَ الفريقَيْنِ بما حَقّ عليهم من الضَّلالَةِ ، بِخلافِ الفِرقةِ الأُولى التي هَدَاها فقال « فريقاً هَدَى » ثُمَّ استأنَفَ فقال « وفريقاً حَقَّ عليهم الضلالةُ » .

وقولُهُ « مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مرقَدِنا » [5] فَقَطَع ثم استأنف « هذا ما وعَدَ الرحمنُ » [6] ، قالت الملائكةُ هذا ما وَعَدَ الرحْمَنُ .

وقولُهُ « إنَّ المُلُوكَ إذا دَخَلُوا قريةً أَفْسدوها ، وجَعَلُوا أَعزَّةَ أَهلِها أَذِلَّةً » [7] فَقَطَعَ ثُمَّ قال « وكذلكَ يَفْعَلُون » [8] .

---

(١) آل عمران : ٥٩ .
(٢) آل عمران : ٥٩ .
(٣) آل عمران : ٦٠ .
(٤) الاعراف : ٣٠ .
(٥) يس : ٥٢ .
(٦) يس : ٥٣.
(٧) النمل : ٣٤ .
(٨) النمل : ٣٤ .

وقولُهُ « قُلْ لا تُقْسموا [1] » ، لا تَحْلفُوا ، ثم ابتدأ فقال « طاعةٌ معروفةٌ » معناه: أَو طاعةٌ معروفةٌ .

وقولُهُ « فإنَّه يَحْملُ يومَ القيامة وزراً خالدِين فيه ، وساءَ لَهُم يومَ القِيامةِ حَمْلاً » [2] معناهُ وساءَ ذلك الوزْرُ يَوْمَ القِيامةِ حَمْلاً .

والمفصل الذي ابتدأَهُ باستئناف ما بعدَه بتَمَام الكلامِ ، ولو لَمْ يَصلْهُ بكلام ثانٍ فليس مفصولاً بالأَوَّلَ فالمُفَصَّلُ لا يَخْلُو من أَن يُوْصَلَ بكلامٍ مستأَنَف إلاَّ أَنه لا يُوْصَلُ بالأَول وإنما يُوْصَل بالثالِث . وكذلك قولُهُ : « ما المسيحُ بنُ مريم إلاَّ رسولٌ خَلَتْ من قبلهِ الرُسُل » [3] .

(هو آخِرُ الكتاب) [4]

---

(١) النور : ٥٣ .

(٢) طه : ١٠٠ .

(٣) المائدة : ٧٥ .

(٤) تتبع هذه العبارة سطور تتضمن تفصيلات نحوية في إعراب فاتحة الكتاب ، تذكر فيها آراء للفارسي والزمخشري وابن جني . ولا شك ان في آخر المخطوطة سقطاً قد يبلغ الصفحة أو يزيد ، يحتوي على بقية حديث المحاسبي عن « المفصل » في القرآن ، ثم خاتمة الكتاب .

توثيق نسبة « فهم القرآن » الى المحاسبي

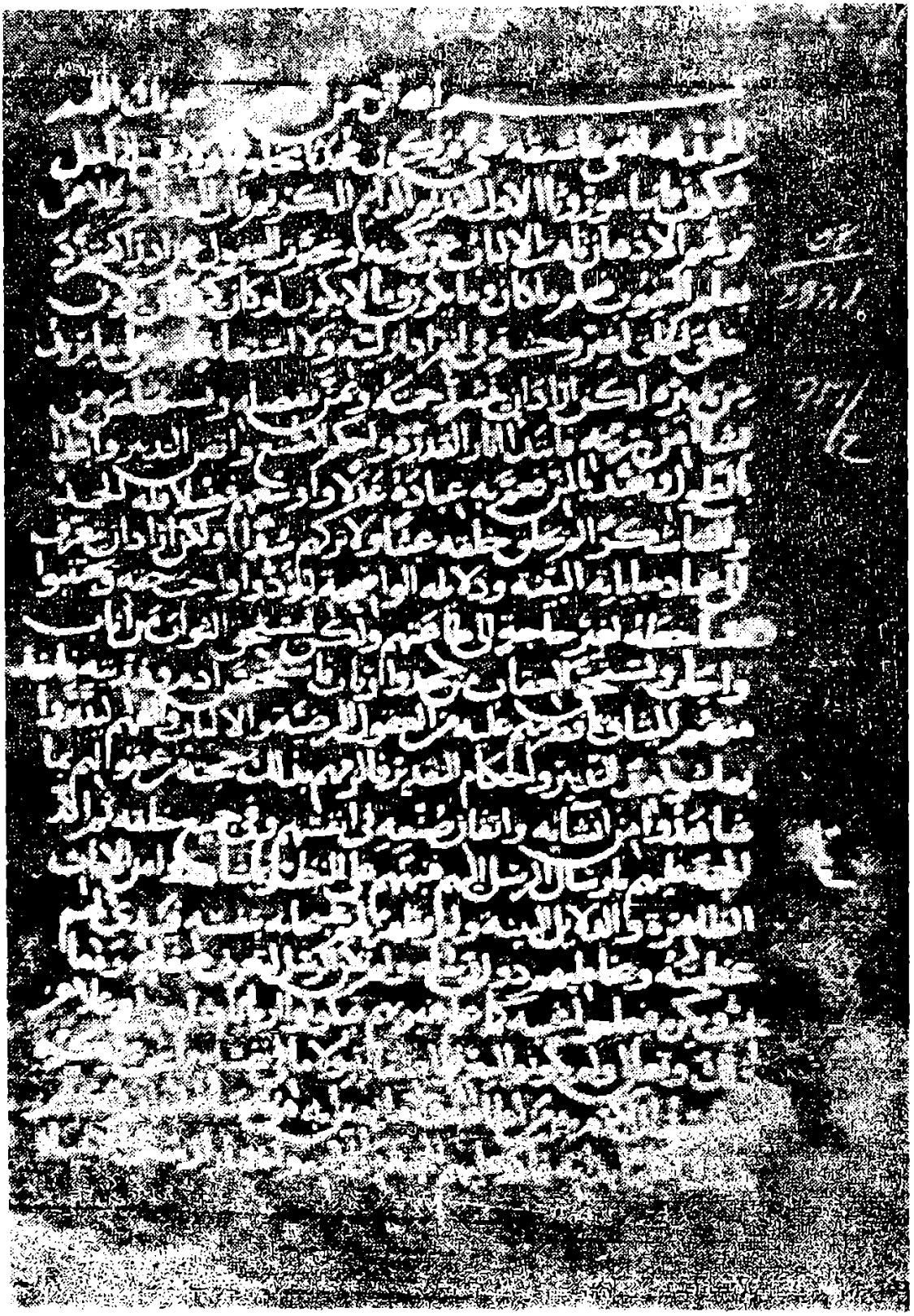
مجموع الفتاوى لابن تيمية

٥/٥٥٧ . ط : مطابع الرياض

وكذلك ذكرها (يعني مقالات الفرق ، والرد على الجهمية والمعتزلة) الحارث المحاسبي في كتاب « فهم القرآن » وغيره ؛ بيّن فيه من علو الله واستوائه على عرشه ما بيّن به فساد قول النُفاة ؛ وفرح الكثير من النظار الذين فهموا أَصل قول المتكلمين ، وعلموا ثبوت الصفات لله ؛ وأَنكروا القول بأَن كلامه مخلوق ؛ فرحوا بهذه الطريقة التي سلكها ابن كلاب : كأَبي العباس القلانسي ؛ وأَبي الحسن الأَشعري ، والثقفي ؛ ومن تبعهم : كأَبي عبد الله بن مجاهد ، وأَصحابه ، والقاضي أَبي بكر ، وأَبي إِسحاق الاسفرائيني ، وأَبي بكر بن فورك ، وغير هؤلاءِ .



صورة غلاف مخطوطة فهم القرآن



صورة الصفحة الأولى من مخطوطة فهم القرآن

الفهارس العامة

لكتاب (العقل وفهم القرآن)

١) فهرس المصادر والمراجع .

٢) فهرس الأعلام .

٣) فهرس الموضوعات .

فهرس المصادر والمراجع

١ — المحاسبي : الحارث بن أسد (١٦٥ — ٢٤٣هـ)

أ الرعاية لحقوق الله : تحقيق : د. عبد الحليم محمود . ط : دار الكتب الحديثة بمصر ١٩٦٦م .

ب المسائل في أعمال القلوب والجوارح والمكاسب والعقل : تحقيق عبد القادر أحمد عطا . ط : عالم الكتب بمصر ١٩٦٦م .

ج الوصايا أو النصائح : تحقيق عبد القادر عطا . ط : محمد علي صبيح بمصر ١٩٦٤ .

د رسالة المسترشدين : تحقيق : عبد الفتاح ابو غده . ط : حلب ١٩٦٤م .

هـ التوهم : بغير تحقيق : ط : مصر ، بلا تاريخ ، ونشرة أ.ج. آربري.

و آداب النفوس : (مخطوط) — جار الله .

ز الخلوة والتنقل في العبادة ودرجات العابدين — مجلة المشرق ١٩٥٥

القشيري : عبد الكريم بن هوازن (٣٧٦ – ٤٦٥هـ)

الرسالة القشيرية : تحقيق د. عبد الحليم ، محمود بن الشريف ،ط : دار الكتب الحديثة ١٩٦٦م .

السلمي : محمد بن الحسين (٣٢٥ – ٤١٢هـ)

طبقات الصوفية : تحقيق نور الدين شريبة . ط : الخانجي بالقاهرة ١٩٦٩م .

السراج الطوسي : ابو نصر عبدالله بن علي (– ٣٧٨هـ) .

اللمع في التصوف : تحقيق : د. عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور . دار الكتب الحديثة ١٩٦٠م .

الكلاباذي : أبو بكر محمد (– ٣٨٠هـ)

التعرف لمذهب اهل التصوف : تحقيق محمود امين النوادي . ط : مكتبة الكليات الازهرية ١٩٦٩م .

الاصفهاني ابو نعيم : احمد بن عبدالله (– ٤٣٠هـ)

حلية الأولياء : بغير تحقيق . ط : الخانجي والسعادة ١٣٥١هـ / ١٩٣٢ م .

العطار : فريد الدين .

تذكرة الأولياء . ط : ليدن

ابو طالب المكي : محمد بن علي بن عطية (– ٣٥٨هـ)

قوت القلوب : بغير تحقيق . ط : مكتبة القاهرة ١٩٦٤ .

الغزالي : ابو حامد محمد بن محمد (٤٥٠ – ٥٠٥هـ)

أ إحياء علوم الدين : ط : لجنة نشر الثقافة الاسلامية بمصر ١٣٥٦هـ.

ب المنقذ من الضلال : تحقيق د. صليبا وعياد . ط : مكتب النشر العربي بدمشق ١٩٣٤م .

ج مشكاة الأنوار : تحقيق د. ابو العلا عفيفي . ط : الدار القومية بمصر ١٩٦٤م .

١٠ — ابن خلدون : عبد الرحمن (٧٣٢ — ٨٠٨هـ)

شفاء السائل بتهذيب المسائل : تحقيق اغناطيوس خليفة . ط : المطبعة الكاثوليكية ببيروت .

١١ — الشعراني : عبد الوهاب بن أحمد

الطبقات الكبرى : ط : محمد علي صبيح بالقاهرة ، بغير تاريخ .
(بهامشه كتاب الأنوار القدسية للشعراني)

١٢ — المناوي:

الكواكب الدرية . مطبعة الأزهر ١٩٣٨

١٣ — اليافعي المكي :

مرآة الجنان — تصوير ايران ١٩٦٥م .

١٤ — عفيفي : ابو العلا (— ١٣٨٥هـ)

التصوف : الثورة الروحية في الاسلام ، ط : دار المعارف ١٩٦٤م.

١٥ — محمود (د. عبد الحليم)

أ التفكير الفلسفي في الاسلام ، ط : مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٨م.

ب الاسلام والعقل ، ط : دار الكتب الحديثة ١٩٦٦م .

١٦ — بدوي : عبد الرحمن :

أ السهروردي المقتول (هنري كوربان ، ضمن مجموعة مترجمة بعنوان: شخصيات قلقة) ط : دار النهضة ١٩٦٤م .

ب بحوث في المعتزلة (لكارلو نللينو ، ضمن مجموعة مترجمة بعنوان : التراث اليوناني) ط : دار النهضة ١٩٥٩م .

١٧ ــ النشار : علي سامي :

نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام (الجزء الاول والثالث) ط : دار المعارف بالاسكندرية ١٩٦٦ ، ١٩٦٩ .

١٨ ــ الخطيب البغدادي : ابو بكر أحمد بن علي (ــ ٤٦٣هـ)

تاريخ بغداد : ط : القاهرة ١٣٥٧هـ / ١٩٣٩م .

١٩ ــ الذهبي : الحافظ ابو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان (٦٧٣ ــ ٧٤٨هـ) .

أ ميزان الاعتدال في نقد الرجال : تحقيق علي محمد البجاوي . ط : دار إحياء الكتب العربية ١٩٦٣م .

ب العلو للعلي الغفار : ط : مصر ، على نفقة محمد نصيف ، بغير تاريخ .

ج العبر في خبر من غبر : ط : وزارة الإرشاد بالكويت . ١٩٦ م .

د تذكرة الحفاظ . ط : الهند ١٣٧٧ هـ

هـ : تاريخ الاسلام . ط : القدسي ١٣٤٦هـ .

٢٠ ــ البلقيني : سراج الدين :

حاشية على الام للشافعي : ط : بولاق ١٣٢١هـ .

٢١ ــ السبكي : تاج ابو نصر عبد الوهاب بن علي (٧٢٧ ــ ٧٧١هـ)

طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق : محمود الطناحي ، عبد الفتاح الحلو . ط : دار إحياء الكتب العربية ١٩٦٤م .

٢٢ ــ المسعودي : ابو الحسن علي بن الحسين (ــ ٣٤٦هـ)

مروج الذهب ومعادن الجوهر : ط : المطبعة البهية المصرية سنة ١٣٤٦ هـ

٢٣ – العسقلاني : احمد بن علي بن حجر (– ٨٥٢هـ)

أ تهذيب التهذيب : ط : حيدر آباد الدكن بالهند ١٣٢٥هـ – ١٣٣٧هـ .

ب لسان الميزان : ط : حيدر آباد الدكن بالهند ١٣٢٩هـ .

حـ الإصابة في تمييز الصحابة ط : مصر .

٢٤ – ابن الجوزي : ابو الفرج عبد الرحمن بن علي (٥١٠ – ٥٩٧هـ)

أ تلبيس إبليس : تعليق ونشر محمد منير الدمشقي . ط : الثانية ١٣٦٨هـ .

ب ذم الهوى : تحقيق د. مصطفى عبد الواحد . ط : دار الكتب الحديثة ١٩٦٢م .

جـ مناقب الامام أحمد بن حنبل ط : الخانجي ، القاهرة ، ١٣٤٩هـ .

٢٥ – ابن الأثير : مجد الدين ابو السعادات المبارك بن محمد (٥٤٤ – ٦٠٦هـ)
الكامل في التاريخ : ط : مصر ١٩٥٤م .

٢٦ – عمر بن الوردي :

تتمة المختصر ط : القاهرة ١٢٨٥ هـ .

٢٧ – ابن النديم : (– ٣٧٧هـ)

الفهرست : ط : المكتبة التجارية بالقاهرة ١٣٤٨هـ

٢٨ – ابن خلكان : (محمد بن أحمد)

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ط : الاولى ، القاهرة ١٣٦٧هـ .

٢٩ — ابن العماد : الحنبلي :

شذرات الذهب في أخبار من ذهب . ط : القدسي ، القاهرة ١٣٥٠هـ.

٣٠ — الدار قطني : علي بن عمر (— ٣٨٥هـ)

أخبار عمرو بن عبيـــد ، تحقيق د. يوسف فان إس ، ط : المطبعة الكاثوليكية ١٩٦٧ .

٣١ — البغدادي : عبد القاهر بن طاهر (— ٤٢٩ هـ)

أ أصول الدين ، ط : مطبعة الدولة باستانبول ١٩٢٨م .

ب الفرق بين الفرق تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط : محمد محمد علي صبيح ، بغير تاريخ .

٣٢ — الشهرستاني : الإمام محمد بن عبد الكريم (٤٧٩ — ٥٤٨هـ) .

الملل والنحل ، ط : محمد علي صبيح ، بغير تاريخ (على هامش الفصل لابن حزم) .

٣٣ — ابن تيمية : تقي الدين أحمد بن عبد الحليم (٦٦١ — ٧٢٨هـ)

أ منهاج السنة النبوية : تحقيق د. محمد رشاد سالم ، ط : مكتبة خياط ببيروت ١٩٦٢م .

ب الرد على المنطقيين : تحقيق عبد الرحمن الوكيل ، ط : مطبعة السنة المحمدية ١٩٥٩م .

ح الفرقان بين أولياء الرحمن واولياء الشيطان : تحقيق : ابو الوفاء محمد درويش ، ط : مطابع الرياض ١٩٥٦م .

٣٤ — الكندي : أبو يوسف يعقوب بن إسحق (١٨٥ — ٢٥٢ هـ)

الرسائل الفلسفية : تحقيق د. محمد عبد الهادي ابو ريده ، ط : دار الفكر العربي ١٩٥٠م .

٣٥ — ابن أبي الدنيا (— ٢٨١ هـ) .

العقل وفضله ، تحقيق وطبع عزت العطار الحسيني ١٣٦٥هـ ، ١٩٤٦م .

٣٦ — الايجي : عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد (— ٧٥٦ هـ)

المواقف العضدية (مع الشرح للشريف الجرجاني — ٨١٦) هـ ، ط : الساسي ١٣٢٥هـ .

٣٧ — النسفي : نجم الدين عمر (— ٥٧٣هـ)

العقائد النسفية (مع الشرح للتفتازاني — ٧٩١هـ) ط : المطبعة الأزهرية ١٣٣٢ هـ .

٣٨ — الإسفرايني : ابو المظفر (— ٤٧١ هـ)

التبصير في الدين : تحقيق الشيخ زاهد الكوثري ، ط : القاهرة ١٩٤٠م .

٣٩ — ابن كثير : عماد الدين أبو الفداء (— ٧٧٤هـ)

تفسير القرآن العظيم : ط : دار إحياء الكتب العربية ١٣٦٧هـ ، ١٩٤٨م.

٤٠ — الرازي : فخر الدين ابو عبدالله محمد بن عمر (٥٤٤ — ٦٠٦هـ)

مفاتيح الغيب ، ط : المطبعة البهية بميدان الأزهر ، بغير تاريخ .

٤١ — القرطبي : أبو عبدالله محمد بن أحمد (— ٦٧١هـ)

الجامع لأحكام القرآن ، ط : دار الكاتب العربي بمصر ١٩٦٧م .

٤٢ — حقي : اسماعيل (— ١١٣٧هـ)

روح البيان — مطبعة الجامعة — استانبول ط ١٩٢٦

٤٣ — ابن جعفر : قدامة (— ٣٣٧هـ)

نقد النثر : تقديم د. طه حسين ، ط : مطبعة الاعتماد ١٩٤٨م.

٤٤ — ابن منظور :

لسان العرب : ط : بولاق

٤٥ — السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر (٨٤٩ — ٩١١هـ)

الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة (على هامش الفتاوى الحديثية للهيثمي) ط : المطبعة الميمنية ١٣٠٧هـ .

٤٦ — أحمد امين (— ١٩٥٤م)

أ ضحى الاسلام ط . النهضة المصرية ١٩٦٢

ب ظهر الاسلام ط. النهضة المصرية ١٩٦٣.

٤٧ — شوقي ضيف

الفن ومذاهبه في النثر العربي : ط : النهضة المصرية ١٩٤٦م .

٤٨ — رئيف خوري

التعريف في الأدب العربي : الطبعة الاولى ، بيروت .

٤٩ — ابن رشد : ابو الوليد محمد بن أحمد (٥٢٠ — ٥٩٥ هـ)

مناهج الأدلة في عقائد الملة : تقديم وتحقيق د. محمود قاسم . ط : الانجلو المصرية ١٩٥٥م .

٥٠ — ابن حبان (محمد — ٣٥٤ هـ)

مشاهير علماء الأمصار . ط : القاهرة ١٣٧٩ هـ .

٥١ — الآمدي :

الإحكام . في أصول الأحكام . ط : القاهرة ١٣٨٧ هـ

٥٢ — أبو عبيدة معمر بن المثنى (— ٢١٠ هـ)

مجاز القرآن . تحقيق فؤاد سزكين . ط : القاهرة .

٥٣ — اللكنوي :

الرفع والتكميل . ط : حلب .

٥٤ — ابن قيم الجوزية :

المنار المنيف في الصحيح والضعيف : ط : حلب

٥٥ — علي القاري:

المصنوع في معرفة الحديث الموضوع .ط : حلب

٥٦ — المناوي :

الاتحافات السنية في الأحاديث القدسية : ط : بيروت ١٩٧١

٥٧ — ابن عبد البر :

الاستيعاب . ط : مصر ١٩٦٤.

٥٨ — ابن سعد (محمد — ٢٣٠ هـ)

الطبقات الكبرى ، ط : دار التحرير بمصر ١٩٦٧ — ١٩٧٠

٥٩ — الطبري (محمد بن جرير — ٣١٠ هـ)

تفسير الطبري . ط : دار المعارف بمصر

٦٠ — السيوطي (عبد الرحمن — ٩١١ هـ)

الإتقان . ط : مصر ١٣٧٥ هـ .

٦١ — أبو الفرج الأصفهاني (— ٣٥٦ هـ)

الأغاني : ط : دار الشعب ١٩٦٨ م

فهرس الأعلام

(أ)

ابن ابي حاتم ١٢١
ابن أبي الدنيا ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٨٥ .
ابو اسحاق ٢٩١ ، ٢٩٢ .
أبو أمامة الباهلي ١٢٥ .
ابن الأثير (عز الدين) ٣٠ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ١٠٧ ،
ابن أبي ذئب ١٤ ، ٩٥ .
ابن نوح (محمد) ٢٣ .
ابراهيم بن أدهم ٢٥ ، ٨٢
ابو يوسف (يعقوب بن ابراهيم) ٢٥ ، ٣٢ .
ابو العباس القلانسي ٣٠، ١٠٨، ١٩٠.
ابو الحسن التميمي ٣٣ ، ٤٩ ، ٨٥١
ابو حمزة الصوفي ٣٥، ٥٦ ، ٥٨ ، ٢ .
ابو يعقوب البويطي ٣٧ .
ابن طاهر (عبدالله) ٢٤٢ ، ٣٥٥،
ابن طاهر (طلحه) ٢٤٢ .
ابن طاهر (محمد بن عبد الله) ٣٩.
ابن الجوزي (عبد الرحمن) ٤١ ، ٩١ ، ١٩ .
ابو بكر (رضي الله عنه) ٣٩، ٩٣، ٤٦٣ ،
ابن تيمية (تقي الدين) ٤١ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ١٠٩ ، ١١٥ .
ابو تراب النخشي ٤٢ .
ابن كثير ١٢١
ابن خفيف ٤٩ ، ٥١ ، ٥٦ ، ٧٥ ، ٥٨ ، ١١٢ .
ابو العباس بن عطاء ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٤ ، ٥٦ ، ٥٩ ، ٩٨ ، ١١٢ .
ابو عبد الرحمن السلمي (صاحب الطبقات) ٤٩ ، ٥١ ، ٥٤ ، ٥٤ ، ١١٣ .
أبو معاوية ٣٩٤ ،
أبي بن كعب ٤٠١ ، ٤٠٥ ،
أبو حرب ٤٠٥ ،
أبو الأسود الدؤلي ٤٠٥ ،

ابن لهيعة ٤٠٨ ،
أشعث بن سعيد ٤٢١ ،
أبو خباب ٤٣١ ،
أبو صالح ٤٤ ،
أبو حصين (عثمان بن عاصم) ٣٢٧،
ابو نعيم الأصبهاني ٥٠ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ١٢٥ .
ابن العماد الأصفهاني ٥٠ ، ٦١
ابن خلدون (عبد الرحمن) ٥٠ ، ٦١، ٨٧ ، ٨٩ .
ابن شاذان ٥١ ، ٦١ ، ٧٠ .
ابو يزيد البسامي ٥٤ .
ابن خيران ٥٥ ، ٥٦
ابو محمد الرازي ٥٦ .
ابو طالب المكي ٣٤، ٨٧، ٨٨، ٩٠ .
ابن نصير ٥٦ .
ابن الكاتب ٥٦ ، ٥٨
الأبهري ٥٦ .
ابن مجاهد ٥٧ .
ابو الحسن الباهلي ٥٧ .
ابو العلا عفيفي ٦١ ، ١٣٠ ، ١٣٣
ابراهيم بن المهدي ٦٤ .
ابن طباطبا ٦٤ .
ابو السرايا ٦٤ .
ابن ميمون الخواص ٧٥
ابو عثمان البلدي ٧٥
ابو بكر البغدادي ٧٦
ابن المقفع (عبدالله) ٧٧ ، ٨٥
ابراهيم(عليه السلام)٣٥٩، ٣٦٠، ٣٩٥،
ابراهيم النخعي ٢٨١ ، ٣٩٧ ، ٤٣١ ، ٤٣٦ ، ٤٤٠ ، ٤٧٢ ،
ابن سالم ٨٧ ، ٨٨ ، ١١١
اسحاق بن راهويه ١٤ ، ١٥ ، ٣٨ ، ٥١ ، ١٢٩ .
اسحاق بن يوسف ٤١٦
أبو مالك الأشجعي ٤١٧ ،
الأزهر الحرازي ٤٤٨ ،
ابن حزم ٨٩ .
أبو الأحوص ٣٢٨
ابو هريرة ٩٢ ، ١٢٥ ، ٤٢١، ٤٤٢،
ابن عمر (عبدالله) ٩٣
ابو اسحاق الفزاري ٩٥ ٣٩٩ ، ٤٤٠ ، ٤٥٣ ،
أبو حفص الحداد ١٠٥ ، ١٨٥ .
ابو علي الدقاق ١١١ .
ابن الموفق ١١٣ .
ابن سينا ١١٥ .
ابن عدي ١٢٨ .
ابو رجاء العطاردي ٢١٤ ، ٢٧٨
ابن رشد ٢٥٠ .
ابو مالك الأشجعي ٢٧٩ .
أبو سفيان ، ١٦ ، ٢٧٩ ، ٣٩٨ ، ٤٠٨ ، ٤١٢ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٤ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٥٥ ، ٤٦٥ ، ٤٧٠ ،
ابو مختار الطائي ٢٨٥

ابو سعيد الخدري ٢٨٧ ، ٤٢٥ ،
أبو الليث ١٢٠ .
أبو أُمامة الحمصي ٢٩٠
ابو سعيد الأشج ١٢١ .
أبو أسامة ١٢١ .
ابن قيم الجوزية ١٢٢ .
ابو عنبس ٢٩٤
أبي بن كعب ٢٩٤
ابو نجيح (يسار) ٢٩٦ .
ابو عبد الرحمن السلمي (حبيب بن ثابت) ٢٩٧ ، ٣٢٧ ،
ابو سلمة بن عبد الرحمن ٢٩٩ .
ابو حنيفة (النعمان بن ثابت) ١١ ، ٤٦
ابن جريج ١٤ ، ١٢٦ ، ١٥٢ ، ٢٥٠ ، ٢٨٧ ، ٢٧٩ ، ٢٨٥ ، ٣٩٨ ، ٤٠٨ ، ٤٣٢ ، ٤٣٧ .
أبو أُمامة الباهلي ٤٠٦ ،
أبو بكر بن عبد الله بن أبي مريم ٤٤٨ ،
ابن أبي نجيح ٤٤١ ،
ابن أبي مليكة ٤٠٣ ،
ابن أبي ليلى (الاب والابن) ١٤
ابو سلمة بن عبد الرحمن ٢٩٩ .
ابو عمر العيشي ٣٠٠
أبو بكر بن أبي شيبة ١٥ ، ١٧ ، ٥٢ ، ٢٩٩ .
ابو عوانه ١٥ .
ابن سعد (محمد) ١٥ .
ابن عيينه (سفيان) ١٥ ، ١٦ ، ١٢٦ ، ١٥٢ ، ٤٤١ ،
ابو زرعة ١٥ ، ١٦ ، ٥٣ .
ابن طهمان ١٥ .
ابن الماجشون (عبد العزيز) ١٥
ابو النضر ١٦ ، ١٧ ، ٢٨٠ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٦ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ،
ابن أبي مريم ١٦ ، ٤٠ ، ٥٢ ، ٤٠٣ ،
ابو زيد الأنصاري ١٦
أبو عبيدة (معمر بن المثنى) ١٦ ، ٢٦٠ ، ٣٣١ ،
ابن الأعرابي ١٦ ، ٥٦ .
ابو عمرو الشيباني ١٦
ابو عمرو بن العلاء ٢١٤
ابن النديم ١٦ ، ٤٩ ، ٦٠
ابو حاتم ١٦
ابن حجر العسقلاني ٣٠ ، ٤٣ ، ٦١ ، ١١١
ابن الصلاح ١٧
ابن فورك ٥٧ ، ١١٣
أحمد بن حنبل ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ،
اسماعيل بن سليمان ٤٠٥ .
اسماعيل بن ابراهيم ٤٢٧ ، ٤٤٧ .
أيوب السختياني ٤٢٧ .
اسماعيل بن أبي خالد ٢٩٤ ، ٤٣٣ .
أحمد بن حنبل ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ٢٣ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ،

٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ،
٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ،
١٠٨ ، ١١١ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ،
١٣٣ ، ١٤٠ ، ١٤٧ ، ٢١٤ .
أحمد مكي (الدكتور) ٥ .
أحمد بن أبي دؤاد ٢٢ ، ٢٤ ، ٣٨ .
أحمد بن نصر الخزاعي ٣٧ .
أحمد بن صالح المصري ٤٦ .
احمد بن نصر الفرائضي ٥٥ .
أحمدبن الحسن بن عبدالجبار ٥٥ ، ٥٦ .
أحمد امين (الدكتور) ٩٩ .
اسماعيل بن نجيد ٤٢ ، ٥٦
اسماعيل بن اسحق السراج ٤٣ ، ٥٦
اسحاق بن ابراهيم ٢٣ ، ٤١
اسماعيل بن ابراهيم ٢٧٧ .
اسماعيل بن عياش ٢٨٧ ، ٢٩٠ .
اسحاق بن عيسى ١٦ ، ٢٨٩
أسباط بن نصر ٢٩١ .
إسرائيل بن يونس ٢٩٢ .
اسماعيل بن عليه ١٦
اسماعيل حقي ١٢١ .
أسامة بن زيد الليثي ٣٩٦ .
الاسفراييني ٥٧ ، ١٢٦ .
الأفشين ٧٥ .
الأنطاكي ٥٦ ، ٧٦ ، ٨٦ ، ١٣٢ ، ١٨٥ .
إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ٣٩٩
ام الدداء الصغرى ٢٩٤
اسد العنزي ١٢ .
اسطفان فيلد (الدكتور) ٦ .
ايوب السختياني ١٣ ، ٢١٤ .
الأعمش ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ٢٩٩ ، ٣٩٧ ،
الأوزاعي (عبد الرحمن بن عمرو) ١٤ ، ٤٥ ، ٨٢ ، ٣٩٩ ،
الأصمعي ١٦ .
الأموي ٢٥٨ .
أنس بن مالك ٢١٤ ، ٣٩٩ ، ٤٢٤ ،
أيوب بن عون ٨٢ .
افلاطون ١١٤ .
ارسطو ١١٤
آربري (ارثر) ٢٥٠ .
الأشعري (أبو الحسن) ٣٤ ، ٥٧ ، ١١٢ ، ١١٣ .
الأشعري (أبو موسى) ٤٠٥ ،
اغناطيوس اليسوعي ٤٥ .

(ب)

البخاري (محمد بن اسماعيل) ١٤ ، ١٥ ، ٥٢
البغدادي (عبد القاهر) ١٧ ، ١٠٨ .
بشر المريسي ٢٢ ، ٤٠ .
بشر الحافي ٢٥ ، ٣٤ ، ٤٢ ، ٩٥ .
البوشنجي ٥٦ .
البقري ٥٦
بندار ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ١١٢ ،
الباقلاني ٥٧ ، ١١٢ .

بابك الخرمي ٧٥ .
البراء بن عازب ٤٠٢ ،
بكار بن عبد الله الربذي ٤٠٦ ، ٤٤٦
بكر بن خنيس ٤٣١ .
البيضاوي ١٩٢ .
بشر بن عبدالله ، ٢٩ .

(ث)

الثوري (سفيان) ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٨٢ ، ٩٤ ، ١٠٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ٢٥٠ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٣٢٧ ، ٣٩٥ ، ٣٩٧ ، ٤١٧ ، ٤٤٧ ، ٤٤٤ ، ٤٥٦ .
ثمامة بن أشرس ٢٣ .
ثعلب ١٤٠ .

(ج)

جبريل (عليه السلام) ٤٣٧ .
الجعد بن درهم ١١ ،
الجهم بن صفوان ١٠ ،
جوزف فان إس (الدكتور ، مستشرق) ٦ ، ٧ ،
جرير بن عبد الحميد ١٥ ،
جرير بن خزيمة بن حازم ١٦ ،
الجنيد بن عبد الرحمن ١٩ ، ٣٤ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٨٥ ، ٩٨ ، ١٠٥ ،
الجاحظ (عمرو بن بحر) ٣٨، ٧٧ ،
الجريري ٥٦ ، ٥٩ ،
الجويني (إمام الحرمين) ٥٧ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١٨٧ .
جعفر الخلدي ٧٥ ، ١٨٧ ،
جندب بن عبدالله ٢٨٨ ،
جرير الضبي ٤٢١ .
جابر بن عبد الله ٤٢٤ ، ٤٣٤ ، ٤٤٧

(ح)

لم نذكر اسم المحاسبي لأنه يتكرر في كل صفحات الكتاب تقريباً .
حسن خالد (مفتي الجمهورية اللبنانية) ٣ .
حسين القوتلي (المحقق) ١ ، ٣ ، ٧
الحسن بن علي ٤١٨ .
الحسين بن علي (رضي الله عنهما) ١٠ ، ٣٨ ،
الحسن البصري ١٠ ، ١١ ، ٢١ ، ٢٥ ، ٥٣ ، ١٢٥ ، ١٤٥ ، ٢١٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٧ ، ٢٨٨ ، ٢٩٠ ، ٤٢٠ ، ٤٢٢ ، ٤٤٢ ، ٤٤٥ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٦٩ .
حصين بن عبد الرحمن ١٣ ، ١٤ ،
الحكم بن عتيبة ١٣ ، ٤٥٤ ،
حماد بن سلمة ١٤ ، ١٧ ، ٢٥٠ ، ٢٨٨ ،

حجين بن المثنى ١٥ ، ٢٩٢ ،
حمزة الزيات ٢٨٥ ،
الحسن بن صالح ١٥ ،
حجاج بن حماد بن سلمة ١٦ ، ١٧ ،
الحارث الأعور ٢٨٥ ،
لحسن بن موسى ٤١٩ ،
الحسن بن محمد ١٦ ، ٥٢ ، ٢٨١ ، ٢٩٥ ،
حكم بن يزيد ٤١٠ .
حكيم بن عمرو الغفاري ٩٣ ،
الحكم بن محمد ٤٣٣ ، ٤٤٤ .
حجاج ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٥ ، ٢٨٧ ، ٣٩٨ ، ٥٠٥ ، ٤٠٨ ، ٤٣٧ ، ٤٤٠ .

(خ)

الخطيب البغدادي (أحمد بن علي) ١٣ ، ١٦ ، ٣٠ ، ٤٣ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٦٠ ، ٦١ ، ١٠٧ ،
خصيف بن عبد الرحمن ١٣ ، ٤٣٨ ،
خلف بن هشام ١٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ،
خشيش بن أصرم ٣٨ ،
خالد بن صفوان ٢٠٧
خالد القسري ٢٨١ ،
خباب بن الأرت ٢٩٧ ،
خزيمة بن ثابت ٤٣٤ ،

(د)

داود الطائي ٢٥ ،
الداراني (ابو سليمان) ٥١ ، ٧٦
داود الأصفهاني ١٠٨ ،
الدار قطني ١٢٧ ، ١٢٨ ،
داود بن المحبر ١٢٧ ، ١٢٨ ،

(ذ)

الذهبي (الحافظ ، المؤرخ) ٢٤ ، ٣٤ ، ٣٧ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٩١ ، ٢٥٠ ،
ذو النون المصري ٢٥ ،

(ر)

الرشيد (هارون) ٢١ ، ٢٢ ،
رويم ٤٩ ، ٥٠ ، ٩٨ ،
رضوان السيد ٧ ،
الروذباري ٥٦ ، ٥٨ ،
رئيف خوري ٧٧
الراغب الاصفهاني ١٩٢ ،
الرازي (فخر الدين) ١٩٢ ،

(ز)

الزبير بن العوام ٢٨٨
زيد بن أرقم ٤١٤ .
٤٠٦ ، ٤٠٨ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧
زيد بن علي بن الحسين ١٠ ،
الزهري (ابن شهاب) ١٣ ،

زهير بن حرب (أبو خيثمة) ١٣ ، ١٥ ، ١٧ ، ٢٩٣
زياد بن حسان ٢٨٨ ،
زرارة بن أوفى ٢٩٢ ،
زر بن حبيش ٢٩٣ ، ٤٠٥ ،
زيد بن ثابت ٤٢٣ ، ٤٢٩ .

(س)

السدي ٤١٧ .
سعد بن عبيدة ٢٩٨
سعد بن هشام ٢٩٢ ،
السماك بن الوليد ٢٩١ ،
سعيد بن سليمان الواسطي ١٤ ،
سليمان بن داود الطيالسي ١٥ ، ١٨ ، ٤٣٦
سليمان التيمي ٣٠٠
سنيد بن داود ١٦ ، ١٧ ، ٤١ ، ٥٢ ، ٢٧٥ ، ٢٧٧ ، ٢٨٤ ، ٤٠٨ ، ٤٢٨ ، ٤٣٠ ، ٤٣٢ .
السرخسي ١٧ ،
سعيد بن عامر الضبعي ٤٤٧ .
سعد بن ابراهيم ٤٣٦
سعيد بن جبير ٤١٧ ، ٤٢٢ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠ .
سعيد بن مرجانه ٤٣٦ .
سعيد بن المسيب ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٣٢ ، ٤٣٥ ، ٤٤٩ ، ٤٦٥ ، ٤٦٨ .
سليمان بن بسار ٤٣٥ .
سفيان بن حسين ٤٣٦ .
سالم بن عبد الله بن عمر ٤٣٦ ،
سالم المكي ٤٤١ ، ٤٤٩ .
سليمان (عليه السلام ٤٨٠ ، ٤٨١ ،
الساري ٤٤٤ .
السبكي (تقي الدين) ١٩ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٦٠ ، ١٠٨ ، ١١٣ ، ١٨٨ ،
السفاح (أبو العباس) ٢١ ،
سعيد بن أبي عروبة ٢٨٩ ، ٣٩٥ ،
السري السقطي ٢٥ ، ٣٤ ، ٥٤ ، ٥٨ ، ١٣٢ ، ١٨٥ ،
سعيد بن حميد ٣٨ ،
سهل بن هارون ٧٧ ، ٨٥ ،
سهل التستري ٨٨ ،
سعد بن أبي وقاص ٩٤ ، ٤٢٥ ،
سقراط ١١٤ ،
السيوطي ١٢٥ ،
سليمان بن عيسى السجزي ١٢٧ ، ١٢٨ ،
سيار ٢٩٥ ، ٤٤٠ ،
سلمة بن نبيط ٣٩٧ .

(ش)

الشافعي (محمد بن ادريس) ١١ ، ١٧ ، ١٩ ، ٢٥ ، ٣٢ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٤٣ ، ٤٦ ، ٥١ ، ١٢٩ ،

١٣٠ ، ١٣٣ ، ١٤٠ ،
شعبة بن الحجاج ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ،
٢١٤ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٦ ،
٢٩٧ ، ٢٩٨ ،
شريح بن يونس ١٤ ، ١٦ ، ١٨ ،
٥٢ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٧ ،
٤٠١ ، ٤٠٦ ، ٤١٢ ، ٤١٦ ،
٤١٧ ، ٤١٩ ، ٤٢٧ ، ٤٢٩ ،
٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ ،
٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ،
٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٤٩ ، ٤٥٤ ،
٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٦٥ ، ٤٧٣ .
شريك بن عبدالله ١٥ ،
شقيق البلخي ٢٥ ،
الشعراني (عبد الوهاب) ٤٤، ٥٠، ٥١،
الشبلي ٥٦ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ١١٢ ،
شوقي ضيف (الدكتور) ٧٧
الشهرستاني (محمد بن عبد الكريم) ١٠٨
الشعبي ١٢٦ ، ١٥٢، ٤٣٣ ، ٤٣٨ ،
٤٤٤
شرقي بن القطامي ٢١٤ ،
٤١٢ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٣٨ ،
٤٦٩ .
شيبان بن عبد الرحمن ٢٨١ ، ٢٩٥ ،
شقيق بن عقبة ٤٠٢

(ص)

صقر بن جويرية ٧٧ ، ٢١٤ ،
صالح الناجي ٣٠٠
صفوان بن عمرو ٤٤٨ .

(ض)

الضحاك بن مزاحم ١٢٧ ، ١٥٢ ،
٣٩٧ ، ٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ .

(ط)

طاهر بن الحسين ٢٢ ، ٦٤ ،
الطبري (محمد بن جرير) ٤٨ .
طاوس ٨٢ ، ٤٤١ ،
طلحة بن عبيد الله ٢٨٨ ،

(ع)

عروة بن الزبير ٣٩٤ ، ٤٢١
عمار بن ياسر ٢٩١ ،
العطار (فريد الدين) ١٩ ، ٥٠ ،
٥٤ ،
عمر بن عبدالله بن معمر ١٦
عوف البصري ٤٢٢ .
عمر بن عبد العزيز ٤٤٨ .
عزير ٤٧٣
عبد الله بن عبيد الله ٤٦٧
عبد الله بن عمر ١٣ ، ٤٣٣ ، ٤٣٥ ،
٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٦١ .
عبدالله بن عمرو ٢٩٣ ،
عبدالله بن بكر ١٥ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ،

عبد الملك بن مروان ١٠ ،
عباد بن العوام ١٤ ، ٤٠ ، ٤٢١ ، ٤٤٥ ،
عثمان بن محمد ١٦ ، ٥٢ ، ٢٩٦ ،
عطاء بن يسار ١٠ ،
عفان البصري ١٧ ، ٤١ ، ٧٩ ، ٢١٤ ،
عمرو بن عبيد ١١ ،
عبدالله بن مسعود ٢٩٢ ، ٣٢٨ ، ٣٥٣ ، ٤١٧ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠
علي بن عاصم ١٤ ، ٤٠ ، ٤٣٥ ،
عائشة ٢٩٣ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٧ ، ٤٢١ ، ٤٢٦ ، ٤٣٠ .
عبدالله بن عمر ١٣ ،
العوام بن حوشب ١٣ ، ١٤ ،
عمرو بن دينار ١٣ ، ٤٠٨ ،
عبدالله بن المبارك ١٣ ، ١٥ ، ٢١٤ ، ٢٧٥ ،
عبد الرحمن بن مهدي ١٣ ، ١٤ ، ١٦ ، ٢١٤ ، ٣٢٧ ،
علي بن عطاء ١٤ ،
علي بن المديني ١٥ ، ١٧ ،
عبدالله بن شبيب ١٥ ،
عبد الغفار بن داود ١٦ ،
العلاف (ابو الهذيل) ٢٣ ، ٣٨ ،
عمر ابن الوردي ٢٣ ، ٣٧ ، ٣٨ ،
علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) ٢٣ ، ٣٢ ، ٣٨ ، ٨٧ ، ٢٨٦ ، ٣٢٧ ، ٤٠٢ ، ٤١٨ ، ٤٢٥ ، ٤٢٧ ، ٤٢٩ ، ٤٤٣ ، ٤٦٣ ، ٤٧٧ .
عبد الله بن صالح ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٤٠٦
عبد الله بن الزبعري ٤٧٤ .
علي بن زيد بن جدعان ٤٠٥ .
علي بن موسى الرضا ٢٣ .
عبدالله بن مسعود ٢٨ ، ٢٩٦ ، ٢٩٩ ، ٤٠٢ ، ٤١٤ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٣١ ، ٤٧١ .
عبد القادر أحمد عطا ٧ ، ٢٦ ، ٦٢ ، ٦٤ ،
عمر بن طلحة ٢٩١ ،
عبدالله بن يزيد ٣٥
عبدك ٣٥ ، ٨٢ ،
عبدك ٣٥ ، ٨٢ ،
عكرمة ٢٧٨ ،
علي بن الجهم ٣٨ ، ١٨٤
عقيل بن مدرك ٢٨٧ ،
عبد العزيز المكي ٣٨ ،
عاصم بن بهدلة ٢٨٨ ، ٢٩٣ ، ٤٠٥ ،
عمرو بن عثمان المكي ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٤ ، ٩٨
العراقي (الحافظ) ٥١ ، ٧٠ ،
عبد الحليم محمود (الدكتور) ٦٣ ، ١١٥ ، ١٢٠ ، ١٣٠ ، ١٤٢ ، ٢٤١ ،
عبد الحميد الكاتب ٧٦ ، ٧٧ ،
عطية السعدي ٨٢ ،

علي بن بكار ٨٢ ،
عمرو بن مرة ٨٢ ، ٢٩٢ ،
عبد الرحمن بدوي (الدكتور) ٨٨ ،
عمران بن حصين ٩٣ ،
عمر بن الخطاب ٩٥ ، ١٣ ، ١٤٢ ،
٣٩٨ ، ٤٠٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٦ ،
٤٢٩ ، ٤٤٨ ، ٤٥٥ ، ٤٦١ .
عبدالله بن سعيد بن كلاب ٣٠ ،
١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ ،
عضد الدولة البويهي ١١٢ ،
عبد الغفار بن داود ٤٠٧ .
عاصم بن عدي ٤١٠ .
عبد الله بن زيد ٤١٥ .
عكرمة ٤٢١ ، ٤٤٤ ، ٤٦٨ .
عتبة بن مسعود ٤٢٤ .
عبد الله بن عبيد الله ٤٦٧ .
عثمان بن عطاء ٤٥٣ .
علي بن أبي طلحة ٣٢٦ ، ٣٢٧ .
عبد المنعم خلاف ١١٨ ،
عبد الله بن عباس ١٢٠ ، ١٢١ ،
٢٨١ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٩ ،
٣٣٠ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ،
٤٣٢ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٤٢ ،
٤٤٩ ، ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٦٣ ،
٤٦٥ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٧٠ ،
٤٧١ .
عبد الوهاب الخفاف ٢٨٩ ، ٢٩٠ ،
عوف ١٢١ ،
علي القاري ١٢٤ ،
عبدالله بن أحمد ١٢٥ ،
عامر بن عبد القيس ١٢٦ ، ١٥٢ ،
عمر الجيلي ١٢٦ ، ١٥٢ ،
عزت العطار ١٢٧ ،
عبد العزيز بن أبي رجاء ١٢٧ ،
عمرو بن عبيد ١٣٠ ،
عضد الدين الايجي ١٩١ ، ١٩٢ ،
عمرو بن مالك ٢١٤ ،
عيسى بن المسيب ٢٨٠ ،
عمران بن حطان ٢٩٤ ،
عطاء بن السائب ٢٩٦ ،
٤٢١ ، ٤٣٤ ، ٤٤٩
عقيل الايلي ٤٠٦ .
عقيل بن جابر ٢٩٦ ،
علقمة بن مرثد ٢٩٨ ، ٣٩٧ ،
عثمان بن عفان ٢٩٨ ، ٤٠٠ ، ٤٢٥ ،
عتبة بن سليمان ٢٩٩ ،
عبد الرحمن بن عوف ٤٠٣ ، ٤١٠ ،
٤١٨ ، ٤٢٥ .
عبد الرحمن بن يزيد ٣٠٤
عبيده السلماني ٣٢٩ .
عمرو بن دينار ٤٠٨ .
علقمة بن قيس ٤٣١ .

(غ)

غندر (محمد بن جعفر)١٣ ، ٢٩٦ ،
الغزالي (الإمام محمد بن محمد) ٢٧ ،

٣٤ ، ٤٩ ، ٥٣ ، ٥٧ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ١٤٩ ، ١٨٨

(ف)

فريد جبر (الدكتور) ٦ ،
الفلاس ١٤ ،
الفضل بن دكين (أبو نعيم) ١٥ ، ٢٩٣
الفضيل بن عياض ٢٥ ، ٣٤ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ١٣٢ ،
فضيل بن مرزوق ٤٠٢ .
الفرائضي ٥٦ ،
الفارابي ١١٥ ،
فروة بن نوفل ٢٩٧ ،

(ق)

القاسم بن سلام (أبو عبيد) ١٣ ، ١٦ ، ١٧ ، ٤١ ، ٥١ ، ١٢١ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٤٠٦ .
القثم بن القثم ١٦ ، ٢٩ ، ٢٩٨ ،
القشيري (عبد الكريم بن هوازن) ١٨ ، ٢٠ ، ٤٩ ، ٥١ ، ١١٢ ، ١١٣ ،
القصار ١٠٥ ،
القرطبي ١٢١
قدامة بن جعفر ١٨٦ ،
قتادة السدوسي ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٨٢ ، ٢٨٤ ، ٢٨٩ ، ٢٩٢ ، ٢٩٥ ،
٣٢٩ ، ٣٩٥ ، ٣٩٨ ، ٤١٢ ،
٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ،
٤٣٤ ، ٤٣٩ ، ٤٤٧ ، ٤٤٩ ،
٤٥٢ ، ٤٥٦ ، ٤٦٥ ، ٤٦٩ ،
٤٧٠ .

(ك)

كمال الحاج (الدكتور) ٦ ،
الكسائي (حمزة بن علي) ١٦ ،
الكلاباذي (تاج الاسلام) ١٨ ، ٥٠ ، ٥١ ، ١١٠ ،
الكتاني ٥٦ ،
الكندري ١١٣ ،
الكندي ١٤٠ ، ١٨٤ ،
كعب ٢٨٨ ،
الكلبي (محمد بن السائب) ٣٢٩ ، ٣٥٦ ، ٣٥٨ ، ٤٤٠ ، ٤٤٧ ، ٤٧٣ .

(ل)

الليث بن سعد ١٥ ، ٤٢١ ، ٤٤٧ .
اللكنوي (عبد الحي) ٤٦ ،

(م)

مجاهد بن جبر ٢١ ، ٥٣ ، ٩٦ ، ٣١٨ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٩٨ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٢٧ ، ٤٣٨ ،

٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٤ ، ٤٤٧ ، ٤٤٩ ، ٤٦٧ .
المناوي (شرف الدين) ٢٠ ، ٥٠ ، ٥١ ، ١٥٥ ،
المسعودي (المؤرخ) ١٧ ، ٢٤ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٥٢ ،
مالك بن أنس ١١ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ٢٥ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٥١ ، ١٣٠ ، ٢٥٠ ،
المبارك القرشي ٤٠٥ .
مروان بن محمد ١٠
مطرف بن الشخير ٢٩٨
معبد الجهني ١٠ ،
مروان بن شجاع ١٤ ، ١٦ ، ٤٣٨
المهدي ١٤ ، ٢١ ،
مسدد بن مسرهد ١٤ ، ٣٨ ،
مسعر بن كدام ١٥ ، ٢٥٠ ،
محمد بن جعفر ١٦ ، ٤٠٥ ،
المسيب بن شريك ٣٩٧ .
مغيرة بن مقسم ٤٣١ ، ٤٤٠ .
مروان بن معاويه ٤٥٤ .
مقسم بن بجرة ٤٥٤ .
معاذ (؟) ١٦ ،
مبشر ١٦ ،
مسلم بن عبيد ١٦ ،
مسلم بن الحجاج ١٦ ، ٥٢ ،
محمد بن مسروق ١٨ ، ١٩ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٨ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ١٣ ، ١٨٦ ،
المنصور (أبو جعفر) ٢١ ، ٢٢ ،
المأمون ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٧ ، ٦٤ ، ٧٢ ،
المعتصم ٢٤ ، ٣٧ ، ٧٥ ،
معروف الكرخي ٢٥ ،
محمد (صلى الله عليه وسلم) ٢٦ ، ٢٧ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٨٠ ، ٨٦ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٧ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٥٩ ، ١٧٥ ، ٢٢٧ ، ٢٣٨ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٧ ، ٢٨٢ ، ٢٨٦ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢١٩ ، ٢٩٣ ، ٢٩٩ ، ٢٣٨ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٧ ، ٢٨٢ ، ٢٨٦ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٣ ، ٢٩٩ ، ٣٣٠ ، ٣٥٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٧ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٧ ، ٤٣٩ ، ٤٤٢ ، ٤٤٩ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، ٤٥٥ ، ٤٥٧ ، ٤٥٢ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٧٠ ، ٤٧٢ ، ٤٧٤ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٨٠ ، ٤٩٥ .

المتوكل ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ،
المستعين ٣٨ ،
محمد بن عبد الوهاب ٤١ ،
محمد بن اسحاق ٤٦ ،
معاوية المهلبي ٣٩٩ .
موسى بن عبيدة ٤٠٧ ، ٤٤٦ .
معتب بن قشير ٤١٠ .
محمد بن الحنفيه ٤٤١ .
محمد بن أبي بكر ٤٤٣ .
محمد بن كعب ٤٤٦ .
مبشر الحلبي ٤٤٨ .
ماسينيون (لويس) ٤٧ ، ٩٨ ، ١٠٢
١١١ ، ١٢٧ ،
محمد بن الحسن الشيباني ٥١ ،
محمد بن كعب ٤٠٧ .
معروف الكرخي ٥٤ ،
المرتعش ٥٦ ، ٥٨ ،
المزين ٥٦ ،
المغربي ٥٦ ،
محمد بن علي القصاب ٥٨ ،
محمد بن يوسف ٨٢ ،
مخلد بن الحسين ٨٢ ،
محمد بن سيرين ٨٢ ، ١٢١ ،
محمود عرنوس ٨٨ ،
محمد رشاد سالم (الدكتور) ١٠٩ ،
مجاهدين جبر ١٢١ ، ١٣٧ ، ٢٧٨ ،
٢٨٥ ،
معاوية بن قرة ١٢٦ ، ٩٥٢ ،
المهلب بن أبي صفرة ١٢٧ ،
ميسرة بن عبد ربه ١٢٧ ، ١٢٨ ،
محمد بن يحيى ٢٧٥ ،
معمر بن يحيى ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٤
٣٩٥ ، ٣٩٨ ، ٤٠٨ ، ٤٢٨ ،
٤٢٩ ، ٤٣٤ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩ ،
٤٥٥ ، ٤٦٥ ، ٤٧٠ .
مروان الكلاعي ٢٨٧ ،
معتب ٢٨٨ ،
محمد بن طلحة ٢٨٩ ،
معن بن عبد الرحمن ٢٨٩ ،
ملحان بن المخارق ٢٩١ ،
موسى الفراء ٢٩٤ ،
معاوية بن صالح ٣٢٦ ، ٣٢٧ .
المسور بن مخرمة ٤٠٣ .
منصور اليشكري ٤٢٢ ، ٤٣٩ .
منصور بن زاذان ٤٤٤ .

(ن)

نللينو (كارلو) ١٣ ،
النسائي (أحمد بن شعيب) ١٤ ،
٤٦ ،
النوري (أبو الحسين) ٥٦ ، ٥٨ ،
٥٩ ، ٦٠ ،
النيسابوري ٥٦ ، ١٣٢ ،
النهر جورى ٥٦ ،
النصر اباذي ٥٦ ،
نظام الملك (الوزير) ١١٣ ،

النسفي ١٩١ ، ١٩٢ ،
نافع بن عمر ٤٠٣ .

(هـ)

هشام بن عروه ٣٩٤ ، ٤٢١ .
هشام بن عبد الملك ١٠ ، ٢٠٧ ،
١٦ ، ١٧ ، ٤٠ ، ٥٢ ،
هشيم بن بشير ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ،
١٦ ، ١٧ ، ٤٠ ، ٥٢ ، ٤١٩ ،
٤٢٢ ، ٤٣١ ، ٤٣٣ ، ٤٣٨ ،
٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ .
٤٤٤ ، ٤٤٧ .
هشام الدستوائي ١٤ ،
هنري كوربان ٨٨ ،
هلال بن يساف ٢٩٧ ،
الهيثم بن جماز ٢٩٩ ،

(و)

واصل بن عطاء ١١ ، ١٣٠ ،
الوليد بن عبد الملك ١٠
وكيع بن الجراح ١٣ ، ١٤ ، ١٥
٤١ ، ٥٢ ، ٩٥ ، ١٢٦ ، ٢٧٩
٤٤٤ ، ٤٤٧ ،
الوليد بن شجاع ٤٢١ .
الوليد بن مسلم ١٥ ،
وهب بن منبه ٢١ ، ٥٣ ، ١٢٦ ،
الواثق ٣٦ ، ٣٧ ،
وهيب بن الورد ٨٢ ،
واصل (مولى ابن عيينه) ٨٥ ،
ورقاء بن عمر ٢٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢٢ .

(ي)

يحيى بن سعيد القطان ١٣ ، ١٦ ، ٢١٤
يحيى بن زيد ١٠ ،
يحيى بن سعيد الأنصاري ٣٤٧ .
يزيد بن معاوية ١٠ ،
يزيد بن هارون ١٣ ، ١٦ ، ١٧ ،
١٨ ، ٢١ ، ٤٠ ، ٢٨٨ ، ٢٩١ ،
٢٩٤ ، ٢٩٨ ،
يحيى بن معين ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ،
١٧ ، ٤٦ ،
يحيى بن بكير ١٥ ، ٢٩٧ ،
يوسف عليه السلام ٤٨٢ .
يوسف (؟) ١٦ ،
يونس بن محمد ١٦ ،
اليزيدي ١٦ ،
يحيى بن أكثم ٣٨ ،
اليافعي ٥٠ ، ٥١ ،
يونس بن عبيد ٨٢ ،
يحيى بن كثير ١٢٧ ، ٢٩٩ ،
يوسف بن الحسين الرازي ٨٦ ،
يحيى بن زكريا ٤١٧ ، ٤٣٣ .
يمان ٤٣٥ .
يحيى بن يعمر ٤٣٩ .
يعقوب بن ابراهيم بن عبد الله ٤٦٨ .
يونس بن بشر ٤٦٩ .

فهرس الموضوعات

الإهداء ٣
مقدمة ٥
الفصل الأول :
الحارث المحاسبي ، حياته ومذهبه العقلي ٩
نشأته ودراسته ١٢
منعطف الطريق ٢٠
الصوفي المتميز ٢٨
مع المعتزلة ٣١
مع الشيعة ٣٢
مع الفقهاء ٣٢
مع الصوفية ٣٣
مع محدثي الحنابلة ٣٦
مكانته ٤٩
مدرسته ٥٤
كتبه ٦٠
أثر المحاسبي في الفكر الاسلامي ٨٦
فكره ٩٢
الحارث والعقل في مذهبه ١١٤
العقل في الفلسفة القومية ١١٤
العقل في الكتاب والحديث ١١٥
العقل في الفلسفة الاسلامية ١٢٩
العقل في مذهب الحارث ١٣٣
الفصل الثاني :
كتاب الحارث (مائية العقل)
كلمة عقل في اللغة ١٤٠
مائية العقل وقيمته ١٤١
تحليل كتاب العقل ١٤٣
أثر مذهبه العقلي في الفكر الإسلامي ١٨٣
الفصل الثالث :
نص كتاب مائية العقل ومعناه واختلاف الناس فيه ١٩٣
الفصل الرابع :
كتاب فهم القرآن ٢٤١
تمهيد ٢٤١
شرح وتحليل ٢٤٥
نص كتاب فهم القرآن ومعانيه ٢٦١
الفهارس العامة ٥٠٦